تقديم إلى الساحة المقدسة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة (الجزء الثاني)
كهنة معبد السحر

إسماعيل شفيعي سروستاني

التاريخ الثقافى لقبيلة اللعنة (الجزء الثاني)
كهنة معبد السحر
المؤلف: إسماعيل شفيعي سروستاني
التنقيح: وحدة البحوث بمؤسسة موعود العصر(عج) الثقافية
الناشر: هلال
الطبعة: الأولى، ٢٠١٦
مكان الإصدار: طهران

الفهرس

المقدمة: التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة ٩
مقدمة الجزء الثاني ١٧
الفصل الأول: الإنطباعات والرؤية الأسطورية ١٩
الإنطباعات والرؤية الأسطورية ٢١
حقيقة الأسطورة ٢٥
الأساطير، بمثابة فقرة من تاريخ الفكر ٣٣
الرؤية الأسطورية العامة ٣٦
الأوجه المتسمة بالشرك للإنطباعات الأسطورية ٣٩
الفصل الثاني: العلوم الخفية ٦١
ماضي وتاريخ العلوم الخفية ٦٣
إنطلاقة السحر والشعوذة ٦٥
السحر والمحافل الخفية ٦٨
العلوم الغريبة أو العلوم الخفية (في مقابل العلوم الجليّة) ٦٨
أثر السحر ٧١
الفارق بين السحر والكرامة والمعجزة ٧٤
النهي عن ممارسة العلوم الغريبة ٧٧

ما هو السحر؟ ٨٠
السحر وروايات أهل البيت(ع)..... ٨١
حد الساحر، القتل..... ٨٣
الطرق المختلفة للسحر ٨٣
الكهانة ٨٥
فنون السحر..... ٨٦
السحر لدى الأمم والثقافات والحضارات ٩٩
صوت عجل السامري ١٠٤
الفصل الثالث: كهنة معبد السحر.....١٠٧
الكهانة والروحانية المعبدية (الثقافة المعبدية) ١٠٩
الكاهن ١٠٩
سر إشتراك وتشابه الآلهة والأساطير.....١١٤
القواسم المشتركة بين الثقافة المعبدية ١١٦
كهنة معبد دلفي واليونانيين ١١٩
الثقافة المعبدية للكلدانيين ١٢٣
خصائص الآلهة ١٢٤
أعراق فارس والثقافة المعبدية.....١٢٧
حضارة وادي «السند» وكهنة معبد الهندوس ١٣١
الديانة الهندوسية ١٣٩
الثقافة المعبدية والمؤسسة الدينية الهندية الكبرى.....١٤٠
الهند، موطن العلوم الغريبة ١٥٠
الفصل الرابع: الكائنات الماورائية.....١٥٥
الجن والتعامل مع الإنسان.....١٥٧
الملائكة.....١٦٠

الجنّ ١٦١
التعاطي بين الجنّ والانسان ١٦٥
الجن والثقافة المعبدية ١٦٧
الإرتباط بين الإنس والجنّ ١٧٨
هاروت وماروت ١٨٠
تجسيم الجنّ ١٨٥
الفصل الخامس: الدعوة ١٩١
الدعوة والتواصل مع الشياطين والجنّ ١٩٣
إقامة التواصل ١٩٤
آداب ومناسك التواصل ١٩٧
ماذا حل بالنظام الحقيقي للدعوة؟ ٢٠١
إبليس عازم على القرصنة ٢٠٢
أنواع الدعوة ٢٠٦

المقدمة

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة

الحمد لله رب العالمين، والتوسل إلى الساحة المقدسة لحضرة رحمة للعالمين محمد بن عبد الله ﷺ. إن الحجر الأساس لهذا العمل الذي عنوانه «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» وضع عندما، كان كتاب «التاريخ الثقافي لقبيلة الرحمة»[1] يسلك مراحله الإكمالية. وقد استند المؤلف في ذلك الكتاب إلى المصادر الروائية لاسيما «دعاء الندبة» ليبين المنعطفات التي مرت بها سلسلة الأنبياء والأوصياء الإلهيين وكذلك المنعطفات التي نمر بها حتى نصل إلى اخر محطة، أي تأسيس الدولة الكريمة الطيبة بوصفها آخر حلقة من سلسلة الأولياء والأوصياء الإلهيين. محطة مقدسة وُعد بها وبوركت، وتنطوي في ذاتها على جميع شؤون واعتبار الحكومة الحقة والعالمية للمستضعفين، بحيث أن الله تعالى وعد بتحقيقها في كتابه المبين حيث قال:

«وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»[2]

---

١. وهذا الكتاب صدر عن إصدارات موعود العصر عجل الله فرجه.

٢. سورة القصص، الآية ٥. وقال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة «**إن هؤلاء هم آل محمد ﷺ. إن الله يرسل مهديهم بعد ما تكبدوا من عناء وضغوط ويعزهم ويذل أعداءهم.**»، «التفسير النموذجي»، جمع من الكتاب، ج ١٦، ص ١٨، نقلا عن «تفسير نور الثقلين»، ج ٤، ص ١١٠.

ويبدو أنه بموازاة سير وسفر «قبيلة الرحمة» على امتداد التاريخ، فان «قبيلة اللعنة» مضت قدما كتفا بكتف لتؤدي دورها.

إن عنوان «قبيلة اللعنة» هو عنوان عام ينطوي في حد ذاته على مجمل معنى ومفهوم «ائمة الكفر»، ويطلق على جميع الكافرين الذين يدعون الاخرين إلى الكفر والشرك ويمهدون لضلال أبناء آدم. وبما أن ابليس اللعين، هو كبير ومؤسس هذه القبيلة وهو راعيها وحاميها، لذلك أطلق على هذه القبيلة واتباعها مثل «بنو اسرائيل» إسم «قبيلة اللعنة.»

وقد جاء «القرآن الكريم» على ذكر هذه القبيلة بأسماء وتعابير مختلفة بما فيها المستكبرون (سورة سبأ، الآيتان ٣٣-٣٤) وأئمة يدعون إلى النار (سورة القصص، الآية ٤١) وكل أولئك الذين يرتبطون بشكل ما بائمة الكفر وقبيلة اللعنة.

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ»[١]

واستنادا إلى القرآن الكريم، فان هذه القبيلة وتابعيها، لا يُنصرون من قبل أي شفيع: **«وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ»**،[٢] وبما أن الاخرين يتبعونهم في الكفر والمعاصي، فانهم يُحمّلون دوما عبء ذنوب مثل ذنوب أنصارهم، ولذلك ومع استمرار الكفر والمعاصي، فان اللعنة الأبدية ستطالهم.

«وَأُتْبِعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ»[٣]

وهذه الطائفة أدت إلى إستضعاف وضلال الناس، بحيث أنها حرفتهم بمجملهم عن صراط الحق وجعلتهم يقاسون في الدنيا والاخرة من التعاسة والخسران.

«وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا

١. سورة القصص، الآية ٤١.
٢. المصدر السابق.
٣. سورة القصص، الآية ٤٢.

الاَغْلالَ فِى أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[١]

وفي تقلبات وهبوط وصعود التاريخ، فان أئمة الكفر والضلال، هم الذين يصطفون في مواجهة أئمة الدين وقبيلة الرحمة، وبالرغم من الموقع الزماني والمكاني المختلف، فان كلهم، ستكون لهم روح وروحية ثابتة وبالتالي عاقبة ثابتة أيضا.

وأول شخص من بين جُل الكائنات الانسية والجنية، المتصف بصفة «المستكبر» وبالتالي يستحق اللعنة الإلهية الأبدية، هو **إبليس**، بحيث أن الله تعالى قال بشأنه في القرآن الكريم:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائكَة اسْجُدُواْ لـآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.»[٢]

وعلى أثر هذا الإستكبار، كان جليا أن يطرد ابليس من رحمة الله ويصبح رجيما ولعينا إلى الابد.

«قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»[٣]

وبعد **إبليس**، يقدم القرآن جميع الذين ينقضون عهد الله المتعال ويفسدون في الأرض ويمهدون لضلال الناس، على أنهم من الذين لا ينالون رحمة الله، ويعتبرهم من الملعونين، بحيث قال تعالى:

«وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ الله من بَعْدِ ميثَاقه وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ به أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الاَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»[٤]

وفي الثقافة القرآنية، فان الذين يعرضون عمدا عن الحقائق الواضحة ويتنكرون لها بعدما تبين لهم البينات والهدى، فانهم سيكونون ممن تنالهم لعنة الله.

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

---

١. سورة القصص، الآية ٣٣.
٢. سورة البقرة، الآية ٣٤.
٣. سورة ص، الآيتان ٧٧-٨٧.
٤. سورة الرعد، الآية ٢٥.

فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ»[١]

وفي الحقيقة، فان هذه الجماعة، وبعد اطلاعها على الحقائق وإتمام الحجة عليها من قبل الأنبياء الإلهيين والحجج السماويين، وبعد مشاهدة أدلة وحجج الكتب السماوية مارست العناد وتصدت لإرادة الباري تعالى، وأبدعت الفساد والضياع والضلال بين الناس وفي الأرض، لذلك إستحقت اللعنة وابتعدت بذلك عن رحمة الله.

ويصنف الباري تعالى الفئات الثلاث «الكفار» و «المشركون» و «المنافقون ومن يؤذون الله ورسوله» في خانة الملعونين. وفي هذه الأثناء هناك مجموعات وأصناف مختلفة من الناس، يمهد التعرف عليهم وتحديدهم، تجربة وتحديد سائر مصاديق الملعونين المنتشرين على مدى القرون والأعصار.

إن إبليس وفرعون و«اليهود» و «بني اسرائيل» و«أصحاب السبت»،[٢]

---

١. سورة البقرة، الآية ١٥٩.

٢. كانت جماعة من طائفة بني اسرائيل في عصر النبي داود عليه السلام تعيش بالقرب من ساحل «البحر الأحمر» في ميناء «أيلة» («تفسير الكشاف»، ج ١، ص ٣٥٥) وكان عليهم أن يتبعوا مذهب ابائهم واجدادهم وأن يتفرغوا يوم السبت لعبادة ربهم، وكانوا وفقا لدينهم، يحرمون الصيد يوم السبت. وسبب حرمة الصيد في يوم السبت بالنسبة لليهود يعود إلى أن الله تعالى طلب من اليهود بواسطة النبي موسى عليه السلام أن يكرموا ويعظموا يوم الجمعة، وأن يعرضوا في هذا اليوم عن الامور المادية والدنيوية ويهتموا بالأمور المعنوية والأخروية. لكن اليهود تمردوا على هذا الأمر الإلهي واختاروا الجمعة للعمل والسبت كعطلة، وكانوا يعتبرون السبت أعظم الايام. وبناء على ذلك، فان القهر والغضب الإلهي طالهم وحرم عليهم الصيد يوم السبت. («بحار الأنوار»، محمد باقر المجلسي، بيروت، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣، ج ١٤، ص ٤٩).

وكان السمك يشكل السلعة الإستراتيجية لهذه المدينة، وكان معظم سكانها يقتاتون على صيد الأسماك. وبما أن الله أراد اختبارهم وابتلائهم، فاختبرهم بان تأتي أسماك البحر يوم السبت الذي كان يوم الأمان بأمر وإرادة من الله إلى شاطئ البحر وتملأ سطح الماء بحيث كان بوسع الصيادين صيد عدد كبير من الأسماك في فترة زمنية قصيرة وباقل جهد، لكن الأيام الاخرى لم تكن آمنة للأسماك وكانت تبتعد عن ساحل البحر وتغوص في أعماقه، بحيث كان يصعب صيدها: «**إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ * لَا تَأْتِيهِمْ * كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**» (سورة الأعراف، الآية ١٦٣).

لكن دافع الجشع والطمع تحرك لديهم وأذكى دأب النهم لدى مذنبي هذه القرية وغفلوا عن أوامر أنبيائهم. ونسوا ما كانوا قد سمعوه وأخذوا يتبادلون الرأي ووجهات النظر وقالوا: لماذا نترك الأسماك في اليوم الذي تظهر فيه بكثرة على سطح الماء وتهرع بأنفسها إلينا، ونصطادها في اليوم التالي الذي تهرب منا؟! ولذلك فقد احتالوا الحيل ليحللوا ما حرم الله عليهم، وصنعوا أحواضا وبركا بجانب البحر ليتمكنوا من جمع الأسماك في القنوات والأنهر الصغيرة المتعددة التي تصب في البحر. فانقسم أهل القرية إلى ثلاث فرق:

١. إنضم معظم أهل القرية إلى أصحاب البدعة والمحتالين وتعاونوا وتماشوا معهم؛

و«ناكثي العهد» و«الشجرة الملعونة»[1] و«المنافقين» و«أصحاب الجحيم» والمفسدين في الأرض وبعض آخر من الناس، منخرطون في زمرة الملعونين، ونزلت العديد من الآيات بشأنهم.

«**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ**»[2]

وكأن التيارين الرئيسيين المتمثلين في«قبيلة الرحمة» و «قبيلة اللعنة» كانا ساريين في الكون والوجود طوال التاريخ ومنذ خلق **آدم أبي البشر** عليه السلام، وسيستمران حتى تأسيس الدولة المهدوية الكريمة، وبغير هذين، فان باقي الطوائف، مشت على الأرض في ظل انتقاء ودمج تعاليم وسيرة وسنة أهالي هاتين القبيلتين. وثمة مصاديق متعددة للثقافات والحضارات السابقة واللاحقة، كل منها، يعرض أوجها من التوجهات والإنطباعات والسنن والتقاليد الرحمانية أو الشيطانية لهاتين

---

٢. وكان ثمة من المؤمنين الذين ترسخ الإيمان في أعماق قلوبهم؛

٣. وثمة من لم يكن لهم موقف والتزموا الحياد.

والفئة الاولى التي كان يزداد عددها يوما بعد يوم، وقفت بوجه الناهين عن المنكر، واعتبرت مكرها ابتكارا وابتداعا وعملا جميلا، وقالت تبريرا لما تقترفه: إننا أطعنا أمر الله ولا نصطاد يوم السبت بل نصطاد في يوم الأحد. («تفسير البرهان»، ج ٢، ص ٤٢)، وبهذا لم تؤثر نصائح الفرقة المؤمنة عليهم وقررت هذه الفرقة بالتالي الهجرة حتى لا يطالها عذاب الله. وفي ليلة الهجرة نزل العذاب الإلهي على الآثمين العاصين: «**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**» وفي أعقاب هذا الأمر تحول جميع من تبقى في القرية، إلى قردة خاسئين («بحار الأنوار»، ص ٥٦، الرواية ١٣). وأغلقت بوابة قريتهم ولم يكن باستطاعة أحد الخروج منها. ومع سماع هذا الخبر، توافد سكان المدن والقرى الأخرى على هذه القرية، وتفرجوا من على أسوارها، الرجال والنساء المخادعين الذين تحولوا إلى قردة.

وقرر الوعاظ الذين هجروا القرية، العودة إليها. وتوجهوا إلى القردة الذين كانوا يشبهونهم وأصدقائهم وسألوهم: هل أنت فلان؟ وأومأ القرد الذي سئل مصدقا برأسه فيما كان الدمع ينهمر من عينيه. وأرسل الله تعالى بعد ثلاثة أيام، الرياح والأمطار العاتية التي أهلكت الجميع ولم يبق أحد ممن مسخوا في تلك القرية. («أصحاب السبت»، عاشوري، زهراء، نامة جامعة، مرداد ١٣٨٥، العدد ٣٢، ص ٤٨، بتصرف وتلخيص).

١. وقد أرى الله تعالى، في عالم الرؤيا لنبيه صلى الله عليه وآله الشجرة الملعونة (القوم الملعونون والذين يؤذون النبي وأهل بيته) وجزء من أفعالهم وعندها بيّن لهم بان هذه فتنة. «**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**» واستنادا إلى الكثير من الروايات التي رواها أهل السنة، وكذلك جميع الأحاديث الواردة عن ائمة أهل البيت عليهم السلام، فان المراد من الرؤيا في هذه الآية، هي الرؤيا التي رآها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حول بني أمية وأن الشجرة الملعونة هي هذه السلالة والسلسلة. («تفسير الميزان»، ج ١٣، صص ١٣٨-١٤٠، توضيحا لآيتي سورة الأعراف ١٦٢ و ١٦٦؛ وسورة الإسراء، الآية ٦٠).

٢. سورة البقرة، الآية ١٥٩.

الطائفتين.

والمؤسف أن اتساع نطاق وعمق الإنتقائية والإندماج في هذه المجالات الثقافية والحضارية، ضيّق الخناق على إمكانية التعرف على مدى اختلاط كل من المستويات الثقافية والمادية للأمم وعلاقاتها وتعاملاتها مع هذين التيارين المتجذرين الرحماني والشيطاني. ولذلك، يبدو من الصعوبة بمكان التشخيص الشامل للمواقع والتناسب العملي والنظري لسكان الأرض مع المظاهر التامة للرحمة أو اللعنة لعامة الناس، ولابد لعامة سكان الشرق والغرب، أن يواصلوا رحلتهم المحفوفة بالمخاطر على مدار الظن في مشهد التاريخ.

ولا شك أنه في وقت الغربلة الكبرى للوقائع والحوادث المستقبلية وما بعدها في وقت الظهور الأكبر للإمام المبين عجل الله فرجه الشريف، تحدث إصطفافات دقيقة بين سكان الأرض وكل فئة تنضم إلى المجتمع الذي تنتمي إليه، إلى أن تقوم الدولة الكريمة الموعودة المنزهة عن أي بدع وهرطقات وإعوجاجات.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن إجراءات الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فقال عليه السلام:

«يَصْنَعُ ما صَنعَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ كَما هَدمَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله أمْرَ الجَاهليَّة ويَسْتأنفُ الاسْلامَ جَديداً.»[1]

إن هذا الكتاب القائم على إنطباعات وتوجهات الأديان التوحيدية تجاه العالم والانسان والتاريخ، بصدد الإعلان عن أن:

أولا: إن خلق الكون قائم على أساس علم وحكمة الخالق المتعال، وأن الانسان بوصفه أشرف الكائنات، قد خلق بهدف الوصول إلى مقصود ووجهة نبيلة وسامية؛

ثانيا: إن أول انسان أي النبي **آدم ابو البشر** عليه السلام (نعوذ بالله) لم يخلق جاهلا ومليئا بالخرافة والجهل، بل أنه بدأ رحلته في التاريخ بعلم واختيار كافيين وبأعتباره

١. «بحار الأنوار»، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ص ٣٥٢.

حجة الله؛

ثالثـا: إن ما حدث لأبناء وأحفاد وأجيال أول انسـان على امتداد الثقافات والحضارات وأدى إلى إنحرافهم عن الصراط المستقيم لحضرة الحق (زاخر بالعلم والحكمة ومنـزه عن الجهل والخرافة)، هو حصيلة عمل الشـيطان وحقده على الإنسان وموقعه ومقامه.

رابعا: إن التفاسير والتحليلات التي قدمها المؤرخون حول الثقافات والحضارات القديمة، هي نتيجة عدم إطلاعهم وغفلتهم عن وجود القوى الماورائية للشـياطين الجنيـة والعلوم الغريبة التي كانت كافة الحضـارات والثقافات على علم واطلاع عليها وأصيبت بها.

إن هذه الكائنات المتمردة والحاقدة وانشـغال الأمم بالعلوم والفنون المرتبطة بهـا، أدى إلى إبتعـاد وانفصال الثقافات والحضارات عن قبيلة الرحمة (سـلالة الأنبياء والأوصياء الإلهيين) وأقحمهم في زمرة قبيلة الملعونين؛

خامسـا: وبالتالي فان السلسـلة الطويلة لقبيلة اللعنة، استمرت منذ أن جعلها وأبدعها إبليس الرجيم ولحد يومنا هذا، وتسـببت في تشـكل ونشـأة مجموعة «المحافل الخفية والسرية» (أكانت الماسونية أو الإيلومياتية و...).

إن هذه المحافل ورثت جملة تعاليم وتجارب وانطباعات أجدادها، لتتأسـى بـأول مطرود ورجيم (إبليس وأنصاره بين الشـياطين)، وتدخل في مواجهة دائمة مع مختاري قبيلة الرحمة لاسـيما حضرة خاتم الأوصياء المهدي الموعود روحي وأرواح العالمين لتـراب مقدمه الفداء، وتملأ الأرض ظلمة وعتمة وضياعا، وتقيم عليها الحكم الإستبدادي العالمي.

إن ما تتبناه هذه الرسالة هو:

١. تبيان مبادئ وأسس ومصادر فكر وعمل أهالي قبيلة اللعنة؛

٢. تبيـان علم كونيات وعلم عالم معلمي ومروجي توجهات قبيلة اللعنة تجاه الكون والوجود؛

٣. تبيان المنطلق والوجهة النهائية ومسـار وطريق هذه القبيلة منذ اليوم الأول وحتى خاتمة المطاف؛

٤. المنعطفات التي مـرت وتمر والتالية لهذه القبيلة وحتى الورود إلى الوقت المعلوم الموعود؛

«فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرين إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلوم»[١]

٥. تبيان مسار التطور التاريخي للمحافل الخفية والأوجه السياسية والإجتماعية لهذه المحافل في الغرب؛

٦. تقديم أشهر المحافل الخفية وصاحبة السلطة المؤثرة في عالم اليوم.

وقد ركز المؤلف جُل اهتمامه لتكون جميع المعطيات والتحليلات مسـتندة ومعتمدة على المصادر والمستندات والمراجع الموثوق بها والقابلة للإعتماد.

وأقدم هذا العمل كله إلى أفضل إنسان وأكثرهم تميزا من قبيلة الرحمة، حضرة محمد بن عبد الله ﷺ، وهو الذي قال الله تعالى بشأنه:

«ومَا أرْسَلناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلعالَمين»[٢]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إسماعيل شفيعي سروستاني

شتاء ٢٠١٤

---

١. سورة الحجر، الآيتان ٣٧-٣٨. وطلب ابليس من الله أن يطيل في عمره ويستمر حتى يوم القيامة. واستجاب الله طلبه بحياة طويلة، لكنه ومع الإتيان بـ«إلى يوم الوقت المعلوم» رفض استمرارها حتى القيامة، لذلك فان حياة ابليس تنتهي قبل القيامة وفي وقت ظهور إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

مقدمة الجزء الثاني

لقد شـــهدنا في الجزء الأول من مجموعة «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» وخلال دراسة المنعطفات التي مرت بها هذه القبيلة، وبعد تسليط الضوء على كيفية نشأة هذه القبيلة في فجر الخليقة وتأســيس أول معبد شــيطاني بعد إستشهاد حضرة هابيل، شهدنا إنهيار «الأمة الواحدة».

إن نفوذ التيار الشــرير والشــيطاني الملحد في جســم الحضــارات القديمة والناشئة التي قامت على ضفاف شاطئ النيل وبين النهرين، وبناء المعابد المصرية وبــرج بابل، أدى من خلال لجوئه إلى العلوم الغريبة والتواصل مع القوى الماورائية الشيطانية، إلى أن يتحول إلى توجه مستمر لجميع الأمم التي اعتبرت نيل السلطة وحفظها، أمرا ضروريا لوجودها وبقائها.

إن تلوث الأمم والحضارات الأولى بالفنون السحرية والشعوذة، أدى بدوره إلى أن تواصل قبيلة اللعنة ســيرها ورحلتها الطويلة في إطار المذاهب الشــيطانية وبين تقلبات وصعود وهبوط التاريخ وأن تســير قدما بمحــاذاة التيار الحقيقي والإلهي للأنبياء السماويين والأمم التوحيدية.

إن مــا نقدمه في الجزء الثاني من هذه المجموعة وتحت عنوان «كهنة معبد الســحر»، هو موضوعات موثقة ومســتدلة تميط اللثام عــن ماضي وتالي معابد الســحر وتدنس ســكان العالم القديم بالسحر والشــعوذة، ويبرز دور كهنة هذه

المعابد في التوجهات الكبيرة والصغيرة لأمم العصر القديم، الأمر الذي تم إغفاله في جميع دراسات علم الآثار وصياغة التاريخ بسبب فقدان المعرفة تجاه هذا الفرع من الفنون.

إن الموضوع الجوهري لهذا الجزء، هو تاريخ تواصل الانسان مع القوى الماورائية عن طريق العلوم الغريبة، وكل ما كان يؤدي في هيئة طقوس ومناسك الكهنة إلى قرصنة الناس وخداع أصحاب السلطة.

وقد بذل المؤلف قصارى جهده لإظهار موطئ قدم وعمل وممارسات كهنة المعابد في الحضارات القديمة وبالتالي إبراز المنعطفات التي مرت بها قبيلة اللعنة في جادة التاريخ الطويلة، عسى أن تتوفر فرصة لتقديم تحليل أدق عن كيفية نشأة الثقافات والحضارات والحكم بشكل أشمل على توجهات وأداء وعمل أمم الأزمة والعصور السالفة.

وآمل، أن تفتح هذه المجموعة نافذة جديدة لكل الأعزاء للإهتمام بشكل جاد بالدراسات الثقافية، وتؤازرهم في معرفة «الماضي» والتعرف على «الحاضر.»

وبلا شك، فانه من دون التعرف على أكثر الطبقات سرية وخفاء في الحياة الثقافية والحضارية للعصر القديم، لا يمكن التعرف الشامل على الموقع الثقافي والحضاري الحالي.

وبحول الله وفضله، فاننا سنسلط الضوء في الأجزاء اللاحقة لهذه المجموعة على المراتب والمراحل التالية لهذا السير والسفر الطويل (قبيلة اللعنة) حتى عصرنا هذا، ونعرضه على القراء الكرام الحريصين على الموضوعات الثقافية والحضارية ليبدوا رأيهم وحكمهم فيها. إن شاء الله.

إسماعيل شفيعي سروستاني

صيف ٢٠١٥

الفصل الأول

الإنطباعات والرؤية الأسطورية

الإنطباعات والرؤية الأسطورية

لقد عرّف علماء اللغة، الأســاطير بانها كلام مرتبــك ولغو وهذر وقصص باطلة وكاذبــة وأكاذيب وأحاديث لا أســاس لهــا من الصحة.[1] وفــي وجه اخر، فان الأساطير هي مجموعة خرافات وحكايات وهمية ليس هناك من كاتب أو مؤلف بعينه وضعها، ولا يمكن العثور على شخص بعينه يكون قد صنع الأساطير. وعلى مــدى القرون المتتاليــة، انتقلت هذه الحكايات الوهمية بين مختلف الشــعوب مــن جيل إلى جيــل. ومن بين الأعمال الأدبية الراقية تعتبر «الشــاهنامات» بما فيها «الشــاهنامة» للحكيم أبو القاسم فردوسي طوسي و «الإيلياذة والأوديسة» لهوميروس، من الأعمال الملحمية والأسطورية.

وبغــض النظر عــن الأحداث والتطــورات التي تجري بين هــذه الحكايات والقصــص الوهمية وابطالها، فان الأســاطير تتحدث عن الآلهــة وماوراء الطبيعة وتاريخ الأمم ونشــأة العالم ومنشــأ كل شئ. وربما يمكن القول أن الأساطير هي فــي الحقيقة نوع من معرفة بداية العصر القديم، معرفة البداية والتأمل في أســاس وإنطلاقة الكون والوجود وبالتالي معرفة ســلوكيات الانسان تأسيسا على ما تذكره الأساطير.

إن ما يمكن التطرق اليه بشــأن الأســاطير، هو أن الأســاطير ليست فردية،

---

١. دهخدا، علي أكبر، «معجم اللغة الفارسية»، توضيحا لمفردة الأساطير.

فالأساطير والحكايات الأسطورية تؤشر إلى سلوك جماعي قبل أن تعكس سلوكا فرديا.

إن أساطير كل أمة، سواء المصريون واليونانيون والصينيون أو الإيرانيون، تميط اللثام عم معرفة شعوب العصر القديم. المعرفة التي كانوا يملكونها عن العالم المحيط بهم، وكانوا يعتبرون تلك المعرفة، حقيقية، ويؤمنون بها ويقدسونها.

وتقول الدكتورة **جالة اموزكار** مؤلفة كتاب «تاريخ الأساطير الايرانية»:

يجب إعتبار الاسطورة قصة وحكاية سماوية، ومن غير المعلوم أصلها ونشأتها، وهى شرح لعمل وعقيدة ومؤسسة أو ظاهرة طبيعية على شكل ماورائى، وجزء منها على الاقل، يضرب بجذوره فى التقاليد والروايات ويرتبط ويتواصل بشكل وثيق مع التقاليد والمعتقدات الدينية. إن الوقائع تبدأ فى الاسطورة من الحقبة الاولية. والحديث يدور حول أنه كيف ينشأ كل شئ ويواصل حياته ووجوده.[١]

وكان الأقدمون يعتبرون الأساطير، تاريخهم المقدس، لانها كان تمدهم بمعرفة حول بداية ونشأة كل شئ. وهذا التاريخ الأسطوري المقدس يعتمد اليوم أيضا لدى الكثير من الأمم. وماعدا أتباع الديانات التوحيدية أي اليهود والمسيحيين والمسلمين الذين يشكلون أكثر من ملياري نسمة من مجمل سكان الكرة الأرضية، فان باقي الأمم مازالت تؤمن بالديانات الأسطورية. إن ديانات الهندوس والبوذية والشنتو في اليابان والأديان في افريقيان كلها تنبع من مصادر أسطورية وأن رؤية أتباعها حول العالم والانسان، مستمدة من الاساطير.

إن القاسم المشترك بين الرؤية الأسطورية والرؤية الدينية، يتمثل في الإيمان بماوراء الطبيعة، إذ أن الإيمان بوجود قوى فوق الطبيعة، هو واقع وحقيقة ومقدس. وماعدا ذلك، فان الأساطير تتحدث عن نشأة خلق وبرء كل شئ، وتعرض على أتباعها نمط الحياة وقدوة. وفي الحقيقة، فان أولئك الذين يؤمنون بالأساطير،

١. اموزكار، جالة، «تاريخ الأساطير الايرانية»، طهران، سمت للنشر، ١٣٧٦، صص ٣-٤.

يقلدون النماذج الاسطورية في الشؤون الصغيرة والكبيرة ويسيرون على نهجها.

إن الانسان وفي كل حقبة وفي كل زمن، كان يملك رؤية وانطباعا خاصا عن العالم. إن معرفة الأساطير، تعد واحدا من كيفية الإنطباع هذا بشان العالم لدى سكان العالم القديم.

ولم تنجز دراسات وبحوث دقيقة وشاملة حول الأساطير والرؤية الأسطورية الخاصة، وبناء على ذلك، فان الحديث بهذا الشأن حافل بالتكهنات والخيال والتناقضات، لاسيما وان الحديث حول الأساطير هو حديث حول الانسان والعصر الذي لا توجد فيه أعمال مكتوبة بشأنه. وجاء مؤرخو الأديان على ذكر ذلك تحت عنوان الميثولوجيا ووجه من أوجه الديانات البدائية للبشرية.[1]

إن المغامرات والقصص الأسطورية، تعود بشكل رئيسي إلى الأمم التي تحظى بماض وتاريخ عريق. إن الصينيين واليونانيين والإيرانيين يعدون من الأمم التي تعتبر الأعمال الأسطورية[2] وما شابهها، أعمالا ثقافية وادبية قيمة لها، لان هذه الأعمال تزيح النقاب عن الماضي التاريخي لهذه الأمم ونوع انطباعها ورؤيتها الخاصة حول العالم والانسان.

وربما يمكن إعتبار الأساطير والأعمال الاسطورية، بأنها علم كلام الانسان الاولي، لان جوهر هذه الأعمال ينطوي على تساؤلات وأجوبة طرحها الانسان حول بداية الخلقة وسبب الحوادث ونشأة الخلق والغاية من الحياة والدافع من الولادة وعلة الموت والفناء، أسئلة عامة تحكي المحاولات الرامية للوصول إلى الأجوبة الدقيقة والمنتظمة حول العالم والانسان، الانسان الذي يبحث عن تعريف دقيق عن ذاته والطبيعة وخالق الكون. ويبحث عن قانون خاص يقدر على وضع المعرفة اللازمة لدرك الحقائق وسير المراتب العليا بتصرفه.

---

١. ناس، جان بوير (جان بي ناس)، «التاريخ الشامل للأديان»، ترجمة علي اصغر حكمت، مؤسسة الثورة الاسلامية للنشر، الطبعة الرابعة، طهران، ١٣٧٠، ص ١٣.

٢. وواضح أن هدف الكاتب من مفردة الأساطير، ليس «أساطير الأولين» التي وردت في «كلام الله المجيد»، بل يعتبر الأسطورة رديفا لمفردة myth.

وبما أن الإنطباعات الأسطورية، هي إنطباعات شاعرية[١] حول العالم وبداية البرء والخلق، فقد عرضت بطريقة خيالية ووهمية. رموز لدرك الحقائق الخفية في القصص الخيالية والإنطباعات الرئيسية، تدفعنا إلى صد ودفع أوجه القصص والحكايات الخيالية، وربما أن هذا أدى إلى أن نشهد أثناء دراسة هذه الأعمال، مجموعة من الكلمات والعبارات المتشابهة، لكن مهما يكن، يمكن العثور على رؤية من بين تلك القصص الخيالية والأسطورية ولكونها شاعرية فهي متشابهة وقريبة جدا من إنطباعات أتباع الديانات عن الكون والوجود.

ولا ننسى أنه في الزمن السحيق، كان مجمل الأدب، أدبا اسطوريا، لذلك فانه عندما يتم التعرف على الأساطير، يمكن التعرف أيضا على الأدب العريق وأسس الكثير من الأعمال الأدبية للحقب الزمنية اللاحقة.

إن «الإيلياذة والأوديسة» لـ**هوميروس** و «مهابهارات ورامايانا» للهنود و «الشاهنامة» لـ**فردوسي** تعد من الأعمال التي توفر اليوم إمكانية الخوض في الأدب الاسطوري وتظهر بان إنطباع الانسان في عصر الأساطير، كان انطباعا بلا وسيط وحضوريا وشهوديا، وإنطباع ما فوق العلم والفلسفة وفوق الإستدلال والمفروضات المنطقية. والأساطير مهما تكن، هي حصيلة التجربة الشهودية للأمم، والتي استطاعت من خلال إيجاد النسبة مع الطبيعة وحتى الكائنات الماورائية وغير المرئية كشف الكثير من القوانين والقواعد والتقاليد الخفية في العالم، والتي تم تجميعها في الدورات اللاحقة على يد بعض الحكماء والشعراء وقدمت في قالب القول المنظوم.

وربما يمكن القول بان الرؤية الأسطورية تتحدث عن الأديان البسيطة والأولية التي استفاد منها الانسان كمفتاح لفهم ودرك الأسئلة العامة والمعقدة حول الانسان والطبيعة وبارئ الكون والوجود.

---

١. والمقصود من العالم الشاعري، ليس الصورة الخيالية والوهمية التي ترتسم في صفحة ذهن كاتبي الشعر والكلام المنظوم والذين لقبوا اليوم خطأ بالشعراء، بل المقصود هو العالم الماورائي وخلوة الأنس والمألوفة الانسانية التي يتم دركها من خلال التواصل مع حقيقة الوجود، وهذا الإنطباع يكتسبه العظماء الورعون الذين ينالوه في خلوتهم.

ويمكـــن التذكير بان هذه الإنطباعات لا يمكن أن تعكس بالضرورة الحقائق الأصيلة والمنزهة عن الشـــوائب والباطل. ومع ذلك فان الأساطير تعكس بطريقة مـــا، نـــوع ديانة بعض الأمم القديمـــة، وفي الحقيقة عندما نقول بان الاســـاطير اليونانيـــة تتحدث عـــن ديانتهم ومعرفتهم بالكون، لجهة أننا نعرف أســـاطير أقل عند اليهود والمســـيحيين والمســـلمين. فهؤلاء يملكون دينا مكتملا وبمنأى عن الأساطير في وقت الخلوص.

إن الإنطباعات الأسطورية هي نوع من الرد والجواب على تساؤلات الانسان، وفي هذه المنظومة النظرية، فان الإستدلال العقلاني والفلسفي لا مكان له.

وعلـــى النقيض من العصر الحاضر والانســـان المعاصر المتورط تماما بالعالم المـــادي الملموس والحقيقـــي وأن رؤيته الكمية والرياضية تجـــاه الوجود، جعلته يغفـــل تماما العالـــم الماورائي، فان الانســـان بين هذه الأعمال هـــو كائن يقيم تواصلا شـــاعريا ومحفوفا بالأسرار مع العالم، كائن رهن بافعاله وأعماله، وهذا ما جعلـــه يواجه مقدرات لا مفـــر منها إطلاقا. إنه يتخلص في خضم هذه الحوادث والحروب، من السذاجة ويتجاوز الظلام ويصبح باحثا عن النور.

وبصـــورة عامة، فان التفكير في الغاية النهائية والإيمان ببداية ومنطلق الكون، وكون الانســـان مخلوقا ومن أن الحياة قائمة على التقاليد الثابتة التي تيســـر نيل الأهداف والغايات المنشـــودة وأخيرا التفكير بالموت، تعد كلها جزء من الأسس النظرية للأعمال الاســـطورية والرؤية التي تســـودها، الرؤية التي هي قريبة جدا من إنطباعات أهل واصحاب الديانة والتدين.

حقيقة الأسطورة

ويتـــم في الدراســـات الثقافية الإتيان على ذكر الأســـطورة والدين والفلســـفة كثلاثة مصادر للرد على تســـاؤلات الانسان العامة وأســـئلته الباحثة عن الحقيقة والتي يكتنفها الغموض حول الكون والوجود ومجئ ورحيل الانســـان على امتداد

التاريخ وبالتالي نشأة الخلق. وفي السنوات الأخيرة، بذل علم الوضعية[١] محاولات مستميتة للرفع من شأنه، وسعى في مقام الفلسفة والدين لتقديم أجوبة على التساؤلات العامة، في حين أن الرد على التساؤلات العامة ليس من اختصاص العلم الحديث أصلا.

وهذا المقال لا يعتبر من مهامه الحديث عن مبادئ وأسس كل من القنوات الأربع الحافلة بالنقاشات والجدل.

إن التاريخ الطويل لهذه التيارات الفكرية الأربعة، أي الدين والاسطورة والفلسفة والعلم، يميط اللثام عن وجود تساؤلات وجهود للانسان للرد وايجاد الجواب على مدى القرون والألفيات.

ومن بين هذه، فان الرؤية الاسطورية هي الأكثر شبها إلى الرؤية الدينية التوحيدية. إن الإستناد إلى ماوراء الطبيعة والمصدر الغيبي لكشف الجواب على السؤال والأسرار الخفية التي أرخت بظلالها دائما على روح الانسان، قرّب هذين الإثنين من أحدهما الاخر.

إن التساؤلات العامة، تعكس طلب روح الانسان وبحثه الدؤوب عن نشأة الخلق وحكمة الخلق، أسرار غير مكشوفة، إن لم تتكشف وتتوضح للانسان، فان اضطرابه وقلقه يسلب منه الاستقرار والراحة في حياته.

إن رجال أهل الرؤية، يعتبرون الانسان طائر بستان الملكوت، والمطالب بكشف سر الوجود والباحث عنه. كائن انفصل عن مزرعة ناي الوجود، ويئن كالناي، ويبذل كل ما بوسعه، عسى أن يعود مرة أخرى إلى ذلك العالم المألوف

---

١. Positivism وبوزيتيف تعني الإيجابي. وقد استخدم الفيلسوف البريطاني فرنسيس بيكن لاول مرة هذه المفردة في القرن السابع عشر للميلاد في كتابه «المبادئ والأسس» بمعنى «الحقيقي» و «المحقق» و «القطعي». والوضعية هي توجه في الفلسفة الغربية الحديثة ساد جزء من التوجهات الفلسفية الغربية لنحو قرنين من الزمن وذلك مع ظهور المذهب الانساني واضفاء الأصالة على الأفق الناسوتي للعام واضفاء الأهمية على الأغراض السلطوية والنزعة الدنيوية. والوضعية هي وجه من الفكر الحديث القائل بان المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية وينطوي المذهب عادة على إنكار وجود معرفة نهائية أي معرفة تتجاوز التجربة لاسيما فيما يتعلق بالعلل النهائية. (زرشناس، شهريار، «المفردات الثقافية والسياسية.» كتاب صبح، الطبعة الاولى، ١٣٨٣، صص ٩٢-٩٤.

والمأنوس.

وحسبما يقول مولانا:

إصغ إلى الناى عندما يروى حكاية

ويشكو ويئن من الفراق والإنفصال

إذ أنهم فصلونى وقطعونى عن مزرعة الناى

ويئن بذلك الرجال والنساء من نفيرى

وكل من ابتعد عن أصله

فانه يبحث عن العودة إلى زمن وصاله[1]

إن السر وكشف السر، ليس من جوهر المسالة بحيث يكون البحث العلمي واكتشافات العلوم التجريبية قادران على إزاحة الستار والكشف عنه، القلق النائم الذي يمزق ستائر الغفلة ويجعل نكهة الهاجس والرغبة في حلق الانسان مريرة. وهذا البحث، بدأ منذ صبيحة الخلقة وبوقت التفرج على العالم الملئ بالأسرار والغموض. إنه مطلب عام وفطري، يتطلب ردا ملائما. وربما لهذا السبب أصبح الدين والمرشد السماوي، توأمان للبشرية لكي يكونا دائما بجانبه ومعه للجواب على الأسئلة المنبثقة عن روح الانسان.

ويمكن القول بصراحة أن هذه الأجوبة تم تلقيها في كل عصر وزمان، وأضفت معنى على حياة الانسان من أي منشأ إلهي إو غير إلهي كانت وآزرته في إنتقاء نمط خاص من الوجود والحياة على مر التاريخ. إن دراسة أسس عامة الثقافات والحضارات السارية والتي تمت تجربتها، هي بمثابة السعي لكشف الأجوبة التي عثر عليها الانسان حول تساؤلاته المحزونة، بعبارة أخرى، فانه يجب البحث عن جوهر وخلاصة أي ثقافة وحضارة في الأجوبة المقدمة والمقبولة في ذلك الحقل الثقافي حول التساؤلات العامة للانسان. وهذه الأجوبة، تزيح الستار عن ماهية كل مجال ثقافي وحضاري لدى الأمم والشعوب.

---

١. جلال الدين محمد مولوي، «مثنوي معنوي»، الدفتر الأول، البداية.

إن الأساطير والإنطباعات الاسطورية، شغلت قسما هائلا من الماضي الثقافي لأمم العصور العريقة. ومع ذلك، فان الميثولوجيا هو علم متأخر.

وللالماني **فردريش كروزر** (١٨١٠-١٨١٢م.) كتاب حول رمز علم الاساطير (الميثولوجيا) وأسس «المدرسة الرمزية الحديثة.» ويقول في هذا الخصوص:

إن الانسان ومنذ نشأته الاولى، كان قادرا على الاحساس والشعور اللا متناهى، لكنه لم يكن قادرا على إيجاد المفردات التى تمكنه من التعبير عن هذا الإحساس والشعور. وبالتالى فان النزعة الرمزية الاولية استحدثت عفويا تحت اثر وسيلتين هما اللغة والفن، وتم الان تقييم ودراسة هذه النزعة الرمزية التى أصبحت أساسا لاى علم اسطورى وميثولوجيا.[١]

وبعد فردريش كروزر، صدرت اعمال كثيرة حول هذا العلم، وسلطت الضوء على الموضوع من ابعاد مختلفة.

وعالم النفس والفيلسوف الالماني **ويلهم وونت**[٢] مؤسس علم النفس التجريبي، من أنصار نظرية التطور والتكامل، أبدى اهتماما بالبعد الشاعري للاساطير. ويرى أن الاسطورة هي وليدة الخيال البارع، ويقول:

إن الأُسطورة هى وليدة الخيال، وتقع عند ملتقى ثلاثة تيارات هى تبيان الظواهر الطبيعية والقصص المسلية والحكايات الوهمية البطولية، وبالتالى فهى وليدة طبع ومزاج الشعراء والمؤرخين.[٣]

وقد بذل العديد من الباحثين جهودا لكشف منشأ ومصدر الاسطورة وكذلك اللغة الشاعرية للاساطير والأمم المختلفة وأداء الاساطير، الامر الذي يستحق التوقف عنده.

وكما أسلفنا، فان علماء اللغة، أوردوا معان مختلفة للأساطير. ويقول علي

١. باستيد، روجه، «علم الاساطير»، جلال ستاري، توس للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٧٠، ص ١٠.
٢. وونت، ويلهم، طبيب وعالم نفس وفيزيولوجي واستاذ جامعة المانية، يعد أحد مؤسسي علم النفس التجريبي.
٣. المصدر السابق، ص ٢١.

أسدي بهذا الشأن:

إن المغفـــور له الموســـوعي واللغوي علي أكبر دهخـــدا ومن خلال مراجعته لســـائر معاجم اللغة، عرّف الأساطير بانها كلام مرتبك ولغو وهذر وقصص باطلة وكاذبة وأكاذيب وأحاديث لا أساس لها من الصحة.

ويرى كتـــاب المعاجم العرب، الأســـاطير بانها مأخوذة مـــن جذر سَ طَ رَ (الكتابـــة)، لكنهم لا يملكون رؤية مشـــتركة حول مفردهـــا ومعناها. إن الأغلبية العظمى من علماء اللغة المتقدمين والمتأخرين العرب، وباختلاف طفيف، اعتبروا الأساطير بانها جمع الأســـطورة وعلى وزن الأحدوثة والأحاديث وبمعنى الكلام اللغو والمرتبك وعرفّها البعض على أنها الأباطيل والأكاذيب والكتابات والحكايات ... وبنـــاء على رؤية بعض الباحثين في المفردات القرآنية، فان الأســـاطير (جمع الاســـطورة) تعني الكتابات الكاذبة والملفقة والتي تطلق على مثل هذه الكتابات على الظاهر فحسب.[١]

وتســـتخدم الاســـطورة إصطلاحا، في فروع مثل تاريخ الأديان وفلسفة التاريخ وعلـــم الديانـــات، كرديف لمفردة ميـــث Mythe الانجليزيـــة، وأن مفردات مثل Mythology و Mythography مأخـــوذة من هذه المفردة. ويرى علماء اللغة أن مفـــردة Mythe مأخوذة أصلا من المفردة اليونانية Muthos.[٢] وإن كلمة Muthos لـــم تكن تعني أبدا الروايـــة أو الحكاية الخرافية[٣] بل بمعنى مفردة أو كلام أو قول وتؤخذ بنظر الاعتبار كاســـاس لإشتقاق Mythe ككلمة وقول يستخدم في وصف تاريخ الآلهة والكائنات فوق البشرية.[٤]

وجاء في تعريف اخر للاسطورة:

---

١. أســـدي، علي، «الاســـاطير: الكتابات والأقوال المرتبكة»، إســـتنادا إلى المصادر اللغوية العربية والفارســـية المعتمدة، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، www.maarefquran.com

٢. ضميران، محمد، «العبور من عالم الاسطورة إلى الفلسفة»، ص ٢:
"The encyclopedia of religion", p 261.

٣. المصدر السابق.

4. Same, p 261

إن الاسطورة بالمعنى الدقيق لمصطلحها Mythe ترمز إلى فئة من التعريفات الدينية (الدين بالمعنى العام للكلمة)، تتحدث بحبكة روائية ونشأة غير معروفة في الغالب عن الشخوص والحوادث والروابط والبلدان والمواقع والشؤون التى هى فوق طبيعية وخارقة للعادة وقديمة وبمنأى عن خصائصها الرئيسية، وتختلف تماما عن حقائقنا التى نعيشها يوميا. إن الشخصيات الاسطورية هى فى الغالب، الاللهة وتارة الحيوانات والنباتات والجبال أو الاَنهر.[١]

إن المضامين الأسطورية من قبيل مغزى الموت والحياة، وسر الهبوط ومصير البشرية و... كثيرة جدا، وتعد من الأمور التي ينشغل بها الانسان دائما[٢] لكن بما أن الاساطير تتطرق إلى الزمن الإبتدائي ونشأة الأمور، فان علم التكوين وكيفة نشأة العالم والانسان والكثير من الظواهر الاخرى، تعد من مضامينها الرئيسية. وتوجد الاسطورة في العديد من التقاليد والأفعال والأماكن والأشياء المقدسة، وهي تبين في الحقيقة مجمل الحياة الدينية للمجتمع. ويكمن أداؤها في الرد على أمور مثل تشكيل مجتمع ما ومغزى تقليد ما، وكذلك سبب ظهور طقس ومناسك خاصين وسبب حرمة بعض الأمور وسبب مشروعية اقتدار خاص ودلالة موت الانسان وعذاباته و... .[٣] وبناء على ذلك فان الاساطير هي رؤية ما تجاه الكون والنظرة العالمية.[٤]

إن الأساطير وفي ظل تأثرها بالتباينات السائدة في ثقافات الأمم أو امتلاك خصائص وميزات مشتركة لبعض الثقافات، تتمتع بتنوع مذهل.

ويقول **ميرتشا اليادة** في تعريف الأسطورة:

إن من الصعوبة بمكان إيجاد تعريف للاسطورة بحيث يكون مقبولا لدى

---

١. المصدر السابق.

٢. «الاسطورة في عالم اليوم»، ص ١٢.

٣. كزازي، مير جلال الدين، «الحلم والملحمة والاسطورة»، طهران، مركز للنشر، ١٣٨٧، ص ١٢.

4. The encyclopedia of religion, p 261&262

جميع العلماء وقابلا للفهم لدى غير المتخصصين. ومن ثم، فهل يمكن إيجاد تعريف شامل يغطى جميع أنواع ومجمل وظائف الاسطورة فى كافة المجتمعات القديمة والتقليدية. إن الاسطورة هى حقيقة ثقافية فى غاية التعقيد يمكن دراستها وتفسيرها من وجهات نظر مختلفة ومكملة لاحدها الاخر. والتعريف الذى هو فى تقديرى الشخصى، يحظى بنقص أقل من التعاريف الاخرى، ولكونه أوسع نطاقا من بقية التعاريف هو: «إن الاسطورة تحكى مصير قدسى وسماوى. إنها تروى واقعة وقعت فى الزمن الاولى، الزمن المذهل لبدء كل شئ.» بعبارة أخرى، فان الاسطورة تروى كيف أن حقيقة أكان مجمل الحقيقة [مثل] الكون أو فقط جزء من الحقيقة [مثل] جزيرة ونوع نبات خاص وسلوك وفعل انسانى، إنبثقت إلى الوجود من منطلق دولة السر وبفضل الاعمال الواضحة والبارزة للكائنات ما فوق الطبيعية. لذلک فان الاسطورة تنطوى دائما على رواية خلقة ما، أى أنها تقول كيف أن شيئا ما حصل ونشأ ووجد وبدأ حياته ووجوده. إن الاسطورة تتحدث فحسب عن شئ حدث فعلا وظهر بمجمله. إن أناس الاساطير هم كائنات ما فوق الطبيعة وخاصين عرفوا واشتهروا بسبب الاعمال التى قاموا بها فى الزمن الكريم والمعتبر لبداية كل شئ. إن الاساطير تعكس أعمالهم المبدعة وتبرز قدسية ممارساتهم وأفعالهم (أو فقط لكونها فوق الطبيعة). وخلاصة القول أن الاساطير تصف الدخول المختلف المفاجئ وأحيانا المأساوى لعنصر السماء (أو ما فوق الطبيعة) فى العالم. إن هذا الفوران والفيضان لعنصر السماء الذى يبنى العالم حقيقة، يؤسس ويرسى ويحوله إلى ما هو عليه اليوم. وفوق ذلک، فانه على إثر تدخلات الكائنات فوق الطبيعة، أصبح الانسان ما هو عليه اليوم، أى كائن زائل وفان وصاحب جنس وثقافة.[1]

١. اليادة، ميرتشا، «آفاق الاسطورة»، ترجمة جلال ستاري، طهران، توس للنشر، ١٣٦٢، صص ١٤-١٥.

وكما نلاحظ، فان ميرتشا اليادة بوصفه باحثا في مجال الميثولوجيا بـ«جامعة شـيكاغو» (ابريل ١٩٦٠) يعتبر شأنه شـأن **فردريش كروزر** و **وونت**، الاسطورة رديفا لـ mythe وينظر إليها من منظار باحثي تاريخ الاديان.

والكاتـب، وكما بينا بداية، افترض من منطلـق الميثولوجيا أن هذا العلم هو بمثابة علم كلام قسـم كبير من سكان العصر القديم، ومجموعة من الإنطباعات العامة حول الانسـان والعالم والتي تسـعى بطريقة ما لإيجاد أجوبة للتسـاؤلات العامة للانسان وتبيان الحوادث والتطورات التي مرت على العالم.

لكـن ما ذكره الكثير من علماء اللغة ومفسـري «القرآن الكريم» حول عبارة أسـاطير الأولين والاساطير في الآيات القرآنية، يعكس القصص الخرافية والكلام المتفـرق والمبعثـر والأباطيل التي أخذها بعض العرب مـن بين الأعمال الأدبية ونصوص الأمم الايرانية وبني اسـرائيل ونشـروها في مجتمع المسـلمين (صدر الاسلام).

وقد وردت مفردة الأساطير تسع مرات في القرآن في سور مختلفة هي «الانعام الآية ٢٥»، «الأنفال، الآية ٣١»، «النحل، الآية ٢٤»، «المؤمنون، الآية ٨٣»، «الفرقان، الآية ٥»، «النمل، الآية ٦٨»، «الأحقاف، الآية ١٧»، «القلم، الآية ١٥»، «المطففين، الآية ١٣» واستخدمت في كل موقع بصورة مركبة على شكل أساطير الأولين.

وحسـبما روى **ابن عباس**، فان مجموعة من زعماء الشرك بمن فيهم **أبوسفيان** و**عتبة** و**أبوجهل** و**الوليد بن مغيرة** إجتمعوا عند رسول الله ﷺ واصغوا للآيات التي كان يتلوها، وعندها سألوا **نضر بن حارث** عن رأيه عن كلام رسول الله ﷺ، فقال:

«قسـما بالذى جعل الكعبة بيته، لا أدرى ما يقول، إنى أرى فقط حركة شفتيه، إنه لا يقول سـوى أساطير الأولين، مثل الكلام الذى كنت أقوله لكم عن الأعصار والقرون الماضية.»[1]

١. الطبرسـي، فضل بن حسـن، «تفسير جوامع الجامع»، مشـهد، الروضة الرضوية المقدسة، مؤسسة البحوث

إن ناقلي القصص الخرافية والأساطير، شغفوا بصورة الحكايات الأسطورية السائدة بين الأمم الايرانية والعراقية والاخرين من دون الإطلاع على مبادئها وأسسها وكانوا يتناقلونها ويتداولونها في مجالسهم ومحافلهم، وكانوا يعتبرون من منطلق عدم الحكمة والعقل، القرآن وآياته الكريمة، بانها اساطير وحكايات وهمية.

إن حديثنا حول الأساطير، لا يعكس البعد الخرافي البحت والقصصي السائد والمسلّي أحيانا لدى المحافل (بزعم بعض العرب)، بل إن الكلام معطوف على التفسير الكلي والعام الذي كان لدى بعض أمم العصور القديمة حول الكون والوجود وكانوا ينظرون من منطلق ذلك التفسير والنظرة العالمية إلى العالم وينظمون علاقاتهم ويبينون تلك الإنطباعات في إطار مجموعة من الحكايات الخرافية والوهمية كنماذج وقدوات عريقة وشخصيات أسطورية.

الأساطير، بمثابة فقرة من تاريخ الفكر

إعتبر الباحثون الغربيون في مجال علم الاساطير وكما ذكرنا سلفا، اعتبروا الميثولوجيا بانها مرحلة من تاريخ الفكر وسير وسلوك وحضور الانسان في العصر العريق، ويرون أن إنطباعاتهم الاسطورية تعكس إنطباعاتهم الرمزية عن الكون و الوجود، لكنهم لا يتطرقون إلى المنشأ والمصدر الرئيسي لتكون هذه الإنطباعات. ولهذا السبب، يقولون أن كل تلك الاساطير، نابعة من الإنطباع الخرافي للانسان في مرحلة ما من حياته وتاريخه.

بعبارة أخرى، فان هؤلاء الباحثون ولاسباب سنذكرها تاليا، يجهلون المصدر الرئيسي لنشأة الاساطير، ويعتبرون الخطاب الاسطوري نابع من النظرة الخرافية وتارة الجاهلة للانسان في مرحلة من حياته في العصر القديم وعلى امتداد الأرض. وهذا الإنطباع، يعود إلى فكرة فلاسفة العصر الجديد للغرب. وهؤلاء ومن خلال

الاسلامية، ۱۳۷۷، ج ۱، ص ۳۷۲.

إضفاء الأصالة على التاريخ الغربي الحديث والمذهب الانسـاني وأصالة الانسان في العصر الحديث، إعتبروا أن الإسـتنتاجات الدنيوية عن العالم تكتسـي أكمل الإنطباعات. إن هؤلاء وخلال دراسـة تاريخ الفكر وحضور الانسان في الأرض، إفترضوا العصور الغابرة التي مرت بها البشرية، بانها تحاكي عصور الطفولة والحداثة والشـباب للانسـان الذي يصل إلى عصر كمال جسمه وعقله بعد تجاوزه لتلك المراحل. ولذلك فان مجمل الإنطباعات السـالفة للأمم، اعتبروها مراحل إبتدائية فيما يعتبرون العصر الغربي الحديث تجربة لكمال الانسان وعقلانيته.

ويقول المغفور له الاستاذ **محمد مددبور** في حوار بعنوان «المتشدقون بالتنوير الديني، لا هم مثقفون ولا متدينون» واستنادا إلى تعريف كونت عن المثقفف:

إن المثقف هو الشـخص الذى بلغ مرحلة يكون فيها فى غنى عن رئيس يرأسـه ويأتمـر باوامره. فلن يكـون بحاجة إلـى الله ولا النبى ولا إلى الرجال ... الإنسـان الذى تاه منذ عصر الطفولـة. وهذا التعريف ورد فى رسالة كونت الواقعة فى ثلاث أو أربع صفحات، الرسالة التى تعد بمثابة الكتاب المقدس للتنوير الفكرى والمثقفين.

وبتعبير اخر، فان الدورات التاريخية التى مرت بها البشـرية، تعد بمثابة تجاوز مرحلـة الطفولة والحداثة للبشـرية، والان فـى العصر الحديث، حيث يجرب الانسـان بلوغه وكماله ويقف على قدميه ويستغنى عن كل الإنطباعات الاسـطورية والدينية. وهذه الإنطباعات متعلقة بعهد ما قبل بلوغ البشرية ونضجها.[١]

وقد أصدر **بيكودلا ميرآندولا**، الأديب ومناصر المذهب الانسـاني الأيطالي الشهير، أمر تحرر الانسان من كل الإنطباعات والقيود السماوية وذلك في خطبة في باب عظمة الانسان على لسان الله ومتوجها إلى انسان العصر الغربي الحديث وقال:

١. اخر حوار مع المرحوم مددبور، موقع «الف» الإخباري التحليلي، صفحة الثقافة والفن، www.alef.ir

أيها الانسان، أنت لست مقيدا باى قيد وحدّ، وتقوم بما يتفق مع إرادتك، بتحديد حدود فطرتك باختيارك. لقد جعلناك فى مركز العالم، لكى يتسنى لك من هناك بسهولة مشاهدة كل ما يمكن لك أن تشاهده فى هذا العالم. إننا خلقناك لا من السماء ولا من الأرض ولا جعلناك فانيا ولا باقيا، لكى تتمكن بحرية واعتزاز وكأنك خالق ومعمار ذاتك، أن تحول نفسك إلى أى هيئة وشكل تشاء.[1]

ويقر الباحثون أن التعاليم والرؤية الأسطورية تعود إلى ما قبل التاريخ وقبل أن يسود تقليد الكتابة. وهذه التعاليم انتقلت من جيل إلى جيل وبين جميع التقاليد والطقوس، وتحولت في دورة تاريخية أي عصر الكتابة، إلى أعمال مكتوبة وخالدة. إن إستنتاجاتنا ودراساتنا بشأن تلك التعاليم، ناتجة عن الأعمال الاسطورية والملحمية المكتوبة في العصور اللاحقة.

ويأتي واضعو كتاب «تاريخ الفكر الاجتماعي» على ذكر هؤلاء القوم القدماء بانهم غير كاتبين، ويقولون:

بتقديرنا، فان القوم غير الكاتبين، هم قوم، لم يتوصلوا إلى الكتابة فى مسارهم الثقافى.[2]

ويقول هؤلاء الكتاب، حول الرؤية العامة لهؤلاء القوم كما يلي:

إن القوم غير الكاتبين، كانوا ينظرون إلى العالم من منظار أوضاع إجتماعهم الذى كان يدور بالضرور حول مدار سلطة الشيوخ والقادة البارعين، ويبيّنون ويشرحون الطبيعة والمجتمع. إن القصص الخرافية التى بقيت عن هؤلاء القوم، تجعلنا نتعرف على نظرتهم العالمية. وقد انعكست ذكريات ومذكرات حكم الشيوخ والقادة البارعين فى القصص

---

١. آد بلاستر، انطوني، «ظهور وسقوط الليبرالية الغربية»، طهران، مركز للنشر، ١٣٦٧، ص ١٤٦.
٢. بارنز، هري المر وبكر، هوارد، «تاريخ الفكر الاجتماعي من المجتمع البدائي حتى المجتمع الحديث»، طهران، أمير كبير للنشر، ١٣٧٠، ج ١، ص ١٣.

الخرافية المختلفة.[١]

ويقولون حول الأبطال الاسطوريين:

إن البطل الثقافى لا يخلق بالضرورة العالم والحياة، بل هو انسان شبيه بالله يقيم منظومة الحياة القائمة بين الناس.

... إن الأبطال الثقافيين وعلى الرغم من تمتعهم بالصفات الإلهية، فانهم أقرب إلى الانسان من الله ويفكرون بسعادته، مثلما أن بروميتيوس وقف بوجه ظلم الآلهة ذودا عن الانسان. إن بعض الابطال الثقافيين هم إنسانيون لدرجة أنهم ورغم صفتهم البطولية، ليسوا بمنأى عن بعض الصفات الانسانية الدنيئة مثل المخاتلة والإحتيال والدجل. وعلى أى حال، فان المجتمعات البسيطة تبّن جميع المظاهر الاجتماعية الكبرى رغم وجود الأبطال الثقافيين، وحتى أن الاجتماعات المعقدة تفعل الشئ ذاته.[٢]

إن ما تبقى في عصرنا من أساطير الأمم القديمة، يفتقد إلى الجوهر الاسطوري، فهي مجموعة من القصص الخرافية والحكايات والأعمال الأدبية التي وضعت على يد الشعراء وتعتبر من فئة الأعمال الأدبية، مثلما كان القوم في عصر النبي الأكرم ﷺ يتناقلون ويتداولون هذه الحكايات والقصص الوهمية لتكون وسيلة لتسلية الناس.

الرؤية الأسطورية العامة

إن أمما مثل اليونانيون والإيرانيون والهنود والمصريون والصينيون ممن يملكون ماض عريق وطويل في الحياة الثقافية والحضارية، تتمتع بأثرى وأغنى أعمال أسطورية منوعة ومتعددة.

---

١. المصدر السابق، صص ٤١-٤٢.

٢. المصدر السابق، صص ٤٢-٤٣.

إن ما تم تبيانه بشـــأن «النظرة العالمية» المستترة بين طيات التعاليم والأبطال الاسطوريين، فان ثلاثة موضوعات هي «خلقة العالم» و «الانسان» و «الطبيعة» تندرج ضمن أهم الموضوعات التي تتناول الأساطير. إن الإنطباعات والتوصيفات المقدمة حول العالم والانســـان (النظرة العالمية وعلم الكونيات) في الأساطير، لا تحظى لأسباب مختلفة بتماسك وخلوص وتواصل بين الاجزاء المنتشرة والمهدئة.

إن إختلاط وامتزاج مصادر وأســـس الإنطباعات الاســـطورية (الإختلاط بين الحق والباطل) وتدخل عناصر وســـطية غير خالصـــة (الكهنة والمعابد) وحضور وعمل قوى مـــاوراء الطبيعة غير الرحمانية (الشـــياطين) أدى إلى أن تكون الرؤية المقدمة في هذا المنظومة مشحونة بالإضطراب والتبعثر والشوائب وعدم التجانس.

ويرســـم مؤلفو «تاريخ الفكر الاجتماعي» هيكلية النظرة العالمية الاســـطورية ويشيرون إلى تمازج التعاليم المليئة بالظن والتضاد بين الكائنات والآلهة الاسطورية.

وقالوا حول مســـار الدين، بان المجتمع الانســـاني كان في البداية متجانسا وموحـــدا، وبناء علـــى ذلك كان يؤمن بروح موحدة عامـــة، لكنه ابتعد مبكرا عن التجانس وأصيب بانقسامات وتفرد، واصبح بالضرورة يؤمن بارواح خاصة ومتعددة. وبديهي أن الامم البســـيطة أضفت بما تتطلب مقتضيات مجتمعاتها، تشـــخصا على الارواح وقامت بتصنيفها. واتســـمت الأرواح بشـــخصية وصفات انســـانية. وأصبح بعض منها صالحا والاخر طالحا. لذلك نشأت الآلهة والملائكة وكذلك الشـــياطين. ومثلما يوجد في الأرض (المجتمع الانساني)، أشخاص أرفع وأعلى مرتبة من الاخرين وتوجد تراتيبية، ففي السماء، تجتمع الآلهة والملائكة والشياطين حســـب أهميتها فـــي هياكل وتنظيمات هرمية الشـــكل. وفضلا عن ذلك، وكما أن أي مجتمع ينظر إلى مجتمع اخر بنظرة متشـــائمة وشـــريرة، ويعتبر نفسه طيبا والاخر ســـيئا، فان كائنات السماء تتمركز في قطبين. الآلهة والملائكة والشياطين الأصدقاء في مواجهة الآلهة والملائكة والشياطين... .

وواضح بان الأمم البســـيطة لا تبدي اهتماما بالغا بالبعد اللاهوتي للدين، ولا

تأخذ الأمور فوق الطبيعة والآلهة على محمل الجد كما يجب.

وكتب رادين بهذا الخصوص ما يلي:

إن إحدى القصص العذبة لقوم فينه باغو، هى قصة رجل أنكر سلطة أكثر إله [اسطورى] قومه رهبة ولاهوتية والذى كان يدعى «مسبب المرض» واستهان بحضور عامة الناس بذلك الإله. وبعد فترة، ظهر ذلك الإله على الرجل الشكاك ووجه إصبعه نحوه للقضاء عليه وتدميره، لكن الرجل لم يتحرك من مكانه، وتضرع الإله «المسبب للمرض» إلى الرجل لكى يموت برغبة منه لكى لا يسخر الناس من قدرته الإلهية.

ويضيف هذا الباحث:

إن قوم فينه باغو شأنهم شأن سائر الأمم البسيطة، وعلى الرغم من إستسهالهم بالأمور فوق الطبيعة، كانوا يتشددون ويتصعبون بشأن أمورهم المقدسة وأو تقاليدهم.

إن التصور الذي يحمله الانسان الابتدائي عن العالم الاجتماعي، يبدو غريبا بالنسبة لنا... [وبرأيه] فان المجتمع يشبه العالم الخارجي، ليس راكدا أبدا ... وفي الوقت ذاته... فانه دائما كما كان، لا يتغير ومتشابه وموحد. إن بامكان الفرد أن يرتكب الذنوب حول الشؤون المتغيرة للمجتمع وأن يبقى بمأمن عن العقوبة الغليظة، لكنه إن تمرد على المجتمع، فيجب عليه أن يعد نفسه لمغادرة المجتمع أو الموت. وربما لهذا السبب لا يوجد في المجتمع الابتدائي أشخاص شكاكون وعديمي الإيمان والإعتقاد ولا يتمرد أحد أبدا على هيكلية المجتمع.

لذلك فان المجتمع البسيط غير الكاتب، هو مجتمع ميال للتقاليد أو مقدس، لكنه ليس بالضرورة مجتمعا لاهوتيا أو دينيا.[1]

١. «تاريخ الفكر الاجتماعي»، المصدر السابق، صص ٥٢-٥٥.

الأوجه المتسمة بالشرك للإنطباعات الأسطورية

إن الأرباب والآلهة والانسان الاسطوري يتحركون على نطاق واسع. من أقصى السماء حتى أعماق الأرض المجهولة. بعبارة أخرى، فانهم يتأرجحون دائما في جغرافيا عرش الرحمن حتى فرش الشيطان. إن هذا التغير والتبدل، يتجلى في الهيئة الظاهرة والصفات الأخلاقية للكائنات الاسطورية. ومن هنا، فان الباحث الواعي والمتيقظ، يلاحظ الإنطباعات الدينية الحقيقية في صورة وسيرة الاساطير بنفس قدر ملاحظته لها في الإنطباعات الشيطانية البحتة.

وهذا الأمر، يزيح الستار عن التمازج المذهل للتعاليم الماورائية الأسطورية الشيطانية والرحمانية. إن المعتقدات الاسطورية وبسبب تعدد الآلهة والأرباب، تقع في أقصى مرتبة من الشرك في العبادة، وأزالت أي إمكانية للوحدة في العقيدة والأسلوب.

ويقول **ويل ديورانت** حول المعتقدات الدينية لليونانيين القدامى:

إن المعتقدات الدينية وبنفس قدر مساهمتها فى توحيد اليونانيين، ساهمت فى تباعدهم وفرقتهم. وكانت تحت لواء الأرباب الأولين الأولمبيين الذين كان الجميع يحترمونهم ويعبدونهم، فرق وسلطات أكثر انسجاما، لم يمتثلوا لزيوس. إن التباعد السياسى والقبلى أذكى تعدد الآلهة والأرباب وجعل التوحيد وعبادة إله واحد مستحيلا. وفى اليونان القديمة، كان لكل أسرة إله خاص بها، وكانت نيران المشعل، تشتعل باسمه على الدوام، وكانت تقدم له الطعام والشراب. إن هذه الطقوس المقدسة، أى تقديم الطعام للآلهة كانت أهم الطقوس الدينية التى تقام فى المنازل. وكانت الولادة والوفاة والزواج تقام فى ظل طقوس تجرى فى مقابل النار المقدسة للأسرة. وبذلك فان الدين اكتنف فى حالة شاعرية وغامضة، الشؤون الأولية لحياة البشرية واستحدث طقوسا لإقامة التوازن. وكل طائفة وقوم وقبيلة ومدينة، على غرار الأسرة كانت تملك

الآلهــة الخاصة بها. وكانت «آثينة» إله مدينة أثينا، و «دمتر» إله مدينة «اليوســيس» و «هرا» إلــه مدينة «ســاموس» و «آرتيمس» إله مدينة «افســوس» و «بوسيدن» إله مدينة «بوسيدونيا.» وفى وسط كل مدينة وفى أعلى قســم منهــا، كان يقام معبد إله تلك المدينة. إن المشــاركة فى طقوس عبادة الإله، كانت تشــكل رمزا وامتيازا وضرورة للمواطنة. وفــى الحــروب، كان أهالى كل مدينة يرفعون وجــه إلههم الخاص بهم كعلامة وشعار لهم، فى مقدمة الجيش، وقبل القيام باى عمل خطير، كان يستشيرون ويستمدون من علم الغيب لديه.[١]

إن دراســة النمــاذج المختلفة للشــخصيات والأبطال الاســطوريين للامم المختلفــة (مصر واليونان والهنــد و...) يجعلنا نواجه أوجه اشــتراك من الوجوه والخُلق والســلوك، وأن نضطر للإقرار والإعتراف بالنشــأة الموحدة لصدور هذه الإنطباعــات، رغم أن الخصائــص الاقليمية والجغرافية لــكل قوم وأمة، أضفت طابعها ولونها بالضرورة على الأبطال، بما في ذلك:

١. إن هــؤلاء الابطال والنماذج الاســطورية لدى عامــة الامم، كانت تذكي المعتقدات المتسمة بتعدد الآلهة والشرك.

ويقول **ويل ديورانت** حول تراتيبية آلهة اليونان:

يمكن تقسيم الكم الهائل من الآلهة اليونانيين إلى سبع مجموعات وهى: آلهة الســماء وآلهة الأرض وآلهة الأرض الخصبــة، وآلهة الحيوانات، وآلهــة تحت الأرض وآلهة الأقدميــن أو الأبطال وآلهة الاولمبى، وكما قال هزيوت فان تعلم أسماء جميع هؤلاء الآلهة أمر عصيب للغاية.[٢]

ويقول **ألبر ماله** حول الآلهة المصريين الكثر:

---

١. ديورانــت، ويليام جيمز، «قصة الحضارة»، ترجمة أحمد ارام واخريــن، اليونان، اصدارات مركز تدريب الثورة الاسلامية، ١٣٧٢، ج ٢، ص ١٩٧.

٢. المصدر السابق، ص ١٩٩.

إن الأمة المصرية التى كانت تحب الدين بالكامل، كانت مشركة. فكانوا [المصريون] يعبدون آلهة عديدة ويعبدون الحيوانات المقدسة، وكانوا يحنطون أجساد الموتى من أجل الحفاظ عليهم...

ويقول هيرودوت، أن الأمة المصرية كانت من بين النوع البشرى، أكثر تقيدا والتزاما بالدين. إن هؤلاء الناس وطوال تاريخهم من البداية وإلى النهاية، كانوا يتمسكون لاكثر من ثلاثة الاف سنة بانواع وأنماط المعتقدات والطقوس الدينية التى يصعب علينا اليوم فهمها ولم يتخلوا عنها.

ولم يكن أن يعبد شعب مصر كله عدة آلهة مشتركة، بل أن كل مدينة كان لها آلهتها الخاصة بها. ومع ذلک، حان زمن، انتشرت فيه عبادة بعض الآلهة فى أرجاء مصر. وكلما أصبحت مدينة أهم واكثر اعتبارا وقيمة، كلما ازداد اعتبار ومصداقية إلهها، بحيث أن البقرة «أبى» كانت تعبد من قبل مدينة «ممفيس» فى بداية الامر، لكنها تحولت فى النهاية إلى معبود مصر كلها.[1]

وبسبب قدم تاريخ «مصر» أو «سومر» واستنادا إلى التاريخ المكتوب، فان تاريخ البشرية يبدأ من هذه المنطقة. وربما يمكن القول، أن مصر هي أقدم مدينة في العالم. وفي اللغة، فان مصر تعني المدينة. وعندما فتح العرب مصر للمرة الاولى في صدر الاسلام وبنيت فيها أول عاصمة عربية، قالوا: إن ما بنيناه هنا، هو مصر، أي المدينة. ويطلق على مصر في الإفرنجية «Egypt» وباليونانية «آيغيبتوس»، أي التراب الأسود. وهذا هو في الحقيقة الإسم الذي كان يطلقه المصريون على تراب ضفاف النيل.

ومصر في جانب اخر، تعني النيل. وكانوا يطلقون على مصر عطاء النيل. ومن

١. مالة، ألبر وجول، ايزاك، «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، ترجمة عبد الحسين هجير، طهران، مكتبة ابن سينا، الطبعة الثانية، ١٣٣٢، ج ١، ص ٤١.

دون النيـــل، فان مصر هي أرض قاحلـــة جرداء وبلا ماء ونبات، انبثقت من قلب الصحراء الافريقية.

وعاصمة مصر هي «القاهرة». وهي مدينة قديمة في مصر، ومدينة اســـلامية. وقبل الاســـلام لم تكن القاهرة موجودة. وقد بنيت بجانب مدينة مصر القديمة. وقد بنى المســـلمون، القاهرة في القرن الرابع في عهد عمرو بن العاص الذي فتح مصر في حوالي السنة العشرين للهجرة.

وتقـــع أهرام مصر بجانب القاهرة، وتظهـــر أكثر مبنى تاريخيا عظمة وذهولا. وهذه الأهرام العجيبة، تحتضن مجمـــل تاريخ مصر ومجمل ثقافتها ودينها. وقد اختزلت هذه الأهرام مجمل الماضي الحضاري والعلمي لمصر القديمة. إن الأهرام في الحقيقة أضفت معنى ومغزى على مجمل رؤية بانيها ومصمميها المصريين.

وإن إتجهنا من ضفاف نهر النيل نحو الأســـفل، نصل إلى مدينتين قديمتين مشـــهورتين. أحدهما مدينة «ممفيس» التي تحتوي على أنقاض عصر الفراعنة، وإن تحركنا بالإتجاه المعاكس، سنصل إلى مدينة اخرى هي «تبس» أو «تباي.» وبالقرب من سد «أسوان» هناك قصور عظيمة شامخة ممتدة نحو السماء وكانت مقام حكام مصر القدماء.

وبناء على شـــواهد وأدلة، فان تاريخ مصر بدأ منذ قبل خمســـة الاف ســـنة. القرون التي شأنها شأن جميع الأمم القديمة، تربط تاريخ مصر باساطيرها. وماعدا اليونان ومصر، فان الأديان الهندوســـية مليئة بتعدد الآلهة والإنطباعات المتسمة بالشرك.

ويقـــول **جان بـــي ناس**، مؤلف كتـــاب تاريخ الاديان الشـــامل، حول الأديان الهندوسية:

من بين أديان العالم، فان الديانة الهندوسية هى مثل جراب تاجر مشرقى متجول، ملئ بالنفائس القديمة والمقتنيات الجذابة العريقة، ويمكن القول بالتأكيد أن دينا كهذا حافل بكل المشـــاعر الدينيـــة والعواطف المذهبية

إلى حد ما...

إن تنوع وتعقيد المعتقدات فى الديانة الهندوسية، واسع النطاق لدرجة أنه يجب تمييز حدودها الواسعة بالمعانى الضيقة والمحدودة... .[١]

ويعد «ريك ودا» إحدى مجموعات الكتب المقدسة والقديمة للهندوس وهي حافلة بالأشعار الدينية وتقع في عشرة مجلدات. ويقول جان بي ناس حول تنوع أشعار هذا الكتاب ونسب كل قطعة منه إلى أحد الآلهة الهندوسية:

إن ريك ودا يعنى قِطع الحمد والثناء. ويطلق على كل قطعة بالهندى القديمة «منترة.» وهذا الكتاب هو مجموعة من الأشعار الدينية ويتالف من عشرة مجلدات، ويتضمن ما يزيد على الف قصيدة شعرية تظهر القوة المبدعة للأجيال المتتالية لأفراد البشرية. وفى الأزمة الغابرة، فان تلك المنظومات والقطع الشعرية سجلت فى الصدور بصورة شفافة وثبتت فى الأذهان. وكتب على ما يبدو فى حوالى القرن الثامن قبل الميلاد. وهذه الأناشيد والاشعار هى بالجملة على هيئة مناجاة وأدعية، وهى جميعا تتوجه إلى واحد أو إثنين من الآلهة القدامى وتظهر أروع وأجمل هيئة لعبادة الطبيعة. [٢]

ويقول **البر مالة** حول آلهة «كلدة»:

وفى بداية الامر، فان كل مدينة فى كلدة مثلها مثل مصر، كانت تملك إله خاصا بها. وبعد تشكل الدولة العظيمة، انتشرت عبادة آلهة البلاد المختلفة وتحول إله العاصمة إلى رب الأرباب. وبذلك وفى عهد «حمورابى» حيث كانت «بابل» عاصمة «كلدة» فان إله هذه المدينة الذى كان يدعى «مردوك» أصبح رب أرباب كلدة. وبما أن عاصمة دولة «اشور» كانت مدينة «اشور» فى البداية وكان إله تلك المدينة

١. «التاريخ الشامل للأديان»، المصدر السابق، ص ١٣٠.
٢. المصدر السابق، ص ١٣٥.

يدعى «اشور»، فقد تحول «اشور» إلى رب أرباب الناس.[١]

ويقول مؤلف كتاب «تاريخ شعوب الشرق واليونان» ردا على سؤال حول الآلهة الذين كانوا يحرسون دولة «بابل» بصورة خفية:

لقد كان عدد الآلهة كبيرا، لان قوة خيال الناس لم يكن لها حدود، كما أن الإحتياجات التى كان يرى الناس أنهم يريدونها للآلهة كانت غير محدودة. ووفقا لإحصاءات رسمية أعدت فى القرن التاسع قبل الميلاد، فان عدد الآلهة بلغ قرابة ٦٥٠٠ إله. وكل مدينة، كان لها إله خاصا بها لحراستها.[٢]

وكان الآلهة الفلكيين، أقدم الآلهة، مثل «آنو»، القبة الزرقاء و «الشمس» والقمر و «بل» أو «بعل» ... وكان لكل أسرة، إله منزليا كان يطلقون عليه اسم الصلاة، وكانوا يوزعون الشراب فى كل صباح ومساء من أجله. وكل شخص كان له إلهه الخاص به لحفظه وكان الإله يحمى هذا الشخص من الإفراط فى الأحزان والأفراح.[٣]

٢. إن ما يبدو أثناء دراسة المعتقدات الدينية (الرؤية الأساطيرية) للأمم القديمة، بعد تعدد الآلهة، هو تدنس هذه الآلهة بالصفات الشيطانية المذمومة والرذائل الاخلاقية. وكان هؤلاء يتقدمون في بعض الأحيان على سائر الكائنات في أظهار الرذائل والدناءة.

بعبارة أخرى، فان هؤلاء لم يكونوا منزهين وبمنأى عن صفات مخلوقاتهم، بل كانوا يتصفون باكثر الصفات شيطانية. ولذلك فانهم كانوا حاضرين على نطاق واسع من «عرش الرحمن» إلى «فرش الشيطان».

ويقول **ويل ديورانت** في هذا الخصوص:

---

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ص ٨١.
٢. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٧.
٣. المصدر السابق.

إن أساليب عبادة اليونانيين كانت متنوعة للغاية على غرار تنوع الآلهة اليونانيين. فكان اليونانيون يعبدون آلهة الأرض، من أجل درء شرورهم، لكنهم كانوا يعبدون آلهة السماء بخلوص نية.

واليونانيون الذين كانوا يتأرجحون بين آلهة الأرض وآلهة السماء، كانوا يتبعون الالاف الخرافات. إن الناس السذج الذين كانوا يرون بان الدين اليونانى ملئ بالرعب والخوف، كانوا بحاجة إلى الخرافة من أجل إرضاء أنفسهم.[١]

ويقول **ويل ديورانت** حول آلهة المصريين:

إن الآلهة أنفسهم كانوا يلجأون إلى السحر والشعوذة من أجل إيذاء أحدهم الاخر.[٢]

إن دراسة عموم أساطير الأمم السالفة، توصلنا إلى هذه النتيجة بأن السجايا الاخلاقية السامية لم يكن لها مكان ومكانة لدى الآلهة الأسطورية المدنسة بالشرك.

٣. الأرباب والآلهة تظهر نفسها بانها حقيقة وذي أثر.

إن أبرز موضوع في مجال تحديد الآلهة والأرباب والأساطير المقبولة والمعبودة من قبل الأمم القديمة، هو تجسيدها على هيئة انسان أو حيوان أو تركيبة من الإنسان والحيوان، وماعدا ذلك، فان بعض الأمم، كانت تضفي بعدا ألوهيا على بعض الظواهر الطبيعية مثل الشمس والقمر وكانوا يعبدونها.

وجاء حول اليونانيين القدماء:

إن شعب اليونان مثله مثل العديد من الأمم الاخرى، كان يضفى على جميع المظاهر الطبيعية بما فيها الشمس والرعد والمحيط والعاصفة

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، الكتاب الثاني، ص ٢١٤.
٢. المصدر السابق، ص ٢١٧.

والأنهر والينابيع والرياح والأمطار، مقام الألوهية وكان يعبدها.
وكان هؤلاء يعتبـرون تلك الظواهر بانها كيان غير مرئى ومصدر الخير والشرّ، ولذلك كانوا ينشـغلون بعبادتها، لكى تبدى هذه الظواهر لطفها لهم وتحتجب عـن ايذائهم، لكن وبما أن قوة الخيال لدى الأمة اليونانية كانـت أكثر حدة من الأمـم الاخـرى، وكان بينهم الكثير من الشـعراء والفنانيـن، لذلك كانوا يبـدون معتقداتهم فى هيئة الشـعر أو هيئة من هيئات الفن.[1]

إن المعتقدات الاسـطورية بالنسـبة لنا وفي عصرنا وفي نظرتنا الاولى، تبدو قصصا خياليـة. ولذلك، نعتبر على الفور تلـك الإنطباعات بانها حصيلة جهل الأمم السـالفة على مساحة واسـعة من جغرافيا الأرض، في حين أن الامر ليس كذلك. وبالرغم من أن الرؤية الأسطورية ليست من نوع المعرفة التجريبية الحسية مثلما هو متداول اليوم في التاريخ الغربي، لكنها نابعة من نوع من المعرفة الواقعية (لا الحقيقية). الواقعية بمعنى بان العلم العصري يقول: يكون أو ممكن أن تكون هناك أشياء اخرى، لا أن يكون العلم يكذب، لكن قد تكون هناك أشياء اخرى.

إن الانسـان الذي يكتسـب هذه الرؤية يؤمن بان هناك قوى ما فوق الطبيعة ويعتقد بان هذه القوى حقيقية. ولهذا السـبب فانها حقيقية. وكان هؤلاء يؤمنون بان الكائنات التي كانوا يتوسلون إليها أو يسعون للفت انتباهها تجاهم، ويخشونها أحيانا، هي حقيقية، لا أن يكونوا هم يجسـدون تلك الكائنات من منطلق الوهم والخيال.

وكان هـؤلاء يؤمنون بانهم على معرفة بالعالم وقوى الخير والشـرّ المنتشـرة فـي حواليهم. إنهم لم يسـتطيعوا القبول بان ما يجري فـي حواليهم مثل هطول الامطار وأزيز العواصف والطوفان، يجري من دون دليل وسـبب ومن دون مسبب ومسـتحدث، بل كانوا يعتقدون بان قـوة أو إله، يمتلك صلاحية ووظيفة المجئ

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، الفصل ١٢، ص ١٧١.

بهذه الظواهر وإزالتها. وبنـــاء على هذه المعرفة والتجربة، كانوا يتخذون إجراءات ويعتمـــدون تقاليد واداب ويقومون بعبادات، من أجل اجتذاب قوة خاصة أو صد القوى الضارة في سبيل الذود عن أنفسهم.

والحديث يدور حول أنه بلاشـــك بان هـــؤلاء كانوا يمتلكون ذلك القدر من الفهـــم والمعرفة بالا يتابعوا مـــن دون تجربة النتائج والاثـــار الحقيقية لتوجهاتهم الاسطورية لمئات بل الوف السنين والا يقحموا ذلك ضمن معتقداتهم الحقيقية. إن ســـعينا وجهدنا منصب على كشف وتبيان مصدر ونشأة مجموعة المعتقدات والرؤى الاســـطورية. وإن كان مصدر ونشأة كل هذه الإنطباعات وبعدها التقاليد والاداب، تخيـــلات شـــاعرية بحتة، فانه لا يمكن لها أن تدوم لالوف الســـنين. واليوم وبعد مرور الوف الســـنين، فان قسما كبيرا من سكان القارة العريقة (الصين والهند و...) مازالوا يمشون ويسيرون في الأرض تأسيسا على تلك التجربة والرؤية ويعتبرون معتقداتهم مقدسة ويدافعون عنها ويحمونها.

إن القاسم المشترك والإنطباع العام لاساطير الأمم القديمة يتمثل في أن العالم نصفه طبيعي ونصفه مـــاوراء الطبيعي. إن العالم الماوراء الطبيعي يؤثر على العالم الطبيعي ويضفي عليه شـــكلا وهيئة، وأن حياة الانسان تخضع لمشروع وتخطيط هذا العالم الماوراء الطبيعي المتجسد في الأساطير والآلهة والأرباب الاسطوريين.

ولا يجب إغفال هذه النقطة الظريفة ألا وهي أن التعالم الأسطورية التي تدور أحيانا حول خلق الكائنات أو حول حياة الانسان، تقترب من المعتقدات الدينية التوحيدية تارة وتبتعد عنها تارة اخرى لمسافات بعيدة.

إن وجود بعض القواســـم المشتركة في هيئة الشخصيات الاسطورية والحوادث والوقائع التي طرأت لهم، بين أســـاطير الأمم التي كانت تعيش بعيدة عن بعضها البعض بالاف الفراســـخ على الكرة الأرضية، يوصلنا إلى نتيجة مؤداها بان نشـــأة هؤلاء كانت موحدة في حالات خاصة على اقل تقدير.

إن الأســـاطير اليونانيـــة هي أقرب بشـــكل مذهـــل في الصورة والســـيرة إلى

الشخصيات الانسانية.

إن تصوير ورسم الآلهة على شكل انسان [والصفات الانسانية] يطلق عليه اسم مذهب التشبيه...

إن الشاعر [هومر] الذى كتب «الإيلياذة» يستحضر الآلهة فى ساحة القتال ويجعلهم يصابون ويجرحون ويتألمون أحيانا.[١]

وأصبح **زيوس إبن كرونوس**، إله اليونان المعتمد. وقد صوروه على هيئة انسان وجعلوه زاخرا بالجبروت والكبرياء، بناصية واسعة وشعر كثيف ولحية كثة. وكان زيوس في اليونان «رب الأرباب وإله الأسد» وكان يعد من مظاهر الآثار السماوية.[٢]

٤. إن الإنطباعات الأساطيرية على صلة وثيقة وغريبة بالمعابد والكهنة، وكما ذكرنا في الاقسام السابقة حول الكهانة والثقافة المعبدية، فان الكهنة والمعابد لدى الأمم القديمة، كانت تمثل الوسيط وهمزة الوصل بين الآلهة والناس، وكانت تفسر الإنطباعات وتتلقى الهدايا والنذور.

ولهذا السبب، فان ثمة صلة وثيقة خاصة بين المعتقدات الأسطورية لهؤلاء الأمم والثقافة المعبدية.

ويقول **ألبر ماله** حول آلهة «معبد دلفي» وكهنته:

لقد كان أهالى اليونان يؤمنون إيمانا غريبا بـ«ابولون» وكانوا يأتون إلى «دلف» للتشاور معه. وكان «دلف» يعيش فى سفح جبل «بارناس» وفى موقع، تقول الحكايات القديمة، أنه قتل هناك افعى بيطون بسهامه. وكان «ابولون» يوصل[٣] **رسائله إلى الجمهور بواسطة كاهنة تدعى «لابيطى». إن اليونانيين الذين كانوا يعيشون فى عالم ملئ بالقوى اللاهوتية وغير الطبيعية، كانوا يظنون بان حوادث الحياة، مرتبطة بارادة الشياطين**

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ص ١٧٢.
٢. المصدر السابق، ص ١٧٣.
٣. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٩.

والأرواح والآلهة. لذلک ومن أجل التعرف على إرادة الآلهة والشياطين والارواح، كانـوا يلجأون إلـى العرافين والكهنة والمنجمين ومفسـرى الأحـلام ويستشـيرونهم بشـأن حياتهـم ومعيشـتهم. وكان المنجمون والعرافون المحترفون يوظفون أحيانا لدى الأسـر والجيوش والحكومات ... وكان يوجـد عدد كبير من العرافين فى العديـد من معابد اليونانيين. وأكثر شـهرة ومكرمة فى العصور القديمـة، كان عرافو معبد زيوس فى «دودونـا» وفى الدورة اللاحقـة، عراف ابولون فـى دلفى. وفضلا عن اليونانيين، كان الاجانب يستشـيرون عرافى معبد دلفى، بحيث أن الروم كانوا يرسلون موفدين إليه ليستفسروا منه إرادة الآلهة. وكان اليونانيون يعتبرون النسـاء أكثر جهوزية واستعدادا لقبول الوحى والإلهام. ولذلک كانت ثلاث نساء مسنات يخدمن فى معبد ابولون. وفى هذا المعبد، كان غاز غامض يتسـرب من الشـق الموجود فى أرضية المعبد. وكان الناس يقولـون أن هذا الغاز يخرج من جثة افعـى تدعى بوتون كانت قد قتلت على يد ابولون. وكانت المرأة العرافة، جاهزة لتقبل الوحى، وتجلس خلف طاولة ثلاثية القوائم وتستنشق الغاز كريه الرائحة وتمضغ أوراق مخدرة وتسقط وهى فاقدة الوعى والقدرة. ومن ثم كانت تتمتم وتنطق بكلمات غامضـة، وكان الكهنـة يترجمونهـا للحضور. وكان الكثيـر من الكهنة والعرافين، يتلقون الرشوة ليتحدثوا حسبما يرغب الشخص الراشى.[١]

ويقول مؤرخ «التاريخ الشامل للأديان» حول سلطة كهنة «بابل»:

لقـد كان البابليون يتوسـلون إلى كهنتهم وزعمائهـم الدينيين من أجل الإسـتمتاع بالبركات ومواهب الحياة ونعمها، ويسـتعينون بهم فى أمور عدة بمـا فيها تقديـم القرابين والأضاحـى والتمائم والأدعية ودراسـة الكواكب والفلک، ويصغون إلى صوت الناى والأناشيد والموسيقى أثناء

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٩.

العبادة والخضوع فى حضرة الآلهة.

وكانت صلواتهم وطقوسهم الدينية طويلة جدا، وكانوا يؤدونها من أجل تليين قلوب الآلهة. وعندما كان الآلهة لا يقتنعون ويرتضون بهذه التعاويذ والتمائم، كانوا يستخدمون الرقى والطلاسم التى كانوا يزعمون أنها تؤثر على مزاجية الآلهة وتدفعهم لقضاء حوائجهم وأن تستسلم أمامهم الأرواح الشريرة، وكان عبّاد الإله «عشتر» يدفعون مبالغ طائلة للكهنة ليجعلوا ذلك الإله متناغما ومتفقا معهم...

وكانت سلطة كهنة بابل، منتظمة ومؤسسة الكهانية مرتبة للغاية، وكان هؤلاء أناس نشطون يؤدون أعمالا كثيرة لأصحابهم. وبدأت تعاليمهم طبقة بطبقة منذ عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد، ويمكن تسمية ورشتهم، بمشغل المعبد. وكان المعبد وحدة قوية ويملك أموالا وأراض وفيرة وجهازا للتكسب والتربح المنتظم، ودفاتر منظمة من أنواع الطين، يسجلون فيها مداخيلهم ونفقاتهم بدقة.

وكان الرجم فى الغيب، يعد مهنة من مهن الكهنة. وكانت جماعة منهم متخصصة فى تفسير الأحلام، أو تكهن الحوادث الطبيعية. خاصة أن فنا خاصا كان سائدا ورائجا لدى هؤلاء وهو الرجم بالغيب بواسطة كبد الخروف... .[١]

لقد كان الايرانيون القدامى وفي ظل مجموعة من الأساطير والآلهة (قبل الزرادشت) يؤمنون بنفس العقيدة التي كانت تتجلى في عبادة القوى الطبيعية.

ويقول **جان بي ناس** حول الزعماء الروحيين للايرانيين القدامى:

إن الإيرانيين القدامى كانوا يعبدون هذه القوى الإلهية والبعض الاخر (الذين زالت أسماؤهم ونسيت، لكنها تشترك لفظيا ومعنويا بالتأكيد مع أسماء الآلهة المذكورة فى ريک ودا) وكانوا يقدمون لها القرابين

---

١. المصدر السابق، صص ٤٥١-٤٥٢ .

والهدايا تحت السماء الصافية وبجانب المحراب وبحضور الموبدين (الزعماء الدينيون) وكانوا يعبدون النار، وكانوا يستخرجون شرابا سماويا ومسكرا من خلاصة نبات مقدس يدعى هوما (السوما المذكور فى ريک ودا)، وكانوا يشربونه لكسب الخير والبركة.[1]

۵. التلوث بالسحر والشعوذة

وإستنادا إلى كل ما ذكر حول الثقافة المعبدية والكهنة والتقاليد والطقوس الدينية والكائنات الاسطورية وكيفية تواصل الأمم والشعوب مع الآلهة والكهنة، يمكن الإستنتاج بان:

إن أيا من أمم العصور القديمة وطقوسهم الدينية الاسطورية، ليست منزهة عن السحر والعلوم الغريبة والكائنات العضوية ماوراء الطبيعية، بما فيها الجنّ. وكما أن مصر تعد من أقدم الحضارات البشرية، فان سحر المصريين يعد هو الاخر من أقدم تقاليد سكان العصور القديمة.

وبناء على ذلك يمكن الإقرار والإذعان بان الإنطباعات الأسطورية والمنتمية للثقافة المعبدية للأمم القديمة، كانت ممتزجة دائما بالعلوم الغريبة وتواصل الكهنة مع القوى ماوراء الطبيعية الخاصة أي السحرة والجنّ.

وفي لغة مصر القديمة، فانهم لم يكونوا يعرفوا كلمة الدين Religion وأن أقرب مفردة إلى هذا المعنى كانت مفردة حكا Heka وتعنى بصورة عامة السحر والشعوذة.

ويقول **المان جارندر** في هذا الخصوص:

ومن وجهة نظر المصريين القدامى، لم يكن هناک شئ اسمه الدين، بل كان يوجد حكا، وأقرب مفردة إلى معنى حكا، هى القوى الساحرة.

---

۱. المصدر السابق، صص ٤٥١-٤٥٢.

وكانت الحضارة المصرية تنظر إلى حكا، ككائن إلهى.[١]

ومفردة Magic باللاتينية تعني السحر، وأخذت من مفردة Magos اليونانية، وكان اليونانيون في القدم يطلقون اسم Magos على الكهنة والعرافين الذين كانوا يأتون من ايران وارض ما بين النهرين.

وكان اليونانيون يخشون هؤلاء الكهنة والعرافين، لان هؤلاء كانوا يملكون قدرات مُحيّرة، كان اليونانيون عاجزين عن فهمها ودركها، وسبب خوف اليونانيين يعود إلى عدم فهم عمل هؤلاء العرافين.

ومفردة Magos مأخوذة هي الاخرى من مفردة فارسية جذرها «مغ» (Mog, Megh, Magh) وتعني الكاهن أو الحكيم الماهر وأن كلمة Maghdim الكلدانية مأخوذة من هذه المفردة أيضا، وهذا المصطلح يعني الفلسفة المقدسة التي تسمى جوهر الحكمة.

وقال **افلاطون** حول شعب مصر: **إن المصريين القدامى، كانوا يصفون اليونانيين بالطفل بسبب معرفتهم المتدنية جدا بالعلوم الروحانية (السحر).**

وكانت مصر تعرف منذ القدم بالسحر، وكانت شهرة السحر في هذه البلاد منتشرة في كل مكان.

وكان السحر في مصر القديمة، يحظى بمكانة واهمية خاصة وكان سائدا بين جميع فئات وشرائح المجتمع.

وكان السحر على صلة وثيقة بمعتقدات المصريين القدامى وكذلك افكارهم الدينية وحتى انهم مزجوا السحر بمعبوداتهم واعتبروه من مواهب وعطايا الآلهة، وحتى أن السحرة، كانوا من فئة كبار رجال الدين. وكان السحر في معتقد شعب مصر القديمة يتمتع بمنزلة خاصة ومهمة ويشكل أحد الأسس المهمة لحياة الناس، لان السحر كان يلعب دورا في حياة الناس، وكان سائدا في كل طبقة

١. بدج، واليس، (١٨٥٧-١٩٣٤م)، «السحر في مصر القديمة»، ترجمة وتقديم عبد الهادي عبد الرحمن، بيروت، مؤسسة النشر العربي، ١٩٩٨.

من المجتمع، لكن السحر لدى الملوك، كان يختلف عن مثله لدى الأشخاص العاديين، وفي العصر القديم، لم يكن المصريون وحدهم الذين يمارسون السحر، بل أن السحر كان سائدا ورائجا في الحضارات والثقافات الاخرى، لكن مصر كانت تقع في مقدمة البلدان التي تعرف السحر وتستخدمه.

وقد امتدح اليونانيون، معرفة المصريين بالسحر، وقد ورد ذكر سحرة مصر في قصة النبي **موسى**عليه السلام في القرآن الكريم، وأن تكون تلك العصا معجزة النبي موسى عليه السلام فهذا يظهر بان المصريين كانوا بارعين كثيرا في السحر، لان أي معجزة تطرح في أي مكان وزمان من قبل نبي ما، تؤكد ان أهالي تلك المنطقة يملكون مهارات كبيرة في ذلك الفن.

وكانت طقوس السحر على ارتباط بقراءة الكهنة للتعاويذ، وكان على هذا الكاهن أن يكون بارعا وماهرا في السحر وحتى أن يكون أكثر الناس المحليين علما ومعرفة به. وكان يتم طرد الأرواح الشريرة بواسطة السحر، وفي الوقت ذاته كانوا يداوون أمراضا مثل الحمى ولدغة الافعى ولدغة العقرب وباقي الأمراض المستعصية على العلاج بواسطة السحر. وكان السحر في مصر القديمة يتم من خلال قراءة التعاويذ والتمائم.

وكان السحر يمثل أداة مهمة للغاية بالنسبة للمجتمع المصري القديم، وكانوا يستخدمونه لأغراض خاصة. وكان السحر يلعب في بعض الأوقات دور الوقاية وفي أحيان أخرى دور الدفاع ويستخدم لطرد الأرواح الشريرة والدنيئة وتفادي أخطار الحيوانات المفترسة والمضرة وكذلك إزالة الأمراض وإحباط أثر الحسد.

إن السحر كوسيلة دفاعية، كان من أكثر أنواع السحر رواجا. وكان يعتبر علما نبيلا في مصر، وكان الساحر يستخدم كتبا خاصة لقراءة تعاويذ تتناسب مع كل موقع ومقام، وأن قراءة هذه التعاويذ كانت تمثل نوعا من السحر الشفهي، وكان يتعين القيام ببعض الممارسات بعدها اذ كان يطلق عليها الطقوس والاداب العملية.

ومـــن أجل أن يترك الســـحر أثره، كان لابد من قراءة بعـــض التعاويذ الدينية، أو أن كان الشـــخص يحمل بعض التمائم التي كانت على هيئة بعض معبوداتهم تارة وذلك لكســـب وجذب دعمهم، وكانـــت التمائم تارة اخرى على هيئة بعض المسؤولين والشخصيات المقدسة.

إن المصرييـــن القدامى كانوا يحملون هذه التمائم من أجل اكتســـاب كل ما كانـــوا يرون أنـــه مفيد لحياتهم أو أنهم كانوا يقراون هـــذه التعاويذ ويكتبون على التميمة بعـــض الأدعية الموجودة. ومن وجهة نظرهم، فـــان هذه الأدوات كانت تمنح الانسان قوة سحرية وتطرد كل ما هو مضر له، وكانت تجلب الحظ السعيد وتملك المقدرة على شفاء المرضى أو الشفاء مبكرا.

وكان الســـحر فـــي مصر القديمة علـــى تواصل وارتباط بعلـــم الطب وعلاج الأمراض، في حين أن المصريين القدامى كانوا يهتمون كثيرا بالطب وكانوا يملكون مهارات وبراعة هائلة فيه.

وكان المصريـــون القدامى يظنون أن أي مـــرض يملك مجموعة من الأعراض الظاهرية وأخذوا بعين الاعتبار علاجا مناسبا له، كما أنهم كانوا يؤمنون أنه ماوراء هذه الأمراض، هناك سبب خفي وغير ملموس قد يكون ناجما عن قوة مخفية أو روح شريرة وتافهة، ولذلك فان السحر في مصر القديمة كان ممتزجا بعلم الطب.[١]

ولا يمكن الزعم أن الســـحر كان من تراث الحضـــارة المصرية، وانتقل منهم إلى ســـائر الأمم والحضارات. إن أيا من أمم العصور القديمة، كانت على معرفة بدرجـــة ما بالعلوم الخفية أو الغريبة، بما فيها الســـحر والشـــعوذة، وكانت تعرف رموزها بطريقة ما.

وكان الســـحرة في مصر القديمة يلقبون بـ«حري تب»، والترجمة الحرفية لهذه المفردة تعني «أعلى من الجميع»، وربما تكون هذه الكلمة مرتبطة بلقب «عري حبة» أي الشخص الذي يؤدي التقاليد والطقوس. وكان السحرة يلقبون ب حري

١. الدكتور نور الدين، عبدالحليم، «السحر والسحرة في مصر القديمة»، مصر، صص ١-٦، مكتبة الاسكندرية.

تب ومن ثم بلقب كتّاب النصوص الإلهية. وكان الكهنة يملكون علما ووعيا كبيرين وعلى اطلاع كبير بالعلوم والمعارف الكثيرة في مختلف المجالات، فضلا عن أن السحر كان يعتبر علما بحد ذاته، وكانت هناك كتب في هذا الخصوص...

كما كان السحر والسحرة على ارتباط بعلم الطب والشؤون الدينية، وكان السحرة مطلعون على العلوم المختلفة لاسيما علم الطب وكان السحرة بشكل عام ينتمون إلى شريحة الكهنة، وكانوا يتمتعون بموقع ومكانة مرموقة في المجتمع في ظل العلم والمعرفة التي كانوا يحظون بها.[1]

وتشاهد في عموم الإنطباعات والتقاليد والطقوس الدينية للأمم القديمة، مؤشرات على تلوثهم الذهني والعملي بالسحر، بحيث أن الثقافة المعبدية أكانت في الماضي أو الحاضر، ليست منزهة أبدا عن العلوم الخفية والسحر.

وعلى مر العصور كان إسم الشرق والثقافة الشرقية، يذكر بالحكايات الخيالية والكائنات الماورائية مثل الجنّ وتجربة العلوم الغريبة والسحرية.

وكانت مصر القديمة تنطوي على مجموعة ضخمة من التعاليم والعلوم والأساليب السحرية، بحيث أن أهم مواجهة للنبي موسى عليه السلام وقعت مع السحرة المحيطين بفرعون والفرعونيين. وكان المصريون يعولون بشكل خاص على التعاويذ والطلاسم والسحر، وكان كهنة المعابد يلجاون إلى العلوم الغريبة بشان جميع الشؤون العسكرية والمدنية لبلاط فرعون وحماية جغرافيا البلاد. وكانت سائر حضارات مصر القديمة، متورطة هي الاخرى بهذه العلوم الغريبة. كما أن السومريين والايرانيين واليونانيين والهنود، لم يكن أي منهم بريئا ونزيها وبمعزل عن السحر والشعوذة.

ومن أجل أن يحمي أهالي «كلدة» أنفسهم من الأعداء غير المرئيين، كانوا يلجاون الى السحر والسحرة. وكان السحرة أناس مخيفين وأقوياء، لانهم كانوا

١. المصدر السابق، ص ٣.

يملكون القدرة على رفع السلاسل عن عنق الشيطان وأن يزيلوا الطالع السئ عن وبال الناس. وكان سائدا لدى السحرة والكهنة الإستفادة من التعاويذ والتمائم ورش الماء المتبرك وغلي الأعلاف السحرية لطرد الشيطان.

ويقول **ألبر ماله** حول الطلاسم والرقى السائدة لدى أهالي «كلدة»:

إن أهالى كلدة قاموا بنشر وترويج استعمال الطلاسم والتعاويذ والأعلاف السحرية والتمائم لرفع وإزالة الحظ السئ فى أرجاء العالم القديم، وهذه العادة الناجمة عن الوهم والخيال، لم تزل لحد الان بشكل نهائى.[١]

إن معظم الكتابات البابلية التي تم الحصول عليها من مكتبة «اسورباني بال»، هي نسخ سحرية إستخدمت لطرد الجنّ والشياطين وتحاشي التعرض لاضرارهم والتكهن والرجم في الغيب. وبعض هذه النقوش هي رسائل في علم أحكام الفلك، والبعض الاخر منها، تتحدث عن قراءة الطالع الأرضي والسماوي وطرق تفسير وتعبير الطالع. وفئة من هذه النقوش تتحدث عن تفسير الأحلام، وهي تنافس أعمال علم النفس المتطورة والحديثة في عصرنا هذا من حيث النظام والدقة. وثمة نقوش اخرى تتناول كيف يمكن الاطلاع على الغيب من خلال مشاهدة أحشاء الحيوانات أو مشاهدة الأشكال التي تتخذها قطرة زيت عندما تسكب على ماء في وعاء. وأحد الطرق الاخرى لكشف الغيب لدى كهنة بابل القديمة، تمثل في النظر في كبد الحيوانات... وأي بابلي لم يكن يقدم على عمل مهم إلا وأن يقوم كاهن أو ساحر بقراءة طالعه بالطرق التي ذكرت ويحدد مصيره.[٢]

إن السحر يظهر نفسه في عامة الثقافات والحضارات. وفي الإكتشافات التي تمت في مصر، تم العثور على تماثيل سحرية صغيرة في المقابر الواقعة بشرق وغرب هرم «خوفو».

---

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٥.
٢. «قصة الحضارة»، ج ١، ص ٢٨٧.

وكان الملـوك والسـلاطين يعتبرون إجـراء الطقوس السـحرية لإقرار الأمن والاستقرار في البلاد، بانه عمل ضروري وكانوا يخشون دائما بان عدم القيام بمثل هذه الممارسات والطقوس، قد يؤدي إلى الفوضى والهرج والمرج.

وكان علم الطب في العصر القديم على صلة وثيقة ومدهشـة بالسحر. وهناك تعاويذ كثيرة في النصوص الطبية السحرية للمصريين وسائر الأمم القديمة.

وجاء في أحد النصوص الطبية المصرية: عندما يتم ملء فم سـمكة ابتشـو بالبخور، فانها تطبخ وتؤكل قبل النوم، ويمكن بواسطتها إبعاد الأشباح والأرواح.[١]

وكان السـحر سائدا لدى اليونانيين شأنهم بذلك شـأن سائر الأمم. ويقول مؤلف كتاب «تاريخ السحر» حول ماضي السحر بين اليونانيين:

إن فلاسـفة مدرسـة فيثاغورث ليسـوا كانوا منظرى السحر فحسب بل منفذيه ايضا، فمثلا «ابندتلى» (امبدوكليس بالقرن الخامس قبل الميلاد) الـذى كان صاحـب كرامات بين النـاس، كان يؤمن بانـه يمكن إحياء الموتى، وجعل السماء تمطر وإيجاد الجفاف والمجاعة.

وكان الفلاسـفة قد ألبسـوا أبدان المعتقـدات السـحرية القديمة والتى عجنت مع حياة الجماهير، لباسـا جميلا وسموها العقل والإستدلال، لكن الكثير منهم مثلهم مثل سـائر شرائح الشعب، رضخوا للسحر والخرافات السـائدة بيـن النـاس. وكان «طالـس» (٥٤٧-٦٤٠ق.م) يؤمن بظهور الأرواح الشـريرة والشيطانية كما كان أفلاطون يؤمن بالأشباح والموتى المضطرين للعودة إلى الأحياء لانهم كانوا غير قادرين على فك روابطهم الجسدية عن هذا العالم ...

إن جميع الفلاسـفة القدماء، كانوا يؤمنون بحقيقة السـحر. إن»هركليت» (هراقليطـوس) و«طالس» و«بينداروس» و «زنفوس» و «سـقراط» لم

---

١. كونج، ايفان، «السـحر والسـحرة عند الفراعنة»، ترجمة وبحث: فاطمة عبد الله محمود ومحمود ماهر طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، صص ٢٧٣-٢٧٤.

يكن أى منهم قادر على الهروب من هذه الدائرة السحرية. والفلاسفة اليونانيون المتأخرون بمن فيهم «برفيوس» (٢٣٣-٣٠٣ للميلاد) كلهم كانوا من أنصار السحر، واورثوا المسيحيين الأوائل الذين كانوا هم يقمعونهم بشدة، معرفتهم البارعة عن الغول والجنّ.

ويرى برفيوس إن هناك الكثير من الغول المستأسدين الذين كانوا يذهبون نحو الأناس بتشوق وافر تجاه الدم والوساخة وكانوا يترددون على البيوت، وكذلك الأرواح الشريرة التى كانت تهاجم أثناء تناول الطعام على شكل ذباب، وكان يمكن طردها فقط من خلال طقوس خاصة وتقاليد معقدة للغاية، وهكذا طقوس، كانت تتم ليس من أجل إسترضاء الآلهة بل لطرد الغول.

وكان السحر اليونانى يخضع منذ عصور قديمة، لأثر معتقدات الشرق، وأى شعب لم يرحب بقدر «الهلنيين» بالايديولوجيا الأجنبية. وكان الكهنة والفلاسفة والمؤرخون يقومون بالسياحة فى البلدان البعيدة. إن التشوق للعلم والمعرفة دفع بـ«بلياس طوانه اى» (ابولينوس) صاحب الكرامات والطلاسم إلى شواطئ الهند وتحدث افلاطون عن الإنتماءات الثقافية مع مصر وكريت...

لننتبه إلى أن جميع الأجساد الأسطورية وآلهة المشرق، اتخذت شكلا هلنيا وأن نشأة التقاليد العبادية ل «معبد دلفى» هى من جزيرة كريت و «ادونيس» مأخوذ من جذر ادونى العبرية، و«افروديت» أو «عشتاروت» أصبح أكثر هدوء وزينة. وتحول «ايزيس» على شكل «اثنا» واستطاع «ديونيوس» بصعوبة إخفاء أصله الأجنبى.

إن إعتقاد عامة الناس كان قائما على أن الفلاسفة الهلنيين بمن فيهم جميع الحكماء وعلماء الشرق، هم سحرة، بحيث أن الجميع كانوا يؤمنون بان «سقراط» له روح معرفية تجعله يتكهن المستقبل. وحسبما يقول

«زنفـول» (۳۵۵ – ۴۲۷ م) الـذى كان أحد أنصار سـقراط، فان الكثير من أقارب واصدقاء الفيلسوف المقربين، كانوا يعلمون بان توأم سقراط، كان يعطى أجوبته حسب كونها إيجابية أو سلبية، على شكل عطسة على الجانب الأيسر أو الايمن.[1]

١. كلسرخي، ايرج، «تاريخ السحر»، طهران، علمي، ١٣٧٧، صص ١٠٨-١٠٩.

الفصل الثاني

العلوم الخفية

ماضي وتاريخ العلوم الخفية

إن السـؤال والتسـاؤل، هو في ذات الانسان وما يميزه عن سـائر المخلوقات. لذلك، فان السؤال عن سر الوجود وسر المجئ والذهاب وبالتالي السير والسلوك في الكون والوجود، كامن في فطرته وطبيعته.

إن الانسـان يأتي الى هذه الدنيا بحثا عن الحقيقة ومعرفة ماهية ذاته، ويبدأ رحلتـه الطويلة منـذ اليوم الاول من ولادتـه، للوصول إلى أكثـر الأجوبة تهدئة واسـتقرارا على صعيد الوجود. وربما يمكن القول أن الانسـان هو كائن متسائل يسلك طريقا من الأرض إلى الأفلاك من أجل اكتشاف سر الكون والإجابة على تساؤلاته الأساسية.

ويمكـن القول بجرأة، إن التوجه نحو الميتافيزيقـا والعلوم الماورائية من أجل كشف الحقائق المستترة، يمتد على امتداد حضور الانسان في الوجود. إن الجهود الدؤوبة واللا متناهية للحصول على أكثر الأجوبة ثراء والتوصل إلى الاسباب التي توصله إلى أرفع مراتب الوعي والإحسـاس حول عوالـم الميتافيزيقا اللا متناهية. ولذلك يمكن البحث عن ماضي وتاريخ التوجه نحو العلوم الخفية والماورائية لدى عامة الثقافات والحضارات العتيقة وفي موقع ولادة أولى الحضارات.

وعلـى الرغم من أن الأديـان الإلهية والتعاليم الوحيانية، تضع أمام الانسـان أقصـر الطرق وأكثرها اعتمـادا ونزاهة لنيل المراتب العليـا للمعرفة والتواصل مع

مصدر الفيض الذي لا ينضب، لكن وبمحاذاة طريق الهداية الجلي هذا، هناك جماعة لجأت إلى العلوم (الغريبة أو الخفية) وتعلمتها وجربتها، سعيا منها لإزاحة الستار عن بعض العوالم الميتافيزيقية، ومن دون أن تملك إذن وحق التصرف، إستخدمت هذه العلوم والتعليمات من أجل الهيمنة وكسب السلطة واكتساب المنفعة والمصلحة والتصرف في جسم وروح الاخرين.

والملفت هو، الإطلاع على العوالم الميتافيزيقية والماورائية لدى الإنسان الساكن في الحضارات القديمة والعمل للولوج إلى تلك العوالم والإفادة من الكائنات الماورائية لنيل المآرب الدنيوية.

ومن هذا المنطلق، يمكن الزعم بان معرفة الأقدمين بالكون وعوالمه المتداخلة، كانت أكثر بكثير من أناس العصر الحاضر، في حين أن هؤلاء كانوا يسعون لكشف العوالم الميتافيزيقية والتواصل مع الكائنات التي تسكن تلك العوالم (الرحمانية و الشيطانية) بطريقتين ممدوحة ومذمومة، وفي ظل الجهود الدؤوبة، توصلوا إلى نتائج مختلفة أيضا، لكن أناس العصر الحاضر بقوا حيارى وتائهين في قبول أو رفض هذه العوالم، وربطوا كل شئ بالمعرفة التجريبية والمادية للكون، لينكروا الإقرار والإعتراف بهذه العوالم وسكانها.

إن إصابة عامة سكان العالم المعاصر بالعلوم التجريبية والوضعية وإنكار حقيقة العوالم والكائنات الميتافيزيقية والماورائية، لم يؤد إلى حذف هذه العوالم والكائنات وأدائها وبالتالي تعطيل الجهود والمحالات للوصول إلى تلك العوالم والتواصل مع الكائنات الميتافيزيقية.

وبمحاذاة جريان الحياة العامة وتوجه عامة الناس في القرون الأخيرة نحو العالم الفيزيقي، فان تيارين أحدهما ممدوح والاخر مذموم، سلكا طريق الأقدمين واكتشفا العديد من ساحات هذه العوالم، وتابعوا من خلال التواصل مع الكائنات المنتشرة في هذه العوالم، مقاصدهم الرحمانية أو الشيطانية.

إن المحافل السرية، هي فئة محددة من هؤلاء الأناس الذين سلكوا هذا

المسار جيلا بعد جيل، واستخدموا القدرات المتحصلة لحفظ وممارسة السلطة. ولذلك يقال بان التواصل المذموم والشيطاني مع جزء من العوالم الميتافيزيقية، كان جزء لا يتجزأ من حياة هذه المحافل السرية والاناس المخفيين الذين يقطنون المحافل الخاصة.

وفي الفصول التالية، سنتناول مسار التحول والتطور منذ الأيام الأولى للنشأة وحتى العصر الحاضر.

إنطلاقة السحر والشعوذة

إن ابليس وبعد تشكل المجتمع الانساني لأبناء **نوح**عليه السلام لم يتخل عن ممارساته. ومع تعقد العلاقات الانسانية بعد الطوفان وانكسار حدود الامة الواحدة، إزدادت حيل ومكائد **ابليس** وجنوده تعقيدا. إن المستكبرين ومن أجل التغلب على المستضعفين وإخضاعهم لهيمنتهم وتوريطهم بأنوع الكفر والشرك والنفاق، أقحموا السحر مذاك في حياة الانسان.

وكان السحر، أكثر أدوات ابليس فاعلية لقرصنة الانسان وحرفه عن مسار التوحيد، لان كهنة السحر وفي ظل تبعيتهم للشيطان، تسلحوا بسلاح لم يكن من الممكن للاناس العاديين والغرباء على هذه العلوم، مواجهته. فضلا عن أنه كان يوفر إمكانية أن يصاب الناس بالشبهة وأن يتصوروا خطأ بان حصيلة عمل السحرة، مؤشر على ارتباطهم الحقيقي بملائكة الوحي والقديسين وبالتالي الله سبحانه وتعالى، وأن يحسبوا القوة الشيطانية للسحرة الكاذبين، مؤشرا على القدرة الإلهية والسماوية.

وأحد الأسباب التي دفعت الناس في بداية الامر إلى نسب أي من الأنبياء إلى السحر، هو ماضيهم الذهني عن عمل السحرة والشبه بين السحر والمعجزة، وهنا لم تكن ظروف ماوراء الطبيعة والتواصل مع الكائنات، مشهودة وملموسة.

إن السحر، كان أقوى أداة لإختراق الانسان وقرصنة عقله في مقابل العبادة

الحقيقية وتعاليم الأنبياء الإلهيين العظام، ما وفر لابليس وجنوده فرصة إبعاد الناس عن الصراط المستقيم الإلهي ودفعهم ليميلون إلى التعليمات الشيطانية.

إن مفردة السحر ومشتقاتها، وردت لأكثر من خمسين مرة في الآيات القرآنية المختلفة. وفي معظم الحالات، ورد الحديث عن السحر والسحرة فضلا عن تبيان مصير وحياة الأنبياء الإلهيين بمن فيهم **موسى**عليه السلام و**عيسى**عليه السلام والنبي الاكرم محمدصلى الله عليه وآله وإعجازهم. وفي قضية مواجهة النبي موسىعليه السلام لسحرة فرعون، يقول الله تعالى:

«**فَلَمّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**»[١]

وفي موقع اخر عندما ينسب المشركون والكافرون السحر إلى النبي الأكرمصلى الله عليه وآله، يقول القرآن الكريم:

«**وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذّابٌ**»[٢]

إن التحارب طويلة الأمد للأمم المختلفة في عامة الثقافات والحضارات ومشاهدة الأنماط المختلفة للسحر، أدت إلى أن يظن الناس في مستهل تعاملهم مع الأنبياء الإلهيين ومشاهدة الأعمال الخارقة والجذابة، بان الأنبياء الإلهيين هم كما السحرة يستعينون بالسحر لجذب القلوب وتسخيرعقول الناس.

وكان الناس يشهدون عن طريق كهنة المعابد، أنماطا مختلفة من التواصل مع الكائنات غير المرئية والماورائية والأعمال الخارقة والملفتة للكهنة السحرة، ومن هذا المنطلق، فان الكهنة وعلى مدى ألوف السنين، عرضوا على الناس أديانا غير الهية وشيطانية كثيرة، واستغلوها لحماية سلطتهم وحكام الجور والظلم أيما استغلال. فضلا عن أن الناس كانوا قد شاهدوا في الكثير من الحالات، الأثر الحقيقي لعمل وممارسة السحرة في علاقاتهم الفردية والإجتماعية. ويشير الباري تعالى في سورة «البقرة» إلى أثر هذا النمط من السحر ويقول:

---

١. سورة النمل، الآية ١٣.

٢. سورة ص، الآية ٤.

«فَيَتَعَلَّمُون مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ»[1]

ويقول القرآن الكريم حول النبي **عيسى**عليه السلام:

«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ»[2]

وجلّي بان قادة الكفر، كانوا يخضعون لإيحاءات الشياطين، ليفتروا على الأنبياء بانهم يمارسون السحر وذلك من أجل عزلهم وإبعاد الناس من حواليهم، وكانوا يخدعون بذلك الناس السذج.

إن بعث الأنبياء ومعهم معجزاتهم والتي كانت تظهر قدرتهم وعلمهم ومعرفتهم الخارقة والماورائية، لهو دليل بيّن على أن الله تعالى ومن أجل مواجهة الأشكال المختلفة لسحر السحرة وممارسات الشياطين وإحباط مكائدهم، جهز أنبيائه بسلاح مؤثر وحقيقي ألا وهو المعجزة.

وكان ابليس يعرف جيدا بان العبادة نابعة من ذات الإنسان ووجوده. لذلك كان يعرف بانه لا يمكن ترك ما تطلبه روح الانسان، من دون رد. وبذلك عمل من خلال تدنيس وحرف الأناس عن الصراط المستقيم، ليجعلهم جاهزين لعبادة الأصنام بدلا من عبادة الله الواحد الأحد.

إن السحر والجنّ (الجن الخبثاء الشيطانيون) كانوا يشكلون ذراعي وأداتي عمل الشيطان، ويعينون كهنة المعابد والسحرة في قرصنة الناس وجرهم إلى ارتكاب الشرور وعبادة الأوثان.

إن ما كان يؤدي إلى زيادة أثر السحر والجن في عمل ومطلب كهنة معابد السحر، هو التواصل غير الشرعي مع بعض العوالم وسكانها والقيام ببعض الأعمال الخارقة والملفتة. وكل هذا كان يخدع السذج والبسطاء من الناس ويؤدي إلى أن

---

١. سورة البقرة، الآية ١٠٢.

٢. سورة الصف، الآية ٦.

يســـجدوا عند عتبة المعابد وأماكن عبادة الأوثان، بحيث أن الســـامري استطاع بهـــذه الطريقـــة وخلال فترة وجيزة، فضّ الالوف من بني اســـرائيل من حول النبي **موسى** عليه السلام.

إن دراســـة ماضي وتاريخ عامة الأمم، يشـــير إلى أنه كان هناك رجال يسيرون جنبا إلى جنب الأنبياء الإلهيين ويســـتندون إلى العلـــوم الخفية (الغريبة) لقرصنة عقول الناس واستغلالهم وخدمة ابليس اللعين.

السحر والمحافل الخفية

إن الحديث عن العلوم الخفية والسحر والتواصل مع كائنات مثل الجنّ، يبدو صعبا بعض الشـــئ في عصر التكنولوجيا المتقدمة والسير في عوالم العلم والمعرفة العصرية والزعم بالنزاهة من الخرافـــة والجهل، مثلما أنه يبدو غريبا القبول بارتباط وعمـــل الرجال الانيقين وأصحاب المناصب العليا في حقل الاقتصاد والسياســـة والثقافة في الغرب والشرق في العصر الحاضر بالعلوم السرية. والمؤسف أن السؤال عن أقوال وافعال قادة المحافل الســـرية والحصول على تساؤلات وافية عن الكثير من توجهاتهم وأدائهم، رهن بالتعرف المقتضب على هذه العلوم الســـرية والخفية، وتشخيص نسبة تدنس هذه المحافل في الماضي والحاضر بها ومسار تطور هذه العلوم. ويجب بداية رؤية، إن هذه العلوم المعروفة بالغريبة والسرية، تصنف ضمن أي فئة من العلوم.

العلوم الغريبة أو العلوم الخفية (في مقابل العلوم الجليّة)

وتطلق العلوم الغريبة على مجموعة من العلوم التي يتم إبعادها عادة عن متناول عامة الناس. إن عدد تفرعات وتشـــعبات هذه العلوم لدى الأمم المختلفة، كثيرة جـــدا وقد تصل أحيانا إلى ثلاثين تشـــعبا مختلفا، بما فيهـــا: علم الرمل والجفر والأعداد و...، لكن العلوم الخمســـة وهي الكيمياء والليمياء والهيمياء والسيمياء

والريميـــاء تعرف في العلوم الغريبة بالعلوم المحتجبة، أي العلوم الخمســـة الخفية وجميعها من الأسرار.[1]

وقد شـــرح المغفور له **العلامة طباطبائي** في «تفسير الميزان»[2] هذه التفرعات الخمسة باختصار:

١. الكيميـــاء، التي يطلق عليه علم الصناعة أيضا، هو علم يمكن بواســـطته تحويل بعض المعادن والكتل المعدنية إلى شـــئ اخر، فمثلا يمكن بواســـطة هذا العلـــم فصل الذهب والفضة عن المعـــادن الاخرى أو تحويل الحجر إلى الذهب و... .

٢. السيمياء، علم يمكن الانسان من خلال تعلمه، من القيام بأعمال خارقة. وموضوع هذا العلم، هو تنســـيق وخلط القوى الارادية مع القوى الخاصة المادية، إذ يكون بوسع الشخص من خلال ذلك، التصرف في الشؤون الطبيعية وقوة خيال الاخرين، ويطلقون عليهم المسحورين، وهذا الفن، هو أكثر بديهية ومصداقية من سائر فنون السحر.

٣. علـــم الليمياء، وهو علم يســـتخدمونه لنقل الروح إلى جســـم اخر. وهذا العلـــم يتناول كيفية تأثير الإرادة عندما تتصل بـــالأرواح القوية والعالية، فمثلا، إن اتصلت إرادتي بالأرواح الموكلة للنجوم والكواكب، فماذا عساي أن أفعل؟ أو إن إتصلت إرادتي بالأرواح الموكلة للحوادث وأمسكت بها ووضعتها بتصرفي، أو أن اســـتطعت وضع الجنّ بتصرفي وأستعين بها، فماذا عساي أن أفعل؟ ويطلق على هذا العلم، علم التسخيرات.

٤. علم الهيمياء، وهذا العلم يبحث في تركيبة القوى العلوية مع عناصر العالم الســـفلي، لكي يتوصل بهذه الطريقـــة، إلى اثار غريبة، ويطلقـــون عليه أيضاعلم الطلاسم. وبما أن الأفلاك والكواكب والنجوم، مرتبطة بالحوادث المادية للأرض،

١. خرمشاهي، بهاء الدين، «دائرة معارف التشيع»، طهران، الشهيد محبي للنشر، ١٣٨٤، ج ١١، ص ٤٠٢.
٢. طباطبائي، محمد حســـين» ترجمة تفسير الميزان»، ترجمة موسوي همداني، رابطة المدرسين، ١٣٧٤، ج ١، ص ٣٦٨.

لذلك فإن تم تركيب شكل سماوي يتناسب مع حادثة من الحوادث، مع الصورة والشكل المادي لتلك الحادثة، فان تلك الحادثة ستحصل. فمثلا في هذا العلم، إن كان بالإمكان تركيب ذلك الشكل السماوي الذي يتناسب مع وفاة أو إحياء شخص ما، مع صورته أو هو ذاته، فان العمل الذي نصبو إليه سيحصل وهذا هو معنى الطلاسم. وهذا العلم، هو حرام لدى علمائنا.

٥. علم الريمياء، وهو علم يبحث في إستخدام القوى المادية لكي يتوصل إلى اثارها العجيبة، بحيث تنشأ في حس وشعور الناظر، اثار غريبة وغير عادية، ويطلق عليه أيضا إسم الشعوذة.[١]

وفي تصنيف العلوم، فان القدماء كانوا يعتبرون العلوم الخفية أو الغريبة، بجانب العلوم الجلية، كتشعب ثانٍ من العلوم. وموضوع بحث العلوم الجلية هو الطب والمنطق والهندسة وغيرها، ويتم تدريسها بواسطة إمتلاكها قوانين محددة.

وجاء في «معجم دهخدا» في ذيل مفردة السحر:

السحر. من يمارس السحر والشعوذة، الساحر، عامل السحر.

ويقول صاحب غياث، إن السحر في كلام القدماء كان في الحقيقة بمعنى الساحر... وفي البرهان، فان السحر ورد بمعنى السحر والساحر كلاهما وورد في «مزديسنا»:

إن السحر جاء فى اوستا تحت مسمى ياتو (Yatu) وفى اللغة البهلوية ياتوک (Yatuk) بمعنى السحر (والذى حرّم بشدة فى مزديسنا). والمراد من السحرة، فى الأغلب هم مجموعة الشياطين والضالين. ويستعملون السحر فى هذه الحالات بدلا من دروند البهلوية وبازند وبمعنى عابد

١. والمصادر التالية، تقدم إيضاحات أكثر وأدق عن العلوم الخفية:
«زبدة الأرواح»، محمود دهدار؛
«دائرة معارف التشيع»، تحت اشراف بهاء الدين خرمشاهي، ص ١١؛
«المائدة أو فرحة الروح»، سيد أحمد عبد منافي؛
«تحفة الحكيم»، سيد محمد مؤمن حسيني، ج ٢.

الكذب وتابع ديويسنا.[1]

وجاء في موسوعة ويكيبيديا الحرة في ذيل مفردة السحر:

إن مفردة السحر فی اللغة البهلوية كانت jadug. ومفردة magic هی مرادفها الإنجليزی والتی أخذت من مفردة Magus التی كانت تطلق فی الفارسية القديمة على رجال الدين من علماء الفک والعرافين وديانة الميرائيسم Magus أو المجوس.

وجاء في «قاموس المعاني» في ذيل مفردة السحر:

السِّحْرُ: كلّ أمر يخفى سببُه، ويُتخيّل على غير حقيقته، ويجرى مجرى التمويه والخداع ، إخراج الباطل فی صورة الحقّ.

أثر السحر

إن السحر يعد من تشعبات وتفرعات العلوم الغريبة والخفية، وكما ذكرنا ماضيه، فان له تاريخ طويل، بحيث أن الإتهام بالسحر كان رائجا وسائدا منذ عصر النبي **نوح**عليه السلام، لان طغاة ذلك العصر، كانوا يقولون للنبي نوح عليه السلام وسائر الانبياء عليهم السلام أنت ساحر؛

«كَذَلِکَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ»[2]

إن السحر وكما الفروع العلمية الاخرى، ينقسم إلى أقسام مختلفة، وهي ليست متشابهة من حيث التصلب والمرونة، فتفرعاته المتصلبة، يتولاها الرجال في معظم الأحوال، بحيث جاء في قصة السحرة المدعين الذين واجهوا النبي **موسى**عليه السلام:

«سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ»[3]

---

١. معين، محمد، «مزديسنا والادب الفارسي»، طهران، إصدارات جامعة طهران، مؤسسة الطباعة والنشر، ص ٣٩٢.
٢. سورة الذاريات، الآية ٥٢.
٣. سورة الأعراف، الآية ١١٦.

وتفرعاته المستظرفة واللطيفة، تتولاها النساء في الأغلب، بما فيها:

«**وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**»[١]

وفسر العديد من المفسرين «النفاثات» بالنساء الساحرات. وكانت هؤلاء يقرأن تمائم وتعاويذ وينفثن في العقد، ويعملون السحر بهذه الطريقة، لكن البعض الاخر يشير إلى النساء اللواتي يوسوسن ويهمسن على التوالي في آذان الرجال لاسيما أزواجهن، لتثبيط هممهم للقيام باعمال الخير.[٢]

ويذهب البعض الاخر إلى أن السحر الشيطاني يتم على يد النساء اللواتي يمررن بفترة الطمث والدورة الشهرية، بحيث يبتعدن فيها عن العبادة.[٣] وطبعا هذه النقطة قد تكون مبررة، من أن العمل الشيطاني كلما كان متسقا أكثر مع رضا ابليس، فان دعمه المشؤوم له سيكون أكثر.[٤] ويبدأ الأثر السئ للسحر في مراتبه الدنيا، من زرع الشقاق والخلاف بين الأزواج ودفعهما إلى كره أحدهما الاخر ويستمر حتى انهيار المنظومة الإجتماعية.

وإن كان عمل السحرة، بلا أثر ومفعول، لما كان سائدا على مر القرون والعصور وبين الكثير من الأمم، فعلى سبيل المثال، لما كان الله تعالى يبعث بالنبي **موسى كليم الله**عليه السلام بمعجزة خاصة وقوة خاصة إلى أرض مصر، من أجل إحباط سحر سحرة فرعون، لذلك، ليس هناك أي شك وترديد في أثر السحر وقدرة السحرة على الإضرار. وبناء على ذلك، فان السحر حرمته جميع الديانات السماوية، ووضعت له عقوبة شديدة بوصفه من الكبائر.

ويتطرق **اية الله جوادي املي** في «تفسير التسنيم»، ج ٥، ص ٦٧٨، إلى أثر السحر وقدرة السحرة على الإضرار ويشير إلى نقطة مهمة ويقول:

إن جملة «**وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ**»، لا تعني أن السحر

---

١. سورة الفلق، الآية ٤.

٢. مكارم شيرازي، ناصر والزملاء، «التفسير النموذجي»، ج ٢٧، ص ٤٦١.

٣. القرطبي، محمد بن أحمد، «الجامع لاحكام القرآن»، ناصر خسرو، ١٣٦٤، ج ٢، ص ٥١.

٤. «تفسير التسنيم»، المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٨٩.

لا أثر له، وأن السـاحر غير قادر على الإضرار بالاخرين وأن الأضرار التي تحدث على إثر السحر، تحصل عن طريق الصدفة والتعاطي مع سبب اخر من الأسباب، مثلما أن بعض المفسـرين، فسـروا هذه الجملة بهذا المعنى،[1] لان أسـاس أثر السحر تم تأييده مع ظهور الجملة السابقة «... يفرقون بين المرء وزوجته.»

إن مـا تريد هذه الجملة تبيانه، هو أمرين، الأول مبدأ الأثر الكويني للسـحر والاخر عدم إستقلاله الذاتي، بمعنى أن السحر وأثره، غير خارج عن قانون السببية وأن قانون السببية هو من المقدرات الإلهية، إن الأثر التكويني والخارجي للسحر، لا يعني أن السـاحر تقدم على المقدرات والقضاء والقدر وأوجد خللا في الصنع الإلهي وأصبح سـائدا في القوانين والسـنن الجارية في نظام الكون، بل أن عمله يشـبه سـائر الأعمال، لا ينفصل عن قانون الأسباب والمسببات، الأسباب التي اكتسـبت سـببيتها من القضاء الإلهي، وإن حال الله بين السبب والمسبب، فان ذلك السبب سـيفقد سببيته وتأثيره، بحيث أن ترك سبب ما أثره وتحقق مسببه، فان إرادة الله لم تحل بين السبب والمسبب، واستقرت حكمة الله على ألا يحصل مـن منطلق الإبتلاء والإمتحان أو أي حكمة أخـرى، عائق وما مانع لتأثير ذلك السبب. بعبارة أخرى، فان مفاد هذه الآية هو، أنه على الرغم من جملة «يفرقون بين المرء وزوجته» فانه تم القبول إجمالا بأثر السحر، لكن هذا القبول لا يتنافى مع ربوبية الله وتوحيده الأفعالي، لان السـحر هو جزء من القضاء والقدر الإلهي، لا أن يكـون في مواجهة المقـدرات الإلهية، أي أنه مثلما في جانب الخير، يعد الدعاء والصدقة وصلة الرحم وصلاة الإستسـقاء من المقدرات الإلهية، ويؤثر في التكوين بإذن الله، فان السـحر والشـعوذة والطلسـم وما شابه ذلك في الجانب السـيئ، يعد من جداول القـدر الإلهي ويكون مؤثرا بـاذن الله من أجل إمتحان وإبتلاء الناس، وليس أن يؤثر السـحر في نظام التكوين، سـواء شـاء الله أم لم

١. الزمخشـري، محمود بن عمر، «الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل»، بيروت، دار الكتاب العربي، ج ١، ص ١٦٣.

يشأ، بل طالما لا يأذن الله، فان أي سحر لن يؤثر وأي ساحر لن يكون بمقدوره الإضرار بأحد ما.

إن الإهتمام بهذه النقطة التوحيدية وحقيقة أن السحر، ليس سوى قوة إرادة الساحر، فان الأثر النفسي والروحاني الذي ينمو لدى الانسان الذي نشأ وتربى في أحضان الوحي، لا يسمح بذلك، ونظرا إلى ما سنورده في قسم الإشارات حول حقيقة السحر وهو شئ لا يؤثر سوى قوة الارادة، فانه يضمنه ويكفله في ظل قوة الارادة والإعتداد بالذات، في مقابل أثر السحر وأضرار السحرة.[١]

الفارق بين السحر والكرامة والمعجزة

وفي معرض تبيانه للفارق بين عمل السحرة وكرامة أولياء الله، فان الأستاذ جوادي أملي يقول في «تفسير التسنيم»:

إن الفرق بين ما يبدر عن الأنبياء والأولياء مع ما يحصل على يد المرتاضين والسحرة والكهنة، يكمن في أمور كالتالي:

١. إن منتجات إرادة السحرة أو الكهنة تقع في نطاق وجود نفسهم الدنيئة، وتنبع من العلم غير الصحيح. لذلك فانها تعاني من نقائص وثغرات، بما فيها كونها محدودة ومخالفة للحقيقة وقابلة للإنكسار، لكن منجزات إرادة الأنبياء والأولياء تقع في نطاق الكون الخارجي وتستند إلى الإرادة الإلهية الدائمة، وتقوم على أساس «كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي»[٢] و «وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمْ الْغَالِبُونَ»[٣] و « إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ»[٤]، ونابعة من الوعي الصحيح، لذلك فانها تفتقد إلى أي من النقائص المذكورة، ومزينة بكمالات مثل الإطلاق والمطابقة مع الواقع وعدم القابلة على الإختراق

---

١. «تفسير التسنيم»، المصدر السابق، ج ٥، صص ٦٧٧-٦٧٨.
٢. سورة المجادلة، الآية ٢١.
٣. سورة الصافات، الآية ١٧٣.
٤. المصدر السابق، الآية ١٧٢.

وبالرغم من أنهم قد يستشـــهدون في ساحة الجهاد: «**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ**».[١] وطبعا فان عودة هذا الانتشار هو على امتداد واتساع شعاع وجودهم.

٢. إن المعجـــزة هي التأثير في العالم الخارجـــي وتغيير الحقيقة، بحيث أن عصا تتحول إلى أفعى أو أن حجرا ينشـــق وتخرج منه ينابيع ماء، لكن الســـحر هو في الغالب، التصرف بباطن المســـحور، وأن الســـاحر ومن خلال ممارسته، يؤثر علـــى خيال ووهم الناظر. وعندها فان خيال الناظر يؤثر على الناظر نفســـه وفي أعقابه، يحصل الأمل والنشـــاط أو الخوف والهم وما شابه ذلك، لذلك فان كان الأشخاص الضعفاء، يشهدون مسرح السحر، فان سوق السحرة تنتعش وإن الأشخاص متوسطون، فان سوقهم لن تنتعش بشكل يذكر، وإن كانوا أقوياء، وبما أن خيالهم ليس بتصرف واختيار الســـحرة، فان سوق السحر ستصاب بالكساد، وأن خوف النبي **موســـى**عليه السلام أثناء مســـابقة السحر، كان ناتجا عن أن المتفرجين لا يميزون بين خيال أهل الســـحر وحقيقة إعجاز النبي موسىعليه السلام، وبالتالي فان ديـــن الله يتعـــرض للخطر، لذلك فان أمير المؤمنين الإمام عليعليه السلام فسّـــر الآية: «**فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِـــهِ خِيفَةً مُوسَـــى* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ الْأَعْلَى**»[٢] في إطار هذا الموضوع.

بعبـــارة أخـــرى، فانه على الرغم من أن المعجزة والســـحر مرتبط كلاهما بأثر الإرادة، لكن أثر الارادة في الســـحر، ضعيف ومحدود بخيال الساحر و الاخرين وذلك بسبب خبث الساحر، لكن اثر الارادة في المعجزة، نابع من إستنادها إلى الإرادة الإلهية المطلقة، وقادر على خلق أشـــياء فـــي الحقيقة والخارج أو إظهار صفات في الاشياء المخلوقة، مثل إحياء الموتى، وتحويل شجرة ذابلة إلى خضراء يانعـــة وتحويـــل عصا جافة إلى أفعـــى، أو أن يكون صاحـــب الارادة ذاته يتمتع بطي الأرض، بل أن ينقل الاخرين من مكان إلى اخر، لان عالم الطبيعة بالنســـبة

١. سورة آل عمران، الآية ١١٢.
٢. سورة طه، الآيتان ٦٧ و ٦٨.

لصاحب مقام الإعجاز والكرامة، هو بمثابة جسده، وكما أن كل انسان مسيطر على جسده، ويستطيع القيام بأي شئ في حدود جسده، فان نفس النبي أو الولي صاحب المعجزة أو الكرامة، هي بمثابة روح العالم وأن مجمل العالم بالنسبة له بمثابة الجسد، لذلك يمكن أن يقول: «**أَنّى أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ**»[١]

٣. إن السحر هو علم بموضوع محمول وأسس تصورية وتصديقية محددة ومسألة فكرية وقابلة للإنتقال إلى الاخرين وكونه باطلا، ليس دليلا على عدم كونه علما، بينما المعجزة ليس لديها طريق فكري محدد وليست قابلة للإنتقال إلى الاخرين عن طريق التعليم والتعلم، فلا أحد يستطيع التعلم من النبي الاكرم صلى الله عليه وآله كيف ينشق القمر: «**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**»[٢] أو أن تكون النار بردا وسلاما: «**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**»[٣] وأن يبس البحر: «**فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا**».[٤] ويحسب البعض بان خاتم النبي **سلمان** عليه السلام إن كان في يد أي شخص، فانه سيفعل ما فعله سليمان، متجاهلين أنه من دون روح ويد سليمان، فان هذا الخاتم غير قادر على فعل أي شئ، فالإعجاز السليماني ناجم عن قوة روح ولي الله هذا وكان انسانا كاملا، يتصرف بارجاء نظام حكمه باذن الله.

... إن الإسم الاعظم، ليس كلمة أوكلاما ومفهوما ذهنيا وعلما حصوليا خاصا، كي يمكن من خلال تلفظه أو تبادره إلى الذهن، إحياء ميت أو القيام بعمل خارق اخر، فالاسم الأعظم هو مقام من مقامات عالم التكوين ونظام العلية، ومظهره الإنسان المتكامل، مثل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وأن جملة «نحن الأسماء الحسنى» ينقلها المغفور له فيض كاشاني بسند معتبر

١. سورة آل عمران، الآية ٤٩.
٢. سورة القمر، الآية ١.
٣. سورة الأنبياء، الآية ٦٩.
٤. سورة طه، الآية ٧٧.

عن الإمام الصادق عليه السلام.[1] وللإسم الأعظم طبعا ألفاظ، بما فيها «بسم الله الرحمن الرحيم»، بحيث أن قربها من الإسم الأعظم، أكثر من قرب بياض العين إلى سوادها: «**إن بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها**»،[2] لكن هذا اللفظ عندما يجري على لسان المرء بصورة كاملة، فهو بمنزلة «كُن» التي تنشأ من جانب الله تبارك وتعالى.

ملحوظة: إن المعجزة والكرامة، وحسبما ذكرنا سلفا، لهما قواسم مشتركة، مع اختلاف أن المعجزة مترافقة مع التحدي لكن الكرامة ليست مصاحبة للتحدي.

بعبارة أخرى، فان المعجزة والكرامة، هما الوجهان الخارجيان للولاية والنفس التي وصلت إلى المقام المنيع للولاية وكمالها، وأن صاحب هكذا نفس، أصبح ولي الله ويجد المقدرة على التأثير في عالم التكوين باذن الله، وأن نظام الكون وبما يتناسب مع ولايته، بمنزلة جسم الانسان لروحه، لكن الكرامة، هي من عمل الإمام المعصوم وأولياء الله المطلقين وليست مترافقة مع تحدي الرسالة، لكن المعجزة هي من عمل النبي، الذي يأتي بمعجزة لإثبات أحقية نبوته. وأحيانا ومن أجل إثبات الإمامة تستخدم في مقام التحدي، إذ يصدق عليها في هذه المرحلة وأمثالها عنوان المعجزة.[3]

النهي عن ممارسة العلوم الغريبة

إن عامة الأديان التوحيدية، قد نهت أتباعها عن ممارسة العلوم الغريبة، واعتبرت الاعمال والممارسات السحرية بانها من الكبائر، ووضعت عقوبات شديدة بشأن السحرة والمشعوذين.

إن الرغبة الباطنية للانسان لكشف ما هو خفي ومستور، والميل الفطري لمعرفة

---

١. فيض كاشاني، ملا محسن، «تفسير الصافي»، طهران، مكتبة الصدر، الطبعة الثانية، ١٤١٥، ج ٢، ص ٢٥٥.

٢. «نور الثقلين»، ج ١، ص ٨.

٣. «تفسيرالتسنيم»، المصدر السابق، ج ٥، صص ٦٩٨-٧٠٢.

الحقائق المستترة، دفع الإنسان على امتداد التاريخ دائما للتمسك بالمجاهدة النفسانية والتعاليم الوحيانية، من أجل النهوض بمراتبه الروحية ونيل درجات من الحقائق. وفي المقابل، فان الكثير من الناس ورغبة منهم في اكتساب السلطة والتفوق عن طريق ممارسة العلوم الغريبة والخفية، لجأوا إلى الرياضات العجيبة والأعمال الشاقة والمرهقة غير الشرعية. وكلما كان الجهد مشروعا والشعائر العبادية ممدوحة، كلما أسهم ذلك في الإرتقاء وكمال النفس وبلوغ القوى الروحية والمعنوية للمراتب العليا، وفي المقابل، فان الرياضات غير الشرعية والأعمال الشيطانية والمتسمة بالكفر، تؤدي إلى هوان ومذلة النفس وتناقص المراتب الروحية إلى أسفل الدركات. وهذه الواقعة، تفسح المجال للشياطين أمام الانسان وتؤدي إلى زيادة نسبة وقرابة الأنسان مع الكائنات الشيطانية الخبيثة.

إن الظلمة والعتمة الناتجة عن هذه الأعمال، تجعل روح الانسان يسودها الظلام وتزيد من حجم المفاسد والرذائل (الشرك والكفر وعبادة الشيطان). لذلك فان جميع الأنبياء والرسل، حذروا ومنعوا الناس من الإقتراب من هذه العلوم والفنون.

وربما يُظن أن هذا الكلام ينسحب على أمم الحضارات القديمة، بينما يمكن منذ العصور القديمة والبائدة وحتى يومنا هذا في العالم المعاصر، مشاهدة الأوجه المختلفة للجهود من أجل التوصل إلى الأسرار الخفية والإفادة من العلوم الباطنية لممارسة السلطة والهيمنة على سائر الجماهير.

وثمة معطيات، تظهر أن هناك اليوم في بريطانيا ما يقارب الالفي شخص من الرمالين والعرافين. ويوميا يزور الملايين من الناس في اوروبا العرافين وقارئي الطالع.

وفي أمريكا وفي مطلع عقد الستينيات، كان هناك أكثر من ألف مجلة ونشرة بنحو عشرين مليون قارئ، تملك أعمدة قراءة الطالع. وفي «بريطانيا» هناك عدة مجلات، تلبي الأذواق المختلفة في مجال التنبؤات والرجم في الغيب.

والنمط الاخر من التخرفات الرائجة في أوروبا، هو الإيمان بالسحر والشعوذة،

حیث نشاهد أحیانا نماذج منهما في ألمانیا وفرنسا لاسیما في جنوب إیطالیا.[۱]

وبحثت الکتب الفقهیة في أنواع تشعبات وتفرعات العلوم الغریبة بما فیها اللیمیاء والهیمیاء والسیمیاء والریمیاء تحت عنوان السحر. والمؤکد هو أن الاسلام والشرع المقدس یعتبران هذه العلوم بانها من الکبائر.

وقد خصص الشهید السید **عبد الحسین دستغیب شیرازي** (قدس سره) فصلا مماثلا لهذا الموضوع ویقول بهذا الشأن:

إن الذنب الثالث والثلاثین الذی اعتبر من الکبائر، هو السحر. وینقل کتاب «وسائل الشیعة» روایة عن النبی الأکرم صلی الله علیه وآله بان النبی صلی الله علیه وآله اعتبر السحر من الکبائر، کما فی «صحیحة عبد العظیم» وبواسطة، نقلا عن ثلاثة معصومین عن الإمام الصادق علیه السلام حول الکبائر ویقول: إن السحر یعد من الکبائر، لان الله تعالی یقول فی القرآن الکریم: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ...»[۲] ....»[۳]

وهذا جزء من الآیة ۱۰۲ من سورة البقرة والآیة الکریمة بأکملها هي:

«وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّیاطینُ عَلَی مُلْک سُلَیْمَانَ وَمَا کَفَرَ سُلَیْمَانُ وَلَکنَّ الشَّیاطینَ کَفَرُوا یُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزلَ عَلَی الْمَلَکَیْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا یُعَلِّمَانِ منْ أَحَد حَتَّی یَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَکْفُرْ فَیَتَعَلَّمُونَ منْهُمَا مَا یُفَرِّقُونَ بِهِ بَیْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّینَ به منْ أَحَد إِلَّا بِإِذْنِ الله وَیَتَعَلَّمُونَ مَا یَضُرُّهُمْ وَلَا یَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِی الْآخِرَةِ منْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ کَانُوا یَعْلَمُونَ»[۴]

ولا ننسی، أن روایات مزورة وردت في بعض تفاسیر العامة، وکذلك خرافات،

---

۱. فولتر، «مختارات الثقافة الفلسفیة» ترجمة: نصر الله فلسفي، طهران، مؤسسة ترجمة ونشر الکتاب، نقلا عن «علم نفس الخرافات»، ۱۳٤۷، ص ۳۷.

۲. سورة البقرة، الآیة ۱۰۲.

۳. الکلیني، محمد بن یعقوب، «أصول الکافي»، ترجمة: سید جواد مصطفوي، طهران، مکتبة العلمیة الاسلامیة، الطبعة الاولی، ۱۳٦۹، ج ۳، ص ۳۸۹، ج ۲٤.

٤. سورة البقرة، الآیة ۱۰۲.

واضح كونها كاذبة. والصحيح حول **هاروت وماروت** هو حديث الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون حيث قال عليه السلام:

«وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما الناس السحر ليتحرزوا به عن سحر السحرة و يبطلوا كيدهم و ما علما أحدا من ذلک شيئا إلا قالا له إنما نحن فتنة فلا تكفر فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز عنه و جعلوا يفرقون بما يعملونه بين المرء و زوجه.»[١]

وإضافة إلى ذلك فان موضوع هاروت وماروت نقل عن طريق الشيعة باختلاف بسيط، وجاء في تفسير «مجمع البيان» بان عددا من كبار القوم قالوا:

«إن هذه القضية هى من القضايا التى يكتنفها الغموض وذكروا لها تأويلات.»

ويستشف جيدا من الآية الكريمة التي ذكرنا، بان السحر هو في مستوى الكفر، وأن الساحر لن ينال نفعا في الاخرة، بحيث يقول الله تعالى في الآية التي تليها:

«وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»[٢]

ما هو السحر؟

ويقول المرحوم **السيد حسن بن محمد باقر الخونساري** في «وسيلة النجاة»:

إن السحر هو عبارة عن كتابة أو تلاوة تعاويذ خاصة أو إحراق بالنار وتبخير أشياء خاصة أو رسم صورة أو نفخ أو تكوين عقدة أو دفن عدة أشياء بوضع خاص فى عدة أماكن، بحيث يؤثر ذلک على جسم أو قلب أو عقل الشخص المسحور، بما فى ذلک، إن كان غائبا، فانهم يحضرونه أو يجعلونه ينام ويغمى عليه، أو إيجاد المحبة أو العداء بينه

١. المجلسي، محمد باقر، «بحار الأنوار»، ج ٥٦، ص ٢٦٦.
٢. سورة البقرة، الآية ١٠٣.

وبين الاخرين، مثل ربط الرجل بالمرأة أو تفريق المرء عن زوجته.

ويمكن الإشارة بشأن السحر إلى عدة نقاط إختصارا:

١. ومن أجل الحصول على هكذا أثر، لابد أن يكون المرء على علم قطعي بوجود ما يصبو إليه، لكن ليس من الضرورة أن ينطبق هذا العلم مع الواقع، فمثلا الأشخاص الذين يسخرون الكواكب، يرون أن أرواحا خاصة مرتبطة بالكواكب السماوية، يمكن من خلالها القيام بأعمال ما، رغم أنهم قد يخطأون في هكذا تشخيص، لكن ذلك يؤثر لان لديهم علم قطعي...

٢. إن الشخص الذي يملك هكذا إرادة مؤثرة، إن كان مستندا إلى قوة روحه وشخصيته، الأمر الذي يشاهد غالبا لدى المرتاضين، فان قوة إرادته وتأثيره ستكون محدودة بطبيعة الحال، لكن إن كان صاحب تلك الإرادة يعول على الله تعالى، مثل الأنبياء والاولياء وأصحاب اليقين الذين إرادتهم هي لله ولا لغيره، فان هكذا إرادة مقدسة ليس لديها أي استقلال، وطبعا إرادة غير محدودة وربانية ولا حدود وقيود لأثرها. إن الأشخاص الذين يملكون مثل هذه الإرادة (القسم الثاني)، إن أصبحوا بصدد تحدي المعارضين ودعوتهم إلى المعارضة وإثبات عجزهم ويلجأون إلى مثل هذه الأعمال، فان عملهم يسمى المعجزة، وإن لم يكن الأمر بهذه الحالة، فانه يسمى «الكرامة» أو «إجابة الدعاء».

وفي القسم الأول، أي الإرادة المستندة إلى الذات، لا إلى الله، إن كانت متلازمة مع الإستمداد من الروح أو الجنّ وما إلى ذلك، فانها تسمى «الكهانة»، وإن كانت مصحوبة بالدعاء والتمائم وما شابه ذلك، فانها تسمى السحر.

السحر وروايات أهل البيت عليهم السلام

يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر.**»[١]

١. الهيثمي، علي بن ابي بكر، «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤، ص ٧٤، باب

ويقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَالسّاحِرُ كَالْكَافِرِ وَالْكَافِرُ فِى النّارِ.»

كما يقول عليه السلام:

«من تعلّم شيئاً من السّحر – قليلاً أو كثيراً – فقد كفر، وكان آخر عهده بربّه، وحدّهُ أن يُقتل إلاّ أن يتوب.»[١]

ونقل عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال ما مضمونه:

ان امرأة أتت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: **إن زوجي يعاملني بسوء وعملت شيئا لاجعله يتلطف علي** (أي عملت السحر له لكي يحبني). فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله ما مضمونه: ويلك، لقد كدرت البحار والأراضي وأن ملائكة الرحمة وملائكة السماء والأرض تلعنك. فذهبت المرأة، فكانت تصوم في النهار وتتهجد في الليل وحلقت شعر رأسها وارتدت الكرباس، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالاتها فقال: هذه الأعمال لا تقبل منها.[٢]

ويقول محدّث **فيض** في «تبيان» هذا الحديث:

هذا يعنى فى الظاهر أن هذه الأعمال لن تقبل منها ولا تحول دون تطبيق حد السحر عليها أى القتل، بالرغم من أن توبتها قد تقبل.

والمرجح أن سبب عدم قبول التوبة والأعمال يعود إلى أنها عملت سحرا لزوجها وقد تكون هذه الجملة إشارة إلى كبر ذنب السحر، بحيث أن جميع هذه الأعمال لا تعوض عنه، وابتعدت هذا القدر عن رحمة الله بسبب ذنب السحر بحيث أن هذه العبادات لا تقربها إلى الله.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله ما مضمونه انه من أتى ساحرا أو كاهنا أو كاذبا ويصدق

في مدمن الخمر.

١. الحر العاملي، محمد بن حسن، «وسائل الشيعة»، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الاولى، ١٤٠٩، كتاب التجارة، الباب ٢٥.

٢. دستغيب، السيد عبد الحسين، «الكبائر من الذنوب»، طهران، جهان للنشر، الطبعة السادسة، ج ٢، ص ٨٠.

ما يقولونه، فانه يكون قد كفر بجميع الكتب السماوية التي أنزلها الله.[1]

حد الساحر، القتل

إن كل مسلم يمارس السحر، يجب أن يقتل، إلا إذا تاب، وإن مارس كافر السحر، فلا يجب قتله، بل يجب تأديبه بمقدار ما يحدده حاكم الشرع. وقال الامام الصادق عليه السلام:

«الساحر يضرب بالسيف ضربة واحدة على رأسه.»[2]

ونقل عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن حكم السحر فقال صلى الله عليه وآله ما مضمونه أنه إذا شهد شاهدان عادلان على السحر، فان الساحر يكون مستباح الدم.[3]

وعن أبى عبدالله عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ساحر المسلمين يقتل وساحر الكفار لا يقتل.» فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ولم لا يقتل ساحر الكفار؟ قال: «لأن الكفر أعظم من السحر، ولأن السحر والشرك مقرونان.»[4]

أي أنه عندما لا يقتل الكافر غير الحربي بسبب كفره، فانه لا يقتل بسبب السحر أيضا، لأن الكفر أعظم من السحر، بل أن المسلم الساحر يقتل، لانه اقترب من الشرك.

الطرق المختلفة للسحر

وأورد كتاب «إرشاد القاصد في أسنى المقاصد» حول الطرق المختلفة للسحر ما يلي:

---

١. القمي، الشيخ عباس، «سفينة البحار»، طهران، دار الأسوة، الطبعة الثانية، ١٤١٦، ج ١، ص ٦٠٥.
٢. المصدر السابق.
٣. الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، تصحيح علي اكبر غفاري، ١٤٠٧، دار الكتب الاسلامية، ج ٧، ص ٢٦٠.
٤. «الكبائر من الذنوب»، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٢

إن السحرين بنوعين: حقيقى وغير حقيقى.

ففى السحر غير الحقيقى، فان الساحر يؤثر فى عيون الإنسان ليجلعه يرى الحقائق بطريقة اخرى.

وأساليب السحر مختلفة:

طريقة الهند: الرياضات النفسانية وتجريدها من الممارسات الجسدية بقدر ما هو ممكن بالنسبة للانسان.

طريقة النبطيون: القيام ببعض الأعمال من خلال استعمال الرُقية والدُخنة أو العزائم التى تتم فى وقت معين، وتلك الأشياء أى الرقية والدخنة والعزائم، هى فى بعض الأحيان على هيئة صور ونقوش، وفى أحيان اخرى على شكل عُقد يُنفث فيها،[١] والبعض الاخر منها كتابات تدفن فى التراب أو تعلق فى الهواء أو تحرق فى النار، وتلك الرقى وحسب إعتقاداتهم، تتضرع للكواكب والنجوم وتسألها أن تلبى لها مطالبها.

طريقة اليونان: تسخير روحانيات الأفلاك والكواكب وإنزال قواها والتضرع إليها، لانهم يؤمنون بان اثار السحر تصدر عن روحانيات الأفلاك والكواكب لا من ذاتها.

طريقة العبرانيين والأقباط والعرب: الإعتماد على ذكر أسماء مجهولة المعانى، وكأن هذه ومن خلال هذه التعاويذ تقوم باستحضار الجنّ ويؤمنون بان هذه الاثار تصدر عن الجن، ويزعمون بان هذه التعاويذ، تقوم بتسخير الملائكة المستحوذة على الجنّ.[٢]

إن الحديث عن دقائق ومستظرفات السحر هي خارج نطاق معلومات ومعطيات المؤلف، ولا علاقة لها بالموضوع والمهمة الرئيسية لهذه الرسالة التي

---

١. «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ»، سورة الفلق، الآيات ١-٥.

٢. بور محمد، محمد حسين، «الروح والجنّ من وجهة نظر العلم والدين»، طهران، اشكذر، ١٣٨٧ش.، صص ٣١٣-٣١٤.

تتمثل في إظهار المنعطفات التي حصلت في التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة منذ بداية يوم الهبوط على الأرض وحتى يومنا هذا.

الكهانة

الكهانة هي محاولة للتبصر بالمستقبل. ظنا من أن هذه الأخبار قد وصلت إلى الكاهن عن طريق بعض طوائف الجنّ أو ظنا من أن بوسعه من خلال مقدمات واسباب يعرفها، التكهن بشؤون المستقبل، على غرار أنه يتوصل من خلال كلمات وحالات وسلوك السائل إلى بعض أمور المستقبل أو الشؤون الخفية للشخص السائل ويقول صاحب «النهاية»: إن هذا القسم من الكهانة، يدعى العراف. لكن المشهور لدى الفقهاء هو أن الكاهن هو الشخص الذي له صاحب الرأي من طائفة الجنّ يخبره بالأمور الخفية، فمثلا أين مكان المال الفلاني الذي سرق، أو من هو سارقه، أو أين مكان الشئ الضائع أو من هو قاتل الشخص الفلاني؟ أو أن يخبره بشؤون مستقبله. ومن بين أنواع التكهنات، يتفق جميع الفقهاء على حرمة الكهانة، مثلها مثل حرمة تعلم السحر وتعليمه للاخرين والعمل به والذهاب لدى الساحر لعمل السحر، وكذلك فان تحصيل الكهانة والعمل بها والذهاب لدى الكاهن من أجل الكهانة، هو عمل حرام، بل أن بعض الفقهاء قالوا: الكهانة هي من أقسام السحر.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من تكهن أو تكهن له فقد برىء من دين محمد صلى الله عليه وآله.»[1]

ونقل **ابن الهيثم** عن الامام الصادق عليه السلام قوله أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرّافًا، فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ صلى الله عليه وآله.»[2]

---

١. «الكافي»، المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٦٠.

٢. «سفينة البحار»، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٠٥.

واعتبر الإمام الصادق(عليه السلام) الكهانة بانها من الكسب الحرام، كما اعتبر أجرها حرام؛[١] كما تم نقل مثل هذه الرواية عن الإمام علي أمير المؤمنين(عليه السلام).

مصلحة الناس، ألا يعرفوا المستقبل

ويجب معرفة أن ثمة مصلحة وحكمة في تحريم الكهانة وما شابهها، بما في ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يطلع الإنسان على الغيبيات وأحداث المستقبل، وأن مصلحته تكمن في عدم معرفتها، لإنها إن كانت جيدة ومتفقة مع رغبته لمعرفتها، فانه يصل إليها بشكل أسرع، وقد تكون تلك الحادثة الجيدة تحصل على إثر العمل الصالح وعمل الخير مثل الدعاء والصدقة، فيما سيحرم الشخص منهما بسبب عدم الإتيان بهما. وإن كانت تلك الحادثة سيئة وتناقض رغبة الشخص، فانه سينزعج من مواجهتها، رغم أنها قد لا تكون من الحوادث الحتمية بل تقع بشكل عفوي، وربما هناك الكثير من الأحداث المترقبة تزول ببركة الدعاء والصدقة وأفعال الخير، مثل زوال البلاء عن قوم يونس على إثر التوبة والدعاء، مثلما ورد في القرآن الكريم.[٢،٣]

فنون السحر

وتشتمل العلوم الغريبة على مدارس وتفرعات كثيرة، إذ أن الإطلاع عليها وتقديم قائمة دقيقة وتخصصية عنها، يتطلب سنوات من الدراسة والبحث. كما أن العديد من الباحثين والخبراء في هذه العلوم، لم يكن لديهم إشراف تام على جميع دقائقها النظرية والعملية.

وقد منع الاسلام الخوض في هذه العلوم والقيام بالممارسات السحرية، بينما

---

١. المصدر السابق.

٢. سورة يونس، الآيات ١٤٠-١٤٩؛ سورة الأنبياء، الآيتان ٨٧ و ٨٨.

٣. «الكبائر من الذنوب»، المصدر السابق، ج ٢، صص ٧٥-٩٨.

وضعت عامة الأديان التوحيدية عقوبات قاسية للسحرة وتطبقها على مقترفي السحر.

إن هذه الرسالة الدراسية، لا تغطي حتى قسما صغيرا من هذه العلوم. إن التقديم الإجمالي لهذه العلوم وإظهار موقعها لدى بعض الثقافات والحضارات السالفة والحاضرة، وذكر التشعبات والتفرعات العملية لما يعرف بين الناس بالسحر، يتم بهدف التعرف على ما يطلق عليه قبيلة اللعنة، لاسيما في العصر الحاضر حيث بادرت وسائل الاعلام المرئية واستنادا إلى أوجه من هذه العلوم ومنفذيها ومتخصصيها، إلى إنتاج أعمال كثيرة (سينما وتلفزيون وكتاب) وتضعها من دون أي إهتمام بالنقد والمساءلة، بتصرف عامة الأطفال والأحداث والشبان والأسر، وتتسبب بصورة غير مباشرة في الترويج للمذاهب والديانات السحرية المشركة.

وتقوم يوميا مئات القنوات التلفزيونية والوف دور السينما في أرجاء العالم، ببث وعرض مجموعة لا تحصى من الأفلام والمسلسلات التلفزيونية وحتى مسلسلات الرسوم المتحركة للأطفال والأحداث والتي تحتوي على قصص وموضوعات سحرية، بما فيها «هاري بوتر» و «أسياد الخواتم» و «نارنيا» و... على ملايين الجماهير وتسهم في نشر المذاهب السحرية وإزالة القدسية عن الديانات التوحيدية، وإيجاد الحرص والإستئناس بالتقاليد السحرية والسحر، وإطلاق يد الكائنات الماورائية الخبيثة (مثل الجنّ الشياطين) للنيل من جسم الأناس وروحهم.

ولذلك يمكن القول أن أناس العصر الحاضر في أنحاء العالم، على علم أكثر من جميع الأمم السالفة، بأوجه من الممارسة السحرية، ويمنون النفس بالحصول على العلوم الغريبة وفنون السحر من أجل القيام بالممارسات غير الرحمانية (الدنيوية والسلطوية).

ونقل عن المرحوم كشميري قوله:

طلب ذات يوم، من أستاذى المغفور له قاضى، الكيمياء. فقال: تعال غدا. وفى اليوم التالى حيث ذهبت إليه، قال: كرّر هذا الذكر كثيرا: «اللهم اغننى بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك».

وقد جعلت هذا الأمر مقدمة لأقول إن الانسان وفي أي هيئة وملبس كان، يسعى لإيجاد طريق سهل وسريع لنيل حاجاته. وفي مقابل الطرق التي يضعها الرجال الإلهيون مستندين إلى المصادر الوحيانية الهائلة، أمام الباحثين من أصحاب المعنوية، فان الرجال الشيطانيين، يستخدمون كذلك أنواع الطرق مستندين إلى المصادر القذرة والابليسية لكي ينالوا هم وأتباعهم مبتغاهم ومآربهم بالطرق غير الشرعية والحرام والملوثة بالقذارات الظاهرية والباطنية. وفي الحقيقة فان الممارسة السحرية، تمثل محاولة غير مشروعة وسلطوية للافادة من القوى التي هي بصورة طبيعية خارج متناول الأناس العاديين.

لقد تكاملت فنون السحر وتنوعت على مر الزمن وعلى إثر التجربة وتراكم علم وخبرة الأقدمين وبالتالي إيحاءات وتعليمات الشياطين.

ويقر الكاتب، أنه لا معرفة تطبيقية له بأي من هذه الفنون، ولم يتعلم بالمطلق أيا من تشعباتها ولم يجربها. وبناء على ذلك، فانه يأتي على ذكر الأنماط المختلفة والعامة والإجمالية لهذه الفنون من خلال الرجوع إلى المصادر المكتوبة.

ويستخدم السحرة، فنون السحر، وهم يستمدون من الأسرار المسروقة من السماء ويتناقلونها جيلا بعد جيل وعن طريق التجربة وينقلونها إلى الأجيال اللاحقة، ليبلغوا هدفهم بمدد الشياطين.

إن مشاركة الشياطين في السحر يأتي بهدف جرّ الانسان إلى الجحيم، وتلويثه بالذنوب والمعاصي وتضليل سائر الناس على يد السحرة.

وما هو معروف في الكتب التخصصية للعلوم الغريبة ولدى الباحثين في هذا المضمار، فان بعض فنون السحر السائدة بين السحرة، منذ الأزمنة الغابرة وإلى يومنا هذا هي:

١. الشعوذة

إن الشعوذة تعنى خفة اليد والمخاتلة والخداع.[١]

والشعوذة هي إظهار الشئ على غير حقيقته، وذلك بواسطة سرعة حركة وخفة اليد، بحيث يراه الناظر في الخارج، فمثلا عندما يتم تدوير المجمر الذي يحتوي على جمر، فان العين، ستشـــاهد دائرة نارية متواصلـــة، بالرغم من أن الامر ليس كذلك، أو مثل الشخص الذي يستقل سيارة أو باخرة، يرى نفسه ساكنا والأرض والبحر يتحركان.

والشعوذة تعني أيضا إظهار الأمور غير الحقيقية على أنها واقع وحقيقة.

وبإجمـــاع جميع الفقهاء، فان الشـــعوذة، هي حرام وتعد من فروع الســـحر، بحيث ورد في «حديث الإحتجاج» بان الإمام الصادق عليه السلام اعتبر الشـــعوذة من فروع الســـحر، كما أن التعاريف والتصانيف التي وضعها أصحاب الفن للســـحر، تضم الشعوذة.[٢]

إن المشعوذ وبالاستفادة من خصائص بعض المواد والخدع التي ينفذها على إثر خفة اليد والسرعة، تؤدي إلى حيرة واندهاش الجميع.

وهناك اليوم أكثر من مليون مشـــعوذ في العالـــم. وقد افتتحت جمعية ورابطة المشـــعوذين الدوليين عام ١٩٦٨، وتقاسم المشعوذون في هذا الموقع، أسرارهم وخبراتهم المهنية.[٣]

٢. التسخيرات (طرد الأرواح الشريرة)

التســـخير هو مصـــدر باب التفعيل، ومن جـــذر «س خ ر» بمعنى الترويض والتدجين وجعل الشخص مطيعا وإخضاع أحد أو شئ[٤] وكذلك التكليف بانجاز

---

١. «معجم دهخدا للغة الفارسية»؛ معين، محمد، «معجم اللغة الفارسية»، طهران، امير كبير.

٢. «الكبائر من الذنوب»، المصدر السابق، ص ٢٠٩.

3. www.shobadebaz.com

٤. إبن منظور، محمد بن مكرم، «لســـان العرب»، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشـــر والتوزيع (دار صادر)، ج

عمل من دون أجر.[١] والتسخير في المصطلح، هو فرع من فروع العلوم الغريبة.

إن السحرة وفي ظل استخدام التمائم والتعاويذ وممارسة أفعال خاصة، يقومون بإخضاع وتسخير كائنات، ويستخدمونها على العموم لاهداف غير رحمانية وسلطوية وشهوانية. وهذه التسخيرات، تشمل تسخير الجنّ والملائكة.

بعبارة أخرى، فان هذا العلم، يشمل فنونا تؤدي إلى إخضاع كائنات لهيمنة وسلطة الانسان قسرا أو من خلال التهديد والإرعاب، على سبيل المثال يقوم السحرة خلال تسخير الجن باعمال وافعال، تجعل هذه الكائنات تحت الضغط والأذى ولا يبقى أمامها بُد سوى الطاعة والإمتثال والإنصياع للانسان.

ويقول الشهيد **دستغيب** حول هذا الفرع من العلوم الغريبة:

إن التسخيرات واستخدام وتسخير الملک والجنّ أو الارواح الشريرة أو سائر الحيوانات وغيره، هو فعل حرام ويعد من فروع السحر. ويقول الشيخ فى «المكاسب»: إن التعاريف التى قدمت عن السحر، تشمل أنواع التسخيرات. وحتى الشهيد الاول والشهيد الثانى، ورغم أنهما يعتبران أن شرط حرمة السحر، يتمثل فى الإضرار بالغير، ومع ذلک يصرحان بان استخدام الملک أو الجنّ عن طريق السحر، هو عمل حرام، وربما دلالة ذلک من وجهة نظر الشهيدين تعود إلى أن تلک الملائكة أو الجن الذين يتم تسخيرهم، يتضررون ويتأذون فى الواقع.[٢]

٣. الطلاسم

وقد وردت في «قاموس المعاني» مفردة الطَلاَسَمَ بمعنى **مَا يَخُطُّهُ السَّاحِرُ مِنْ خُطُوطٍ بِهَا أَلْغَازٌ غَامِضَةٌ وَمُبْهَمَةٌ**. كما أورد المرحوم الدكتور **معين** في

٦، ص ٢٠٣، ذيل مفردة سخر.

١. المصدر السابق.

٢. «الكبائر من الذنوب»، المصدر السابق، ص ٢٠٩.

«معجم اللغة الفارسية»، للطلسم معنيين، الاول هو السحر والثاني هو الكتابات أو الأشكال غير العادية لسحر شئ أو شخص ما.[۱] واعتبر المرحوم **دهخدا** في معجمه «الطلسم» بانه معرب للمفردة اليونانية «طلسما» وهو جهاز لعلم الحيل وما يحولون التصورات الموهومة إلى شكل غريب.[۲]

وفي المصطلح، فان الطلسم، هو كتابات مؤلفة من كلمات وأشكال وجداول، يرسمها العرافون والسحرة وقارئو الطالع كل حسب مدة البقاء التي يصبون إليها، على الورق أو قطعة معدن وجلد حيوانات. والفارق المهم بين الدعاء والطلسم هو أن الدعاء يكتبونه باللغة السائدة والكاملة، لكن في الطلسم، يتم كتابة كلمات من الدعاء بحروف غير مفهومة وخط ونقطة وحروف شكلية، ولهذا السبب، فانه من غير الممكن للجميع فهم تلك الكتابات.[۳]

ويكتب **برويز أذكائي** أحد كتاب «دائرة المعارف الاسلامية الكبرى» في مادة «الأسرار، أحد العلوم الخفية» في تعريف مفردة الطلسم:

إن مفردة طلسم العربية، والتى وردت فى اللغات الأوروبية أيضا، مأخوذة من مفردة Telein اليونانية، وهى تعنى التحقيق والاستكمال والتقديس فيما تعنى مفردة Telos التحقق والإكتمال والحالة النهائية.[۴]

ويذهب البعض إلى الإعتقاد بان الطلسم، وبناء على الدعاء الذي يقرء أثناء صنعه أو أن يكتب عليه، له أثر وقوة.[۵]

وجاء في «مجمع البحرين» في ذيل كلمة الطلسم:

هناک ثلاث نظريات مشهورة حول مفردة الطلسم:

۱. وهى مركبة من لفظة «طلّ» بمعنى الأثر و «إسم»؛

---

۱. «معجم معين»، المصدر السابق، ذيل مفردة طلسم.

۲. «معجم دهخدا»، المصدر السابق، ذيل مفردة طلسم.

۳. تناولي، برويز، «الطلسم: الغرافيك التقليدي الايراني»، بنكاه للنشر، ۱۳۸۵، ص ٦۱.

4. www.cgie.ir

۵. المصدر السابق.

٢. وهى لفظة يونانية، بمعنى العقدة التى تستعصى على الفك؛

٣. وهى مقلوب كلمة مسلط.[١]

وجاءت مفردة الطلسم، في «دائرة معارف التشيع»:

إن ما يمكن ذكره بشان الطلسمات، هو أن كاتب الطلسم، يستحضر القوى الماورائية عن طريق العلوم الغريبة، لنيل مآربه التى ينشدها. فضلا عن أن الطلسم، ليس بخرافة وله أثر حقيقى.

ويرى **إبن سينا** بان سبب السحر، هي النفوس القوية، التي تقع من دون الاستفادة من الأدوات المادية، لكن الطلسم ينشأ من إرتباط القوى السماوي بالقوى الأرضية. ويقول: إن الظواهر غير العادية في عالم الطبيعة، تنبع من ثلاث حالات:

- الهيئة النفسانية؛
- خواص أجسام العنصر، مثل إجتذاب المغنطيس للحديد؛
- القوى السماوية التي تستحدث على إثر التواصل مع القوى الأرضية، آثارا وتبعات غريبة.

فالسحر هو من النوع الأول، لكن الطلسم هو من النوع الثالث.[٢]

ويقول المرحوم الشهيد الأول بعد تبيانه تعريفا قريبا من التعريف الذي أورده البيرجندي، صاحب «كشاف مصطلحات العلوم والفنون»:

إن الطلسم، حرام وكسب الرزق عن هذا الطريق، حرام أيضا.[٣]

إن الطلسم وبرغم تأثيره الذي لا يُنكر، يمكن إبطاله. وأفضل طريقة لإبطال الطلسمات، هي التوكل على الله القهار والإستعانة بالرحمة الإلهية الواسعة.

---

١. الطريحي، فخر الدين بن محمد، «مجمع البحرين»، بحث أحمد حسيني، المكتبة المرتضوية، ج ٥، ص ١٠٧.

٢. صدر، حاج سيد جوادي واخرون، «دائرة معارف التشيع»، طهران، الشهيد سعيد محبي للنشر، ١٣٨١، ج ٩، ص ١١٧.

٣. «سفينة البحار»، المصدر السابق، ج ٤، ص ٩١؛ نقلا عن «الدروس» للشهيد الاول.

إن العديد من سور القرآن، مثل سور الكافرون والاخلاص والفلق والناس وكذلك الكثير من الأدعية المذكورة في تعقيبات الصلوات اليومية والأذكار الواردة في «مفاتيح الجنان»، مؤثرة في الحد من مفعول الطلسمات والسحر.

۴. القيافة

إن القيافة هي إلحاق انسان باخر في النسب، على النقيض من الأساس والمبدأ الذي وضعه الشرع المقدس في إثبات النسب والحاق شخص باخر، بما في ذلك أن يتم إصدار حكم قطعي بواسطة علم القيافة من أن أحدا هو إبن أحد أو شقيق فلان، وهذا القسم من علم القيافة، هو في الحكم، ملحق بالسحر، وحرام بإجماع جميع الفقهاء، لكن ما يستكشفه صاحب علم القيافة والفراسة من الأمور الغريبة والخفية بواسطة الأعضاء الظاهرة والباطنة للمرء ويخبر عنها، وطبعا ليس بصورة حاسمة وجازمة، وكذلك [إن] لم يكن يتطلب فعل الحرام ولا يكون مخالفا للشرع، فهو جائز، بما في ذلك، ورد في كتاب «الكافي» و «بحار الأنوار»[1] في حالات الإمام الصادق عليه السلام:

أن على بن هبيرة كان من حكام وامراء بنى العباس. وكان له غلام اسمه رفيد، غضب عليه هبيرة ذات يوم وأراد قتله. فلجأ رفيد إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال له الإمام عليه السلام ما مضمونه: عُد إليه وبلغ تحياتى له وقل أن جعفر بن محمد قال إن غلامک رفيد قد التجأ إلى، فلا تؤذيه. قال رفيد: فسرت فى الصحراء، رآنى عربى فقال: إلى أين تذهب؟ فوجهک هو وجه مقتول؟ فقال: ارنى يديک فعندما شاهدها قال: يد انسان مقتول كما رآى رجلى، قال: رجل انسان مقتول وشاهد جميع جسمى فقال جسم انسان مقتول. وبعد ذلک قال: أخرج لسانک! فعندما أخرجته قال: ليس ضرورى عليک، لان فى هذا اللسان رسالة إن حملتها إلى الجبال

۱. «بحار الأنوار»، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٤٤.

الشاهقة، تلين وتنصاع لک.

وقـال رفيد: عندما دخلت على مولاى على بن هبيرة، أمر بقتلى، فربطوا كتفى ووقف الجلاد بالسـيف المسـلول فوق رأسـى. قلت: أيها الامير، لم تمسـک بى قسـرا، بل أنا جئت إليک برغبتى. أريد أن ابلغک شيئا، أأردت قتلـى أم تصفح عنى. فبقى معى وحده. قلت: مولاى أن جعفر بن محمد عليه السلام بلغ تحياته لک. قال: الله! هل أن جعفر بن محمد قال لک هذا الكلام وبلغ تحياته لى. قلت: نعم! واقسـمت ثلاث مرات. فمسک بيدى وفكها وقال: إن قلبى لا يهدأ حتى تربط يدى بهذا الشكل، قلت: إن يدى لا تتحرک ولن أفعل هذا أبدا، قال: لا اقتنع إلا إذا فعلت ذلک.

وأصرّ إلى أن ربطت يديه ثم فككتها سريعا، فمنحنى خاتمه (خاتم الاسم) وقال: لقد فوضت أمورى إليک وكل شئ بيديک، إفعل ما تريد.[1]

٥. التنجيم[2]

التنجيم في اللغة يعني الحكم بالنجوم والكواكب، وترصد الكواكب وحساب المواقيت والسـير فيها والإطلاع على أحوال العالم، وبذلك فقد جاء علم النجوم مطابقا لمعرفة ساعات السعد والنحس.

إن التنجيـم هو علم دراسـة أثر الأجرام السـماوية، والقمـر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل وثوابت عقدتي القمر على العالم، والتي تحدد حركات العناصر الأربعة للعالم.

وهناك أربع نحلات واسعة في التنجيم:

• قـراءة الطالع: وتتعلق بوضع السـماوات منذ لحظة ولادة الشـخص حتى جميع جوانب حياته.

---

١. «الكبائر من الذنوب»، المصدر السابق، ج ٢، صص ٧٥-٩٨.

٢. «معجم دهخدا»، المصدر السابق، ذيل مفردة التنجيم.

• التنجيم العام: ويربط وضع السماوات في اللحظات المهمة الخاصة مثل الإعتدال الربيعي والخسوف والكسوف مع إقتران الكواكب، بالاحداث التي تؤثر على شرائح واسعة من الناس والشعوب أو العالم بمجمله.

• التنجيم الحُكمي: ويقوم من خلال دراسة السماوات بتحديد إن كانت لحظة خاصة مناسبة للبدء في عمل ما أم لا.

• التنجيم الحواري: الرد على أسئلة خاصة على أساس وضع السماوات في لحظة السؤال.[1]

ويقول الشهيد **عبد الحسين دستغيب** حول التنجيم والحكم الاسلامي لعمل المنجمين:

إن التنجيم هو الإخبار عن الحوادث التكوينية بصورة قطعية وجزمية، مثل الإخبار عن غلاء المعيشة ورخص السلع والمجاعة والقحط والوفور، وهطول المزيد من الامطار وقلتها وغير ذلک، من أنواع الخير والشر والنفع والضرر، بينما يعتبرون هذه الأمور مستقلة عن حركات الأفلاک وربطها بالكواكب ومستقلة عن تأثير هذا العالم، لكن الإخبار عن هذه الأمور على سبيل الإحتمال ومستقلا عن عدم تاثير حركات الأفلاک واتصالات الكواكب والتى تعتبر الله المؤثر الحقيقى هو جائز، مثلما أن الإخبار عن الكسوف والخسوف ومنازل القمر واتصال وانفصال الكواكب عن بعضها البعض، لا مانع من الإطلاع عليها، لان هذه القبيل من الأخبار تأتى بواسطة الحساب الدقيق الذى يؤدى إلى الإطلاع على حركات الأفلاک والكواكب والمدارات واوضاعها وتوجد لها اصول وقواعد محكمة لا تقبل الخطأ، وإن شوهد خطأ فى إخبار المنجم عن هذه الأمور فهو ناجم عن خطئه فى الحساب.

وفي هذا السياق، فان ما هو حرام، هو الإخبار عن الحوادث التكوينية بصورة

---

۱. إسماعيلي، محمد جواد، «العلوم الغريبة».

قطعية وجازمة، في حين انهم يعتبرونها مستقلة عن اثار الأفلاك وحركات الكواكب وهذا القسم من علم النجوم، ملحق ب «السحر.»

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«من صدّق كاهناً أو عرّافاً أو منجّماً، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله.»

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«المنجم ملعون، والكاهن ملعون، والساحر ملعون.»[١]

وعندما عزم الإمام علي عليه السلام على المسير إلى الخوارج، قال لبعض أصحابه و قد قال له: **يا امير المؤمنين، ان سرت فى هذا الوقت خشيت ان لاتظفر بمرادک من طريق علم النّجوم!** فقال عليه السلام:

«اتزعم انّک تهدى الى السّاعة الّتى من سار فيها صرف عنه السّوء؟ و تخوّف من السّاعة الّتى من سار فيها حاق به الضّرّ؟ فمن صدّقک بهذا فقد كذّب القرآن، و استغنى عن الاستعانة باللّه فى نيل المحبوب، و دفع المكروه. و ينبغى فى قولک للعامل بامرک ان يوليک الحمد دون ربّه، لانّک بزعمک انت هديته الى السّاعة الّتى نال فيها النّفع، و امن الضّرّ.»

ثمّ اقبل عليه السلام على النّاس فقال:

«ايّها النّاس، ايّاكم و تعلّم النّجوم الاّ ما يهتدى به فى برٍّ او بحر، فانّها تدعو الى الكهانة، والمنجّم كالكاهن، والكاهن كالسّاحر، والسّاحر كالكافر، و الكافر فى النّار. سيروا على اسم اللّه.»[٢]

كما قال الإمام الصادق عليه السلام ما مضمونه أن التنجيم، ليس في المتناول بالكامل، ولانفع له إن كان ناقصا.[٣]

وأفضل دليل على كون التنجيم ناقصا، هو أخطاء المنجمين والتي تم تسجيلها وتثبيتها في بعض كتب التاريخ، بما فيها ما ورد في المجلد الثاني من

١. «الكبائر من الذنوب»، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠١.
٢. «نهج البلاغة»، المصدر السابق، الخطبة ٧٨.
٣. «سفينة البحار»، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٩٥.

«تتمة المنتهى»:

فی عـام ۵۸۲ للهجرة، إجتمعت الكواكب السـبعة فـی الميزان، وحكم ابوالفضل الخوارزمی وباقی المنجمين على خراب الدنيا، بسبب الطوفان والعواصـف، وبدا الناس بحفر الابار فی السـراديب ونقلوا الماء والطعام إلـی هناک، وتحضروا لهبـوب رياح عاتية وانتظروا ليلـة الميعاد، التی صادفت ليلة التاسـع من جمادی الاخر، لكـن لم تهب أی رياح، بل هب نسـيم عليل، بحيث أنهم أضاؤوا الشـموع وكان الهواء ساكنا بحيث لم تتحرک شعلة الشموع، وقال الشعراء أشعار فی هذا الباب.[1]

وقبل عدة أعوام، سمعنا ما يشبه هذا الخبر، من منجمي زماننا، وأخافوا الناس من وقوعه، وحتى قيل بان الأرض ستتلاشـی قبل السـاعة المحددة التي أخبروا عنها. وقد أغرق بعض الأوروبيين أنفسـهم في البحر، لكن تلك الساعة حانت، ولم يحدث شئ عن ارتطام الأرض بالكواكب الأخرى.[2]

وحسـب علم مناهج البحث (الميثودولوجيا)، فقد تم تحديد أوجه من العمل السحري بين عامة الناس، أهمها عبارة عن:

- الرقية والذكر والدعاء؛

إن الرقية تعد أشهر أوجه العمل السحري، والتي تتم أحيانا مترافقة بحركات أو بمدد الكرة أو العصا الخشبية السحرية وتترك أثرا خاصا.

- الرجم بالغيب؛

الرجم بالغيب هو الإخبار عن المستور وقول الغيب والتكهن.[3]

إن الرجم بالغيب هو عمل سحري شهير وهدفه إعطاء معلومات عن الماضي والحاضر والمستقبل. ويعرّف السحرة، كلامهم وأفعالهم للاشخاص غير المطلعين على أنه قول الغيب. وهذا العمل يتم عادة من خلال اسـتخدام أدوات مثل الرمل

۱. «الوسائل»، أبواب ما يكتسب، الباب ۵۲.
۲. «الكبائر من الذنوب»، المصدر السابق، صص ۷۵-۹۸.
۳. «معجم دهخدا»، المصدر السابق.

والأسطرلاب والكرة والورق و... .

ويقوم السحرة أحيانا، بإبلاغ الشخص اخبارا وكلاما عن طريق التشاور مع فرد لا يمكن مشاهدته مثل الجنّ. وهذا العمل يدعى الكهانة، والعامل فيه يدعى الكاهن. والأوجه المختلفة للرجم بالغيب والتكهن لدى السحرة هي عبارة عن:

- قراءة الطالع والتفؤل وتفسير الفأل؛
- الرجم بالغيب بمساعدة الرمل والاسطرلاب؛
- الرجم بالغيب بمساعدة رصد الكواكب؛
- الرجم بالغيب بمساعدة الكرة (رؤية الكرة)؛
- الكهانة؛
- العرافة (الإخبار حول المستقبل من خلال النظر إلى ظاهر الشخص)؛
- قراءة الجبين؛
- قراءة الكف؛
- علم القيافة؛
- التنويم المغنطيسي.

ويتم في الثقافة العامة، تقسيم ممارسات السحرة إلى عدة فئات عامة من حيث النوع وكيفية التأثير:

– السحر الأبيض، وفي هذا النوع من السحر، يستعين الساحر بنوع من القوة الإلهية وله (حسب الظاهر) هدف سامٍ؛

– السحر الأسود، وفي هذه الطريقة، يستعين الساحر بالقوى الدنيئة وبهدف الحاق الضرر بالأشخاص للقيام بالسحر والموت هو حصيلة هذا السحر عموما. وفي هذه الطريقة، يتعاطي الساحر مع الأجساد والمواد القذرة والموتى؛

– إستحضار الأرواح والحوار مع الموتى.[1]

١. خلاصة مقالة ماخوذة من موقع «العلوم الغريبة» على العنوان:
www.olumegharibe.blogfa.com

السحر لدى الأمم والثقافات والحضارات

لقد استعان جميع أصحاب السلطة والملوك والسلاطين على امتداد التاريخ، بالسحرة وطاردي الأرواح الشريرة الكفرة وعبدة الشيطان، للحصول على هذا القبيل من الخدمات.

واستنادا إلى المصادر التاريخية، فقد كان الانسان منذ العصور الغابرة يعرف الكائنات الشريرة وماوراء الطبيعة، وكانت الطقوس السحرية رائجة وسائدة بين الأمم والشعوب المختلفة لطرد هذه الكائنات.

وكان كهنة الشعوب المختلفة يقبعون في الأبراج والمعابد والكهوف و... لخوض العلوم الغريبة والقيام بالرياضات الخاصة، لسبر غور العوالم وكانوا يسعون من خلال أنواع البخور والتمائم والرقى والطقوس السحرية، لإقامة تواصل مع الكائنات المنتشرة وغير المرئية.

ويمكن تلمس مصاديق الإيمان بوجود وحضور فئتين من كائنات ماوراء الطبيعة الطيبة والخبيثة، بين عامة الحضارات القديمة. وتوجد اليوم الكثير من آثار هذه الأمم ويتم الإحتفاظ بها في المتاحف والمكتبات. إن سكنة تلك الأيام وذلك العالم الزاخر بالرجاء والخوف والذهول، كانوا يشكلون هذه الأمم على ضفتي نهري دجلة والفرات.

إن السوريين الاسطوريين الذين سكنوا الوديان السفلى لنهر دجلة منذ خمسة

الاف عـــام قبل الميلاد والاكريين داكني البشـــرة الذين أقاموا في منطقة بابل منذ ثلاثـــة الاف عام قبل الميلاد، والإيلاميين أو أجداد الإيرانيين الذين يمكن تتبعهم حتى القرن الرابع قبل الميلاد والبابليين المنجمين الذين أسسوا امبراطورية عالمية، والأشوريين الذين خضعوا بداية لسلطة بابل لكنهم تحولوا لاحقا إلى فاتحي اسيا الغربية ومصر، وبالتالي الماد الذين كان مجدهم وعظمتهم يبدوان لا يزولان حتى استيلاء الفرس على جميع البلدان الاسيوية،[١] امتلكوا أنماطا مختلفة من الطقوس السحرية.

إن الســـحر بالمعنى العام، يعني أي عمل غريـــب. إن المصطلح الانجليزي (Witch Eraft) يشتمل على قسم من هذه الظواهر وتنطوي على سحر خاص.

إن الســـحر أو الســـحر الخاص، هو فن محفوف بالألغاز للتأثير على عالم المادة من خلال تدخل إرادة الساحر، سواء كان هو المبتدئ أو لإحباط مفعول سحر الاخرين.[٢]

ومفردة الســـحر كانت باللغـــة البهلوية Jadug، لكن فـــي البهلوية والكتابات الكلاســـيكية الفارســـية بما فيها «الشاهنامة» فان كلمة الســـحر تعني الساحر. والعمل الذي يقوم به هذا الشخص هو «السحر».

إن مفردة «مجيك» تشـــاهد بالحروف الفارسية في كتابات «ايران» القديمة. فمثلا يشير «اوستا» الكتاب المقدس للزرادشتيين إلى مُغ (رجال الدين) إذ ينالون بعد تعلم المجيك مرتبة «قاغي» أو «مجيكن.»

وفي التقســـيمات القديمة، فان «العلوم الخفية» أو «العلوم الغريبة» تعد أحد فرعي العلوم. والفرع الاخر أي «العلوم الجلية» تتعلق بالطب والمنطق والهندســـة وغيرها ولها قوانين محددة، وتدرس في المدارس، لكن العلوم الخفية التي تسمى أيضا العلـــوم الغريبة، تتطرق إلى قوى ما فوق الطبيعة وتبقى أســـرارها خفية لدى

١. «تاريخ السحر»، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢.
٢. موسوعة ويكيبيديا الحرة.

علمائها.

إن الفنون التي تتحدث عن أثر المجيك، فسروها وصنفوها كالتالي:

• علم وفن التنويم المغنطيسي أو النوم الإصطناعي أو الهيبنوتيسم؛

• السحر (بالمعنى الخاص): إيجاد تغيير في عالم المادة بالأساليب فوق الطبيعية وبارادة الساحر؛

• الكيمياء: علم يتعلق بتحويل النحاس والمعادة وحتى الحجر الى ذهب. والعمل في هذا الخصوص أدى الى إيجاد علم الكيمياء؛

• الهيمياء أو علم وفن الطلاسم: وهو أسلوب تركيب قوى العالم العلوي مع كائنات العالم السفلي؛

• علم وفن الأعداد والأرقام: ويتحدث حول ارتباط الاعداد وحروف الموضوعات معا وتشكيل جداول خاصة على شكل مثلث أو مربع ووضع الحروف والأعداد فيها للوصول إلى القضايا المختلفة بطريقة خاصة؛

• علم وفن الخافية: ويتعلق بكيفية تغيير واستنساخ حروف وأسماء الأشياء المنشودة وإستخراج أسماء الملائكة والشياطين الموكلين عليهم. ومن ثم الدعاء بالرقية التي تتشكل منها؛

• علم وفن إستحضار الأرواح (يشبه الهيمياء)؛

• الليمياء أو علم وفن التسخيرات: ويتحث عن كيفية التواصل مع الأرواح القوية في العالم العلوي (بما يشبه إستحضار الأرواح)، مثل تسخير الجن؛

• السيمياء: ويتحدث حول كيفية تركيب الإرادة والقوى الفيزيائية الخاصة للقيام بالممارسات الغريبة؛

• الريمياء: وهذا الفن هو الشعوذة. ويتم في هذا الفن إستخدام القوى الفيزيائية وخصائص الحواس الإنسانية لبلورة اثار خاصة في عين وأذن وحواس وحتى ذهن المشاهد، والتي لا وجود لها في الخارج، سواء بالطرق الفيزيائية والمادية والطبيعية أو فوق الطبيعية؛

• الرجـــم بالغيب: وهو علم الإخبار عـــن الحوادث في الماضي والحاضر أو المســـتقبل والتي هـــي خفية على الراجم بالغيب، وذلك مـــن خلال تدخل إرادة الراجم بالغيب لتكهن الاحداث. إن هذا الفن يشتمل على أنواع وهي:

أ. العرافـــة: والعراف هو الذي يتكهن المســـتقبل من خلال كلمات وحالات وسلوك السائل.

ب. الكهانة (بالمعنى الخاص): والكاهن هو الشخص الذي له صاحب رأي من طائفة الجن ويخبره بالمستقبل أو الأمور الخفية، على سبيل المثال، أين المال الفلاني الذي سرق؟ ومن قتل فلانا؟ و... .

والكهانة بالمعنى العام، تعني إقامة تواصل مع جنّي. ويستطيع الكاهن السؤال من الجني حول الماضي والحاضر والمســـتقبل، بل بمقدوره أن يطلب منه القيام بعمل غريب. إن لغة السحر هي لغة خاصة، وبعض حروفها مشتركة مع الحروف الفارسية والعربية، لكنها تختلف في طريقة كتابتها.[١]

ويطلقـــون على الكيمياء والســـيمياء والليمياء والهيميـــاء والريمياء، العلوم أو الفنون الخمسة الخفية. وأسوأ أنواع السحر، هو السحر الأسود أو الدنئ[٢] والقذر ويتعاطى مع القوى الدنيئة من قبيل الموت ويتابع بهدف شـــخصي، مثل الإضرار بالاخرين.

وتعـــد مصر وبين النهرين وارض فارس (ايران) مكان النشـــأة الأولى للموبدان (رجال الدين) وكانت أمكنة تملك تخصصا هائلا في مجال السحر.

وقد أتت عامة المصادر المكتوبة والروائية الإلهية والســـماوية المقدســـة على ذكر السحر على انه واقع، لكنها استنكرت جميع جوانب هذه العلوم الغريبة.

إن التنديد الشـــامل بالعلوم الخفية، ليس بسبب الخوف من استخدام السحر بهدف تضليل وخداع الاخرين، بل لان السحر مضر للمجتمع والمبادئ الاخلاقية

---

١. المصدر السابق.

2. Nectomancy.

ويتدخل في شؤون نهي عنها.

كما أن طاردي الأرواح الشريرة يعرفون طريقة التواصل مع الجنّ وتختلف طرق إستحضارهم. إن بامكان أولياء الله اعتماد أساليب أخرى ومختلفة عن أساليب طاري الأرواح الشريرة، لإستحضارهم. وقد أشارت بعض الكتب الى طريقة التواصل مع الجن لكنها لا اعتبار ومصداقية لها. وبشكل عام، فانه من أجل التواصل مع الجن، فان الظروف النفسية لمُستحضر الجن مؤثرة بجانب طريقة الإستحضار.[1]

إن كهنة المعابد وبسبب إطلاعهم على علم التسخيرات وعلى خلفية الرياضات القاسية، كانوا قادرين على اقامة تواصل مع هذه الكائنات. وإستنادا إلى المعلومات الثمينة الواردة في النصوص الروائية، يمكن معرفة كيف أن الكهنة ومن خلال استغلال جهل الناس بشأن الكائنات الخفية (الجنّ) يجلعون هؤلاء الناس يتبعونهم ويستفيدون منهم.

إن بعض الكائنات، وبسبب قدرتهم البدنية الخارقة، عندما كانوا يصبحون في خدمة الأنبياء الإلهيين العظام أو السحرة، كانوا يبنون بامرتهم مبانٍ وعمارات فريدة، بحيث ان سر بناء هذه العمارات بقي خافيا بعد الوف السنين، لدرجة أن البعض، ينسبون تشييد هذه المباني إلى الكائنات فوق الأرضية والفضائية.

وجاء في سورة «سبأ» حول الخدمات التي أسداها الجن للنبي **سليمان**عليه السلام:

«وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ»[2]

وفي سورة «ص» يتحدث الله تعالى عن قيام الشياطين بالبناء والغوص وكون بعض هؤلاء مقيدين بالأصفاد في عهد النبي سليمان عليه السلام:

---

١. «الروح والجن من وجهة نظر العلم والدين»، المصدر السابق، ص ٥٨.
٢. سورة سبأ، الآيتان ١٢ و ١٣.

«فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِه رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاص * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ»[١]

وكذلك قالَ الله تعالى:

«وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ»[٢]

وكما ذكرنا، تتحدث ايات «سورة سبأ» عن تشييد المباني والأدوات المتعددة على يد الجنّ.

صوت عجل السامري

ففي عهد وعصر النبي **موسى**عليه السلام كان إطلاق العجل السامري صوتا، اخر حيلة ومكيدة سحرية، ولم يكن السامري وحده الذي خدع بني اسرائيل بالإستعانة بالجن، بل بعد السامري، كان الجن الكفرة، وبقصد خداع الناس، يطلقون أصواتا من داخل الأوثان ويدفعون الكفرة للسجود أمام الأوثان والأصنام:

كان لبنى عذرة صنم يقال له حمام، وكانوا يعظمونه، وكان فى بنى هند بن حزام، وكان سادنه رجل منهم يقال له: طارق، وكانوا يعترون عنده العتائر، قال زمل بن عمرو العذرى : فلما ظهر النبىصلى الله عليه وآله **سمعنا منه صوتا وهو يقول: يا بنى هند بن حزام، ظهر الحق وأودى حمام، ودفع الشرك الاسلام. قال: ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا آخر وهويقول: يا طارق يا طارق، بعث النبى الصادق، بوحى ناطق، صدع صادع بأرض تهامة، لناصريه السلامة، ولخاذليه الندامة ، هذا الوداع منى إلى يوم القيامة ، ثم وقع الصنم لوجهه، قال زمل : فخرجت حتى أتيت النبى**صلى الله عليه وآله **و معى نفر من قومى فأخبرناه بما سمعنا، فقال: «ذاك**

١. سورة ص، الآيات ٣٦ و ٣٨.
٢. سورة الأنبياء، الآية ٨٢.

کلام مؤمن من الجن.»[۱]

ودخل العباس بن مرداس السلمی علی وثن یقال له الضمیر فکنس ما حوله ومسحه وقبله فإذا بصائح یصیح: یا عباس بن مرداس:

قل للقبائل من سلیم کلها هلک الضمیر وفاز أهل المسجد

هلک الضمیر وکان یعبد مرة قبل الکتاب الی النبی محمد

إن الذی جاء النبوة والهدی بعد ابن مریم من قریش مهتد

فخرج ثلاثمائة راکب من قومه الی النبی صلی الله علیه وآله فلما رآه النبی تبسم ثم قال: «یا عباس بن مرداس کیف کان إسلامک؟» فقص علیه القصة فقال: صدقت، وسُرّ بذلک.[۲]

تکلم شیطان من جوف هبل بهذه الابیات:

قاتل الله رهط کعب بن فهر ما أضل العقول والاحلاما

جاءنا تائه یعیب علینا دین آبائنا الحماة الکراما

فسجدوا کلهم وتنقصوا النبی صلی الله علیه وآله، وقال: هلموا غدا فسمع أیضا، فحزن النبی صلی الله علیه وآله من ذلک، فأتاه جنی مؤمن وقال: یا رسول الله أنا قتلت مسعر، الشیطان المتکلم فی الأوثان، فاحضر المجمع لاجیبه، فلما اجتمعوا ودخل النبی صلی الله علیه وآله خرت الاصنام علی وجوهها فنصبوها وقالوا تکلم، فقال:

أنا الذی سمانی المطهرا أنا قتلت ذا الفجور مسعرا

إذا طغی لما طغی واستکبرا وأنکر الحق ورام المنکرا

بشتمه نبینا المطهرا قد أنزل الله علیه السورا

من بعد موسی فاتبعنا الاثرا

فقالوا: إن محمدا یخادع اللات کما خادعنا.[۳]

---

۱. «بحار الأنوار»، ج ۱۸، ص ۱۰۲.

۲. إبن شهر اشوب المازندراني، محمد بن علي، «مناقب آل ابي طالب»، قم، العلامة، الطبعة الاولی، ۱۳۷۹، ج ۱، ص ۸۸.

۳. «بحار الأنوار»، ج ۱۸، ص ۹۵.

الفصل الثالث

كهنة معبد السحر

الكهانة والروحانية المعبدية (الثقافة المعبدية)

كانت الروحانية المعبدية (الكهانة) تشـكل منذ العصور الغابرة، الحجر الأساس لكافـة النحل والأديـان غير الوحيانية في حضارات سـومر ومصر واليونان وبابل والهنـد وايران. ويمكن في الحقيقة اعتبار الكهنـة بمثابة الأنبياء [غير الإلهيين] للمعابد والآلهة الأسطوريين للعهد القديم.

الكاهن

ويكتب المرحوم الموسوعي **علي أكبر دهخدا** ذيل مفردة الكاهن:

الشخص الذى يخبر عن الوقائع المستقبلية ويزعم الإطلاع على الأسرار وعلم الغيب. (التعريفات)

البصَـار والمتنبئ بالمغيب لأصـوات الحيوانات والسـاحر والراجم فى الغيب. (غياث)

الذى يرجم بالغيب (أقرب الموارد).[1]

وكان الكاهن عنوان يطلق على رجال الدين فى مصر القديمة والبابليين. وهذا الموقع خرج من رحم السحر.

وكان كهنـة المعابد يتولون القيام بالشـعائر والطقـوس والتقاليد وإقامة

١. «معجم دهخدا»، المصدر السابق، ذيل مفردة الكاهن.

التواصل وبالتالى إبلاغ الرسالة الخاصة للآلهة، وكانوا يطهرون حريم المعابد من الغرباء ويحتكرون كل ممارسات التواصل والإرتباط.[١]

إن الرجم بالغيب والعرافة والقيام بالطقوس والمراسم الدينية، مشتركة بين جميع الكهنة. وبما أننا نعرف بان الكهنة لم يكن بوسعهم التوصل إلى المصادر الغيبية والوحيانية، وأن موضوع الكهانة هو إجمالا حصيلة الإنحراف الديني والإتصال بالعوالم غير الوحيانية (الشياطين والجنّ)، فان موضوع الإخبار والتكهن والعرافة والرجم بالغيب، يحدث حكرا عن طريق جنود ابليس والجن الفضوليين الشيطانيين.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في مناظرة مع الزنديق وهو يرد على سؤال للزنديق وهو: **من أين أصل الكهانة، ومن أين يخبر الناس بما يحدث؟** فقال عليه السلام:

«إن الكهانة كانت فى الجاهلية، فى كل حين فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الأمور بينهم، فيخبرهم عن أشياء تحدث، وذلک من وجوه شتى: فراسة العين، وذكاء القلب، ووسوسة النفس، وفتنة الروح، مع قذف فى قلبه، لأن ما يحدث فى الأرض من الحوادث الظاهرة، فذلک يعلمه الشيطان ويؤديه إلى الكاهن، ويخبره بما يحدث فى المنازل والأطراف.

وأما أخبار السماء: فإن الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاک، وهى لا تحجب، ولا ترجم بالنجوم، وإنما منعت من استراق السمع لئلا يقع فى الأرض سبب تشاكل الوحى من خبر السماء، فيلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله، لإثبات الحجة ونفى الشبهة، وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله فى خلقه فيختطفها ثم يهبط بها إلى الأرض، فيقذفها إلى الكاهن، فإذا قد زاد كلمات من عنده، فيخلط الحق بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به، فهو ما أداه إليه الشيطان لما سمعه، وما أخطأ فيه فهو

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ص ١٩٧.

من باطل ما زاد فيه، فمنذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة، واليوم إنما تؤدى الشياطين إلى كهانها أخبارا للناس بما يتحدثون به، وما يحدثونه، والشياطين تؤدى إلى الشياطين، ما يحدث فى البعد من الحوادث من سارق سرق، ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضا، صدوق وكذوب.»[١]

ويستشف من قول الإمام الصادق عليه السلام بان منطقة عمل الكهنة في فترة الفتور (الحد الفاصل بين رحيل ومجئ النبي السابق والنبي اللاحق) وذروة حضورهم كانت قبل طرد الشياطين من السماوات والاعلان عن منع تنقلهم وترددهم، وبعدها، فان الشياطين الذين لم يكن لديهم علم باي من الأخبار السماوية، كانوا يقومون بايحاء ما يريدونه إلى الكهنة، وبذلك كانوا يحولونهم إلى أداتهم بين الناس والمستضعفين ويتسببون بالضلال والتيه. وإستنادا إلى الأخبار والروايات الواردة من أئمة الدين عليهم السلام ما مضمونه ان الشياطين كانوا يحجبون من سماء بعد سماء [٢] إلى أن ولد خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وبعدها حجبوا من جميع السماوات وطردوا.

ونقل عن الإمام علي عليه السلام:

«ولقدهم إبليس بالظعن فى السمآء لما رأى من الأعاجيب فى تلك الليلة، وكان له مقعد فى السمآء الثالثة، والشياطين يسترقون السمع ، فلما رأوا الأعاجيب أرادوا أن يسترقوا السمع ، فإذاهم قد حجبوا من السمآوات كلها.»

ولدينا في الأخبار أنه منذ عهد النبي آدم عليه السلام وحتى قبل ولادة **السيد المسيح** عليه السلام، كان الشياطين يذهبون إلى السماوات ويأخذون أمورا وأشياء

---

١. المجلسي، محمد باقر، كتاب السماء والعالم لبحار الأنوار، ج ٥٤، طهران، إسلامية، الطبعة الاولى، ١٣٥١، ج ٧، صص ٥٩-٦٠.

٢. «بحار الأنوار»، المصدر السابق، بيروت، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣، ج ١٠، ص ٤٥؛ ج ١٥، ص ٢٦٢ و ج ١٧، ص ٢٩٣.

من الملائكة ويخبرون بها الكهنة وعندما ولد **المسيح**عليه السلام، حجبوا من السماء الرابعة فما فوق، وعندما ولد النبي الاكرمصلى الله عليه وآله حجبوا من جميع السماوات. وكانوا يذهبون إلى القرب من السماء لكن الله تعالى كان يحرقهم باسهم من شُهب ولم يكن بمقدروهم الذهاب. لذلك كانت الآية «**لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا**»[١] بعد ولادة المسيح عليه السلام لكنهم كانوا يذهبون بالقرب من السماء وكان الشياطين يسمعون في هذه الفترة، صوت الملائكة إذ أن مفادة الآية «**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ**»[٢] متعلقة بتلك الحقبة، لكن وبعد ولادة رسول اللهصلى الله عليه وآله، حجبوا من هذا أيضا وهو ما يشير إليه مفاد هذه الآية «**فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا**».[٣]

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

«وأمّا أخبار السماء فإنّ الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السّمع إذ ذاک وهی لا تحجب ولا ترجم بالنجوم ، وانّما منعت من استراق السّمع لئلاّ يقع فی الأرض سبب يشاكل الوحی من خبر السماء فيلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن اللّه لإثبات الحجة ونفی الشبه.»[٤]

ويقول **البر ماله** حول سكان «اليونان» وطقوسهم الدينية:

ومن وجهة نظر عامة شعب اليونان، فان القصد من العبادة، هو لفت انتباه الآلهة وكانوا يعتبرون أنواع التمائم والرقى، السبل لذلک، والأهم من كل شئ هو تقديم الماء والقرابين.

ويقول **هومر: لقد كان الناس يمتصون نقمة وسخط الآلهة من خلال تقديم القرابين والمطالب المهدئة وتقديم الماء وإحراق البخور.**[٥]

---

١. سورة الجن، الآية ٨.
٢. المصدر السابق، الآية ٩.
٣. المصدر السابق.
٤. الطيب، سيد عبد الحسين، «اطيب البيان في تفسير القرآن»، اصدارات الاسلام، ج ١٣، ص ٢٢٩.
٥. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٧.

ويقول **ويل ديورانت** مؤرخ «قصة الحضارة»:

عندما بنى الأناس الاوائل عالم من الأرواح لأنفسهم، من دون أن يعرفوا ماهيتهم الحقيقية ورغباتهم، أصبحوا بصدد كسب رضاهم والإستمداد منهم فى تمشية شؤونهم، وبذلك فقد أضيف الى إضفاء الروح إلى الأشياء والذى يشكل أساس الديانة الأولية، عامل اخر الا وهو السحر، وهذا السحر كان بمنزلة روح الطقوس الدينية.[١]

وما يمكن قوله حول شيوع ورواج الكهانة والسحر بين عامة الأمم في العصور القديمة، هو أن هؤلاء وعلى خلفية التجارب المتكررة ومشاهدة نتائج الكثير من عمليات التواصل والارتباط، آمنوا بكل ما كانوا يطلقون عليهم الارواح أو الآلهة وكانوا يعملون من أجل كسب رضاهم.

وبما أنه في مقابل إرادة الخالق الحقيقي والأنبياء الإلهيين والجنود الرحمانيين بمن فيهم الملائكة، فان القوى الشيطانية (الجنية) كانت المصدر الوحيد غير المرئي (الغيبي) لكنه حاضر وفاعل، ويتضح أن ما كانت هذه الأمم تعتبرهم الآلهة والأرواح، كان كائنا غير الإله الواحد. وهذه الكائنات كانت تتنقل بين الأناس وتؤذيهم وتنفذ مآربها عن طريق الكهنة.

وكان الكهنة الأناس الوحيدين الذين احتكروا إقامة التواصل من خلال الإتصال والارتباط بالعلوم الغريبة وتنفيذ المراسم والتقاليد السحرية، ومن أجل استغلال الناس الأبرياء باسم الآلهة، كانوا يستفيدون من عطايا وهدايا الناس والتي كانت تقدم للآلهة والمعابد وكانوا يواصلون سلطنتهم وسلطتهم على الملك والفقير.

وحول ماضي الكهانة لدى الأمم المختلفة، بوصفهم حراس الطقوس والتقاليد الدينية، هناك معطيات تاريخية مقتضبة. وبوسعنا من خلال الرجوع إلى التاريخ المتبقي حول أمم العصور القديمة ودراسة توجهاتها وتقاليدها الاجتماعية والدينية (بين طيات النصوص التاريخية) الإطلاع على مكانة ودور وأداء كهنة المعابد.

---

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ص ٧٨.

لان هــؤلاء كانوا في جميع أمم العصور القديمة يتولون حفظ الشــعار والطقوس والتقاليــد، بل كانوا غالبــا بعد الملوك، ينتمون إلى إحدى الشــرائح الاجتماعية المميــزة، وكان جميعهم يتمتعــون بمزايا خاصة باصحاب الشــرائح و الطبقات صاحبة النفوذ والمؤثرة في أنظمة الحكم.

سر إشتراك وتشابه الآلهة والأساطير

ويمكن القول أن الثقافة المعبدية كانت قد حلت لدى الأمم المختلفة، محل جميع التقاليد والســنن والادبيات الدينية للاديان التوحيدية. إن هذه الثقافة وعلى مدى السنوات والقرون، انتقلت من جيل إلى جيل على يد سلسلة طويلة من كهنة المعابد. وهذا الامر، أدى إلى أن تسود أدبيات خاصة بين هذه الطبقة الاجتماعية وبين الناس الذين كانوا يتعاملون ويتعاطون معهم.

إن الكثير من الباحثين وحتى الناس، يندهشــون عندما يشــاهدون القواســم المشــتركة لطقــوس المعابد المختلفة وحتى أوجه الشــبه بين الأســاطير والآلهة والأربــاب الذين يُعبدون واهتمام الأمم والمعابد، ويعتبرون تارة أوجه الشــبه هذه بانها ناجمة عن التأثر بالبيئة والهجرة والتعامل الاجتماعي، بينما يمكن ضمن هذه المجموعة الإهتمام بعامل مشترك اخر. وهذا العامل المشترك يمكن اعتباره أساس نشــأة موحدة للإيحاء بهذه التعاليم. وفي الحقيقة يجب إعتبار النشــأة الموحدة للتأثر سببا لردة فعل مماثلة من الأمم المختلفة ورواج الطقوس المتشابة معا تقريبا.

وفــي الأديان التوحيدية، فان المصدر الواحد لإرســال الأنبياء وإنزال الكتب الســماوية، لابد وأنه كان ســبب بــروز الادب والأدبيات والثقافة المشــتركة في المبادئ وحتى التقاليد بين اليهود والمسيحيين والمسلمين الأصلاء.

إن باحثــي العصر الحديث في مجال العلــوم الاجتماعية والثقافة والحضارة وبســبب غفلتهم عن تقدم إنزال الكتب السماوية وارســال الأنبياء الإلهيين على ســائر الظواهر الاجتماعيــة وحتى الحقب التاريخية، فانهــم عرفوا تاريخ الاديان

السماوية ورجوع الأمم الى التعاليم الدينية بانه متأخر عن الإنطباعات الاسطورية، ويعتبرون هذه الإنطباعات المتسمة بالشرك والمدنسة، مدخلا لرجوع الانسان إلى الأديان التوحيدية والإبراهيمية. وفي ضوء هذه الرؤية، سلموا خلال تقسيم الأعصار والحقب الماضية، بوجود عصر الاساطير والأديان والقرون الوسطى والحداثة والثورة الصناعية.

إن الأنبياء الإلهيين منذ عصر النبي **آدم**عليه السلام وحتى عصر خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ومن أي ارض وبلاد بعثوا، نشروا رؤية عالمية واحدة وثقافة واحدة وحتى أدبيات واحدة بين أتباعهم، بحيث أن هذه الاديان وطالما بقيت في مأمن عن تحريفها، تتحدث عن روح ثقافية موحدة وحتى انها تميط اللثام عن تقاليد وسنن مشتركة.

إن الأديان غير التوحيدية والنحل والفرق شبه الدينية التابعة لثقافة معبد الأمم القديمة، تملك من الكثير من الجهات، اوجه شبه قابلة للدراسة في مجال اللاهوت (الكلام و المعتقدات) والثقافة (الأدب والعيش). وهذا الشبه، يعود إلى أن هذه التعاليم هي من نشأة موحدة، وكذلك العوامل والأشخاص الخفيين وغير المرئيين الذين عرفهم كهنة المعابد.

إن الكهنة والثقافة المعبدية، تملكان ماضيا طويلا جدا في تاريخ حياة الأمم والشعوب، بعبارة أخرى يمكن القول أنه دائما ومنذ الايام الاولى من الخلقة، انبثقت جنبا إلى جنب الأديان السماوية وعلى الفور بعد بعثة أول الأنبياء النبي آدمعليه السلام وانشغلت في ضوء حصولها على ميدان عمل وغفلة أبناء آدم في خداع وتضليل المستضعفين.

ونظرا إلى تقارير الكتاب المقدس، بوسعنا أن نعتبر باحتمال أقرب إلى اليقين بان الكهنة الكنعانيين هم أجداد ورواد رجال الدين الاسرائيليين. ويطلق على رجل الدين المكلف بالعبرية «كوهن».

ويذهب معظم الباحثين إلى الإعتقاد بان هذا الاسم قد اقتبس من الكنعانيين. وكان يطلق على كبار القساوسة فى «كنعان» لقب «راوكُهنيم». وكان

واجبه يتمثل فى الاشراف على تقاليد تقديم القرابين والطقوس المعبدية، فضلا عن أنه كان يمارس أيضا العرافة وقراءة الطالع والسؤال من إله المعبد. وكانوا يطلقون «كوهن هاروش» على رئيس الكهنة و «كوهن غادول» على الكاهن الأعظم و «كاهن ميشنة» على مساعده. وفى الأدب الفينيقى، نشاهد مصطلح «رب كهنيم» والمقصود منه هو الكاهن الأعظم. وفى مصر، كان الكهنة يتمتعون بقيمة واعتبار كبيرين، وكان كبير الكهنة يسمى «ربوكهنيما».

وفى العبرية، يعتبرون أن «كُهن» قد اشتق من كون بمعنى الوقوف، لان الكهنة كانوا يقفون أثناء الخدمة أمام الآلهة. ويرى البعض أن هذه المفردة مأخوذة من «كنوآكادى» بمعنى التبجيل والتمجيد.

وفى «الكتاب المقدس» فان يهوه يأمر موسى بان يكون أعقاب هارون من خدمة الخيمة المقدسة وخدمة يهوه، وفى «كتاب الأعداد»، يتم تعيين «قبيلة لوى» من جانب يهوه لخدمة «صندوق العهد.» و»هارون» هو من قبيلة «لوى.» وكان لوى أحد أبناء يعقوب، اذ يتم تسمية قبيلة «لوى» (لاويان) باسمه.[1]

القواسم المشتركة بين الثقافة المعبدية

ويمكن بصورة عامة تلخيص القواسم المشتركة للثقافة المعبدية في العبارات والعناوين التالية:

ففي هذه الثقافة، فان أمر الكاهن (بمدد القوى السحرية) حازم وواجب التنفيذ وشامل؛

إن الكهنة والقوانين المعبدية السارية بين الناس، اكتسبت دور وضع القانون والشريعة، وأصبح الحكام مكلفين بالاشراف على تنفيذ تلك القوانين؛

١. اشتياني، جلال الدين، «بحث في دين اليهود»، نكارش للنشر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣، ص ٣٩٤.

إن هذه الشـــريحة (كهنة المعابد) تكتســـي في نظـــام الطبقات الاجتماعية منصبا ثانيا، وفي التقاليد الهندية تملك المنصب الاول وتتمتع بعد الملوك بجميع الامتيازات؛

وفي هذه الثقافة، فانـــه تم تنظيم المعتقدات الدينية في هيئة عبادة عدة آلهة ونظام اجتماعي على اساس النظام الطبقي؛

إن الإيمـــان بالســـحر والكاهن بين الناس، أوجد محرمـــات وتابوهات تتولى حفظ روح ومال الكاهن والمعبد واستمرار سلالة الكهانة؛

إن السحر هو حكر على الكاهن والأشياء المنفردة الخاصة، إذ يحرم الاخرون من التقرب إليها؛

وفي هذا المجتمع، فان التقاليد المقدســـة في هيئـــة علم الكلام الابتدائي، تشكل مجموعة المعتقدات لدى الناس؛

وفـــي هذه الثقافة، فان الحكام والجماهير، ينظـــرون من رؤية الكهنة والقوى السحرية، الى العالم والطبيعة والمجتمع، بعبارة اخرى، فان الثقافة المعبدية، توحي برؤية عالمية خاصة للناس؛

وفي هـــذه الثقافة، يتم تبيان جميع الرموز الاجتماعيـــة الكبرى بوجود الآلهة والكهنة والأبطال المرتبطين بهم؛

وفي هذه الثقافة، فان الكهانة هي منصب وراثي، تحتكره شـــريحة اجتماعية خاصة.

كهنة معبد دلفي واليونانيين

إن دراسة أحوال وأوضاع الكهنة والثقافة المعبدية السائدة بين الأمم المختلفة، تظهر أن الإشراف على طقوس وتقاليد تقديم القرابين والشعائر المعبدية والتنبؤ وقراءة الطالع والعرافة والسؤال عن آلهة المعبد وإحراق البخور وجمع الهدايا وقراءة التمائم والتعاويذ وإشعال مشاعل المعابد و... كانت كلها من الممارسات المشتركة لجميع الكهنة.

ومن وجهة نظر عامة اهالى اليونان، فان القصد من العبادة، كان لفت انتباه الآلهة وكانوا يعتبرون ان السبيل لذلک هو قراءة التمائم والتعاويذ وتقديم الهدايا، والاهم من كل شئ، رشّ الماء والقرابين. ويقول هومر: إن الناس كانوا يهدئون غضب الآلهة من خلال تقديم القرابين والمطالب المهدئة ورشّ الماء وإحراق البخور... .

وكان يتم رشّ الماء أو تقديم القرابين فى مذبح غير مسقوف ويقع أمام المعبد، تتخلله مراسم وفيما عدا ذلک كان الآلهة يستشيطون غضبا... .

وكل حادث كان يقع، كان أهالى اليونان يريدون معرفة إرادة الآلهة فى ذلک الحادث. وحسب ظنهم، فان إرادة الله كانت تظهر بعلامات مختلفة كانت تسمى التفاؤل. مثل هدير الرعد ومسار طيران الطيور. وكانت أصوات الأذن والعطسة تعد أحيانا وسيلة للتفاؤل.

وعندما كان أناس من اليونان، يتشاورون بشأن عملهم أثناء الحشد على اسيا، نهض احد رؤسائهم والمعروف بـ«غزنفون» وتكلم وعندما تحدث، عطس واحد من ذلك الجمع. وعلى الفور، انحنى جميع الجنود أمام الإله تعظيما. وبعدها واصل غزنفون حديثه وقال: «أيها الجنود، بما أن زيوس الذى يمسك بالنجاة، عندما أنزل علينا هذا التفاؤل الخير، بحيث أننا كنا نتشاور حول سلامتنا، بتقديرى أنه من اجل الشكر على هذه النعمة، يجب ان نقدم قربانا له حسب قدرتنا عندما ندخل أراضى أحد اصدقائنا، وقربان اخر لسائر الآلهة. الذين يوافقون على هذا الرأى فليرفعوا أيديهم.» فرفع الجميع أيديهم ونذروا هذا وقراوا نشـيدا. وعندما أجريت هذه الطقوس واصل غزنفون حديثه...

وكان أهالى اليونان يستشـيرون الآلهة فى الأوقـات المهمة، ومن أجل ذلـك كانوا يملكون بقاعا مباركة كانت تعد وسـيط الآلهة وكانت ترد على أسـئلتهم. وكان عدد هذه البقاع يتجاوز المائتين، لكن اشـهرها هو «حرم ابولون» فى «دلف».

وكان أهالى اليونان يؤمنون ايمانا عجيبا بـ«ابولون» وكانوا يذهبون الى دلف من أجل التشاور معه. وكان دلف يقع فى سفح جبل «بارناس»، وفى مكان تقول الروايات القديمة أن ابولون قتل فيه افعى بيطون بسهامه.

وكان ابولـون يوصل ارادته إلى الناس بواسـطة كاهـن يدعى لابيطى. وعندمـا كان يحدد يوما للاسـتخارة، كان لابيطى يجلس على كرسـى ثلاثـى القوائم أمام نقـرة. وكانت تخرج من هذه النقـرة أبخرة كبريتية، وكانت تدفعه الى الهذيان، وعندما كانوا يسـألونه، كان ينحب ويصرخ وكان يتلفـظ بالفاظ مقعطـة، وكان الكهنة يفسـرونها للمؤمنين. لكنهم كانوا يبينون ارادة الوسـيط من خلال جُمل لم يكن واضحا معناها، ومع ذلـك، فان أى معبـد لم يكن له زوار كثر بهذا القـدر بحيث كان يأتى

النـاس من جميع البـلاد اليونانية الدانية والقاصية وحتى «مارسـى» و «ألبيا» للاسـتخارة من الوسيط، وكانوا يستشـيرونه فى جميع الامور. فمثلا كان أحدهم يستشيره بشأن اختيار الزوجه واخر حول السفر. وكانوا يعتبرون الاسـتخارة ضرورية من أجل بناء ريف أو قرية أو الدخول فى الحرب والسلم.

ولذلك فان وسـيط دلف (الذى كان فى الحقيقة كاهنا) ليس كان يملك نفوذا دينيا مهما فحسـب بل أنه اكتسـب موقعا رفيعا فى السياسة أيضا ووصلت شهرته إلى حد كان الاجانب يستشيرونه ويستخيرونه ويقدمون له الهدايا، بحيث ان فرعون مصر و»أمازيس» و ملك «ليدى كرزوس» كانوا يفعلون هذا الشئ.

شفاء المرضى في «ابيدور»

وكانت بعض الأماكن فى عالم «اليونان» مزارا للمرضى، لان آلهة تلك الأماكن كانت مشهورة بشفاء كل عيب وعلة. وأشهر الآلهة الشافين كان «آسكة بيوس» أو «اسكولاب» وأشهر مزاراته كان واقعا فى «ابيدور» فى خليج «اجين».

وكان المرضى يأتون إلى أبيدور أفواجا، وقبل أن يذهبوا إلى مزار الإله، كان عليهم أن ينفذوا طقوسا، أن يغتسلوا فى الحمام، ويطيبون ويطهرون أنفسهم، وأن يصوموا، ويقدموا القرابين. وعندما كانت تتم هذه الطقوس والتقاليـد، كانوا يقبلون فى المـزار وكانوا ينامون هناك لليلة واحدة فى الظلام. وكان على الإله أن يتجسـد لهم فى تلك الليلة ويشـفيهم أو أن يظهر لهم وسـيلة الشفاء والعلاج، وفى هذه الحالة، كان الكهنة يعالجون المريض وفق أوامر الإله. وكانوا قد شيدوا أربعة أقواس مقببة من الرخام فى ابيدور وكتبوا أسـماء جميع الذين وهبهم الإله الشـفاء والعلاج على

أعمدتها. وفى داخل المعبــد كانت هناك الكثير من الهدايا التى كان قد قدمها المرضى الذين شفوا.[١]

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، صص ١٩٧-٢٠٠.

الثقافة المعبدية للكلدانيين

وتعنى مفردة «كلدة» أرض السعد وهى إسم منطقة كانت مقسمة إلى ناحيتى «سومر» و «أكد» بثلاثين قرنا قبل الميلاد. ويطلق على أهالى هذه المناطق، الكلدان، والكلدانيون هم من العرق السامى. وقد أعاد هؤلاء بناء مدينة «بابل».

ويعد «نبوخذنصر» أشهر ملوك الكلدانيين. وقد هاجم الايرانيون بلاد الكلدان عام ٥٣٨ قبل الميلاد واستولوا عليها. وكان الكلدانيون يعبدون الكواكب والنجوم، ثم تحولوا الى المسيحية. وانفصل المسيحيون الكلدانيون عن كنيسة «الروم الشرقية» واسسوا كنيسة مستقلة فى القران الرابع للميلاد. وبعد فترة وجيزة، اهتموا بتعاليم النسطورية وأصبحوا من جماعة المسيحيين النساطرة. وفى القرن السادس عشر للميلاد، إنقسموا على أنفسهم وشكلوا كنيستين مستقلتين، هما الكنيسة الكاثوليكية التى كان لها نحو ثمانين الف من الأتباع والكنيسة الكلدانية التى تعرف اليوم بالكنيسة الأشورية ويتبعها هى الاخرى ثمانون الف شخص. ويملك الكلدانيون فى الوقت الحاضر سبع كنائس فى «طهران» وباقى المدن الايرانية، وتوجد إثنتان منها فى طهران.[١]

١. مبلغي ابادانى، عبدالله، «تاريخ أديان ومذاهب العالم»، حرّ للنشر، ١٣٧٦، ج ٢، ص ٧٧٤.

ويقول **البر ماله** حول الثقافة المعبدية لأهالي «كلدة» و«اشـــور» ممن كانوا يقطنون منطقة «بين النهرين»:

وجـــرت العادة لدى أهالى كلدة واشـــور، أن يصنعـــوا آلهتهم على هيئة انســـان، لكن كانـــوا يصنعونهم أحيانهم على هيئة نصف انســـان ونصف حيوان، على ســـبيل المثال كان «إ آ» على شكل سمكة و«ايستار» على شـــكل حمامة. والملائكة الذين كانوا يضعون الصور المقدسة عند أبواب القصور. وكان تمثال انســـانى هائل بريشـــات طويلة، تارة، وأسد أو ثور مجنح برأس انسان تارة أخرى.[١]

وجليّ أن الله ســـبحانه وتعالى ووفقا للتعالـــم التوحيدية، واحد أحد ومنزه من أي تشـــبيه وتجســـيد. وكان الكلدان مثلهم مثل ســـائر الأمم، يعبدون على إثر دسائس ومكائد الشـــياطين وسمسرة الكهنة، آلهة مزورة ونابعة من الأوهام، بدلا من الله المتعال، وكانوا ينعتون هذه الآلهة بجملة من الصفات والنعوت الانســـانية والحيوانية.

خصائص الآلهة

وفى رؤية أهالى كلدة واشـــور، فان الله، فعال ما يشاء ويطلب من العباد، طاعتـــه بصـــورة مطلقة. وكانوا يخشـــون الآلهة، ومن أجل إســـترضائها واســـتمالتها وخطب ودها، كانـــوا يقدمون لها الطعـــام والقرابين. وكانوا يفضلون الحَمَل أو العجل على كل شئ لتقديمهم كقرابين، وكانوا يؤمنون إنهم إن لم يتهاونـــوا ويتغافلوا فى إقامة هذه الطقوس فان أرباب النوع، ســـتحتضن هذه الأمة وترفدها وتناصب الأمم الأخـــرى العداء، وتحرمها مـــن عنايتها ورعايتها. وإن كانوا يخرجون مـــن حرب منتصرين، فكانوا يغتنمـــون الفرصة ويقولـــون، بما أنهم كانوا صادقين فى إســـداء الخدمة

١. «تاريخ أمم الشرق واليونان»، المصدر السابق، ص ٨٢.

للآلهــة، فانهم نالوا أجرهم، وإن كان يهزمون، يعتبرون الهزيمة عقابا حل بهــم من جانب الآلهــة. وكان الملك، إن دخل فــى أى حرب، يقول أنه يتوجه إلى ساحة القتال باسم الآلهة وللثأر من أعدائها.[١]

١. «تاريخ أمم الشرق واليونان»، المصدر السابق، ص ٨٢.

أعراق فارس والثقافة المعبدية

وكانت «أعراق فارس» تطلق على مجموعة من الشعوب الهندو- آرية، ممن دخلوا مع الماتيين من الشمال الغربى إلى «هضبة ايران»، واسم أحد الاعراق الايرانية هو شعب «ايران» ومقرهم فى «فارس». ولا يجب الخلط بين الفرس والناطقين باللغة الفارسية. ونظرا إلى أن هذه اللغة استطاعت التغلب على اللغات الاخرى على مر الزمن، فان جميع الناطقين بالفارسية اليوم، ليسوا من العرق الفارسى، بمن فيهم الافغان والطاجيک، الذين ينطقون بالفارسية، لكنهم ليسوا من العرق الفارسى. ويشكل الناطقون بالفارسية ستين بالمائة من سكان ايران، وعشرة بالمائة منهم من غير الفرس، ومعظم الناطقين بالفارسية فى ايران هم من الفرس. ومن هذه العرقية، اعتلت سلالتان كبيرتان العرش قبل الاسلام، وهما: الاخمينيون والساسانيون.[1]

وقد أسس الفرس بعد دخولهم إلى هذه البلاد، نظام الحكم، وأخضوا مساحات واسعة تحت إمرتهم وحكمهم على مرّ الزمن.

ويقول **استرابون**:

إن عادات وتقاليد الفرس، تشبه الماتيين والشوشيين والشعوب الاخرى،

---

١. «هامش البرهان القاطع»، طبعة معين، فارس؛ «معجم دهخدا للغة الفارسية»، مفردة فارس.

وتناولها العديد من المؤلفيـن بالتفصيل. ومع ذلك، يجب أن نأتى على ذكـر ما يلزم ذكـره. وكان الفرس لا يصنعون وجه الآلهة ولا يشـيّدون المعابد. ويسـمون السـماء «زيوس» ويقدمون الأضاحـى والقرابين فى الأماكـن المرتفعة. وكانوا يمتدحون الشـمس ويسـمونها «ميتراس»[1] كما كانـوا يثنون على القمر وأفروديت[2] والنـار والأرض والهواء والماء (وقد ذكر استرابون، افروديت بدلا من ناهيد أو آناهيتا). وكانوا يقدمون القرابيـن فى أماكن طاهرة، ويتلون أدعية قبـل ذلك، ويزينون الحيوان القربـان بالزهـور والرياحيـن. وكان «مُغ» أو رجل الديـن الذين يدير طقـوس تقديم القرابين، يقطّع لحم الحيـوان إربا اربا، ومن ثم يأخذ كل واحـد حصته، ويعود إلى بيتـه. ولا يعطون حصة للإله، لانهم يقولون أن روح الحيـوان القربـان هى للإله فقط. ومع ذلـك، كان البعض يقدمون على وضـع قطعة صغيرة من لحم الحيوان علـى النار. وكان عدد رجال الديـن «مُغ» كبيرا فى «كابادوكيّة»، وكانوا يطلقون عليهم إسـم كهنة النار. وكانت معابد آلهة الفرس كثيرة أيضا. ولا يستعملون السكين لذبح الأضاحـى، بل كانوا يقضون على الحيـوان بالحطب أو المطرقة. وتوجد هنا معابد ذو فناء، ويتوسطها محراب عليه رماد كثير. وكان رجال الدين يواظبون على أن لا تخمد وتنطفئ النار. وكانوا يحضرون نهارا إلى هذه المعابد ويتلون نشـيدا أمام النار كل سـاعة مرة تقريبا. وكانوا يمسكون بعدد مـن العيدان فى يد ويضعون غطاء من اللباد على الرأس ويجعلونه يتدلـى من الخدين بحيث يغطى الشـفاه. وكانت هـذه الطقوس تنفذ فى معابد «آناهيتا» و «أومانوس». (والقصد من «اومانوس» هو «وهومنة» الـذى أصبـح فى القـرون التالية خالدا ومقدسـا وصاحـب فكر ورأى

1. Mithras
2. Aphridete

صائبيـــن). وكانوا يحركون طبلات تدوير من الخشـــب ووجه أومانوس الخشـــبى عندما كان الموكب يتحرك. وهذه أشياء شـــاهدتها بأم عينى، لكن الأشـــياء التى ذكرتها ســـلفا، وما ســـأذكرها لاحقا، مأخوذة من كتب المؤرخين. «وكانوا يدفنون الموتى بعد أن تحنيطهم، لكن رجال الدين لا يدفنون موتاهم، بل يرتكونهم لكى تفترسها الطيور».[1]

وكان كهنة المعابد في الحضارات القديمة وبوصفهم رجال دين يتولون الشؤون الدينية. وفي الوقت ذاته، كانوا ينجزون مهام وواجبات اخرى.

وفـــى عامة الثقافات القديمـــة بما فيها الثقافة والحضـــارة الايرانية، كان رجال الدين يتولون إدارة الشؤون الدينية لأتباع الديانة.[2] **وتظهر القرائن والشـــواهد المتوافـــرة أنه ذكرت مهام وواجبات للمـــغ (رجال الدين فى الديانات الايرانية القديمة)، أهمها هى الكهانة والتنبؤ وكذلك ممارســـة الطب والسياســـة والكواكـــب وعلم الفلـــك، وطقوس القرابيـــن والنار المقدسة والتابوهات الكثيرة فى آداب التطهير و... .**[3]

وأحـــد المصـــادر التى جـــاءت على ذكـــر المغ، هـــو «هيـــرودوت» أو «هيرودوتـــس» (Herodotus) الـــذى كان يعتبرهم كهنـــة وراجمين فى الغيب، بما فى ذلك تفسير حلم «استباک» إبن «هوخشترة».[4]

---

١. بيرنيا (مشـير الدولة)، حســن، «ايران القديمة»، الكتاب السادس، طهران، مؤسسة كتب الجيب، ١٣٤٢، صص ١٥١٩-١٥٢٠.

٢. معيـــري، هايدة، «المـــغ في التاريخ القديم»، طهران، معهد بحوث العلوم الانســـانية والدراســـات الثقافية، ١٣٨١، ص ٢٦.

٣. رضي، هاشم، «طقوس المغ، دراسة حول الديانات الايرانية»، طهران، سخن للنشر، ١٣٩٠، ص ٥٤.

٤. هيرودوت، «تاريخ هيرودوت»، ترجمة: هادي هدايتي، إصدارات جامعة طهران، الطبعة الثانية، ص ٨٢.

حضارة وادي «السند» وكهنة معبد الهندوس

هنـــاك أوجه شـــبه كثيرة بين «مـــغ» الايرانيين و «البرهمانييـــن» الهندوس. وكلتا المجموعتين، تملكان ماض وتاريخ مشتركين.

وأول حضـــارة هندية معروفة تســـمى «حضارة وادى الســـند». وهناك علامات تؤكد أن هذه الحضارة كانت متقدمة تقريبا قبل نحو ٢٥٠٠ عام قبل الميلاد، وربما زالت وانقرضت فى أواسط الألفية الثانية قبل الميلاد على إثر هجوم أناس كانوا يطلقون على أنأأنفسهم اسم «الآريين».[١]

والآريـــون الذين كانوا قد هاجروا من مناطق «خـــزر»[٢] فرضوا هيمنتهم ســـريعا على مجمل «الهند». ومع ســـقوط حضارة وادى السند تزامنا مع حضارة المدينة المحروفة فـــى ايران، زالتا تقريبا بعد دخول الآريين بين الاعـــوام ٨٠٠ و ٢٠٠٠ قبل الميـــلاد، ومذاك بدات حضـــارة الهند (أو الهندوس) وتشكل النظام الطبقى فى الهند.

وقد أشـــتق اســـم الهند من اسم نهر الســـند الذى كان معروفا بين الهنود بـــ«ايندوس» (Endus).

---

١. ك.م.سن، «الهندوسية»، ترجمة ع. باشائي. فكر روز للنشر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥، ص ٢٣.

٢. والرأي اليوم مســـتقر اكثر على أن الاريين هاجروا من «اســـيا الوســـطى» ومن ثم انقســـموا إلى فئتين: الآريين الايرانييـــن الذين جاؤوا الـــى ايران وبجانب ضفاف بحيرة «خوارزم» والاريين الهنود الذين ذهبوا الى الهند الحالية. (مترجمو «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، هامش ص ٤٦٠).

وكانت «الودائية» هي ديانة الاريين المهاجرين والتي حلت محل العبادات الأولية لسكان وادى السند وادت الى بدء عصر جديد فى الهند بعنوان العصر الودائى (١٠٠٠-٢٠٠٠ ق.م).

ودين الاريين وكما هو واضح اليوم من «الودائيات» كان متعدد الآلهة بصورة عامة، ويبدو أن الاساطير الودائية تملك أوجه شبه مع نظيراتها الأوروبية. وكانت طريقة عبادتهم تتمثل فى الاحتفال فى الهواء الطلق وحول النار. وكان واضحا انهم يهتمون قبل كل شئ بالطبيعة، لان معظم آلهة الودائيين كانت من قوى الطبيعة، بما فيها الشمس والقمر والنار والطوفان وما شابه ذلك.[١]

إن الحديث عن المجال الثقافي واديان ومذاهب الشرق بما فيها الهند، ليس بامر بسيط. إن التعقيد والرمزية اللذان يبدوان في ظاهر الأساطير والآلهة وحتى الأوثان، يضيق الخناق على إبداء وجهة النظر. وهذا الشئ يصعب ويعقد الامر على الباحثين والمستشرقين الثقافيين الذين يعتبرون انطباعات المذهب الانساني والنزعة الظاهرية معيارا للتشخيص والتمييز.

إن الوصول إلى عمق المعتقدات الشرقية والمرور بين مئات الصور التجسيدية للوصول إلى باطن وجوهر النظرة الشرقية إلى الوجود وجهودهم لاكتشاف الحقيقة، ليس بامر مستحيل بالنسبة للباحثين العصريين من بين سكان الشرق، لان هؤلاء ينظرون الى الانسان والعالم عبر مرآة انطباعات المستسشرقين ويكررونه كالببغاء. وأنا أقر باني لا أرى بداخلي القدرة على كشف الاسرار الخفية والمستورة في باطن الذهن والروح الشرقية التي تمتد على مدى الاف السنين، وليس لدي اي زعم في هذا الخصوص. وفي هذا المجال، كتب داريوش شايكان في عقد السبعينيات في كتاب بعنوان «الاديان والمدارس الفلسفية الهندية» يقول:

إن التوحيد (Monotheisme) وتعدد الآلهة (Polytheisme) ووحدة

١. «الهندوسية»، المصدر السابق، ص ٢٤.

الوجود (**Monisme**) وكافة الظواهر الاخرى التى ظهرت فى الهند وتبدو اليـوم كغابة كثيفة ومأزق فى أعين المبتدئين، أدت الى أن يخلط العوام ظاهـر القضية مع أصلها، ويعتبرون أن الهنـدوس كانوا يعبدون الأوثان والأصنـام. إن ديانة الهندوس لم تكن ماديـة أبدا، وكانت تملك رؤية تجاه الواقع الأزلى والعتبة الإلهية أوسـع مـن أن تنظر الى اللا متناهى على أنه محدود ومقيد بوثن وصنم وأن تنظر بالمطلق الى المجاز وتتجه الى تعددية الآلهة.

ويقول كومارا سوامى:

«تصـور أن ديانة الهندوس، كانت متعـددة الآلهة، على غرار تعدد آلهة اليونانيين والرمان، هى سـذاجة بحتة، وهى تسـتحق فقط ذلك الطالب الغربى الذى ورث الوثنية (**Paganisme**) من الرومان واليونانيين.»

إن فرضية تعدد آلهة الهندوس كانت مبنية دائما على سلسلة من التمثيل والصور التجسـدية، وأن الاسـاطير وارباب الأنـواع المختلفين كانوا بمنزلة مرايا ومظاهر تتجلى فيها الصفات الربانية. إن العالم المشـهود هو مرآة تجليات الحق وبناء على قول الحكيم الشـهير «شـانكارا» فهذا هو الضمير الالهى الذى يرسـم فى الحقيقة العالم وينظر فيه نفسه ويستمتع بمظهره واستعراضه. وهناك شبه وارتباط بين الخالق والمخلوق والشاهد والمشـهود، وهذا الارتباط العام يشـتمل على جميع درجات الخلقة وان الالهة والأوثان هم مظهر (**Pratika**) الصفة البرهمانية اللا متناهية... .[١]

إن إنطباعات واديان وتوجهات سـكان الشرق حول العالم والانسان، ونشأة الكـون والحقيقة المسـتورة خلف الظواهـر الجلية، تختلف في الأسـاس عن الإنطباعات والتوجهات المشـركة والملحدة لسـكان الغـرب، ويجب النظر الى

١. شـايكان، داريوش، «الاديان والمدارس الفلسـفية للهندوس»، امير كبير، الطبعة الثالثة، ١٣٦٢ش.، ج ١، صص ٣-٤.

الشرق دائما كمساحة مفتوحة، امتلك رجالا سعوا جاهدين لاكتشاف الحقائق الخفية.

إن الشرق هو مهبط ومكان نزول لبّ وجوهر الكتب السماوية والوحي الإلهي. وعلى النقيض من نظرة الفلاسفة اليونانيين والغربيين الى العالم وغفلتهم عن حقيقة الوجود والضياع في الوجود، فان التساؤل عن حقيقة الوجود اعتبره مفكرو الشرق أكبر واجب لاصحاب الفكر، وبذلوا جل اهتمامهم من أجله. إن الغرب (اليونان والرومان) والمتخلف عن الحقائق الدينية والحكمة الشرقية، غفل عن حقيقة الوجود، وخاض مجال الميتافيزيقا، ليعيش مع الوجود بنسبة النزعة نحو الفناء والزوال، وحسبما يقول المرحوم **عباس معارف:**

إن ميتافيزيقا التاريخ الحديث على غرار ميتافيزيقا عصر اليونان والروم، يرتبط بنسبة تتسم بالنزعة نحو الفناء والزوال مع الوجود، وتضاعف الامر فى العصر الحديث، وان الانسان المتسم بنزعة الفناء والزوال يعتبر كل شئ فان وزائل ماعداه هو وأن وجود الانسان نفسه، يملك تيقينا وحجية غير قابلة للانكار... .[١]

وعلى سبيل المقارنة، فان أكثر المدارس والاديان الشرقية بعدا عن لبّ وجوهر الكتب السماوية امتلكت نصيبا وحصة من الحقيقة، لم يصل إليها إطلاقا حكماء «اليونان» و«الروم» في الغرب.

قلت هذا لكي لا يُظن بان الكاتب يؤمن بان كل جغرافيا الشرق، بدء من شرق «البحر الابيض المتوسط» وانتهاء بـ«الصين»، توصلت الى كنه المستور واسرار الوجود بنسبة متساوية.

إن الهند هى بلاد العجائب، وهذه العبارة ليس مبالغ فيها وليست بعيدة عن الواقع، لان مجمل المراتب والسطوح المختلفة للثقافة البشرية بدء من المعتقدات البدائية لعبادة الاشجار والماء والتى ورثتها الهند من

١. معارف، سيد عباس، «نظرة ثانية على مبادئ الحكمة الانسية»، طهران، رايزن للنشر، ١٣٨٠، ص ٦٩.

حضارة «منهجودارو» وصولا إلى سبر أغوار كيفية وجودة وحدة الوجود توجد فى تلك البلاد بمحاذاة أحدها الاخر، وتتعايش معا، وفى العصر الذى مايزال فيه بعض المزارعين الهندوس يعبدون الأفاعى والأشجار وورثوا ذلك بلاشك من أجدادهم المحليين وغير الآريين، فان نهضة «عدم الايذاء» لغاندى والنابعة من التقاليد الاخلاقية العريقة للهند، لقنت البشرية أكبر عبرة، وحققت استقلال الهند عبر الطريق الذى كان يبدو صعبا بالنسبة لعالم اليوم. والحلم الذى كان ينميه الفيلسوف اليونانى افلاطون فى ذهنه وأراد أن يسلم زمام الحكم إلى الى الحكام الحكماء، تحقق فى الهند.[١]

ومع وصول الآريين الى بلاد «وادي السند» الواسعة وزوال العبادات الاولية، بدأ عصر، أوصل إلى مرحلة جديدة من الثقافة.

وقد قسم العلماء والمستشرقون الغربيون، تكامل الديانة الهندوسية الى ثلاث دورات، وهي العصر **الودائي** و**البرهماني** و**الهندوسي**.

– الدورات الودائية الثلاث (٥٠٠ الى ١٥٠٠ ق.م)

– البرهمانية (٥٠٠ الى ٨٠٠ ق.م)

– الهندوسية (من القرن الثامن للميلاد فصاعدا، التطور والتكامل الشامل لتيار ينشأ من نبع الودائية ويسلك مسالك الزمان، ويمر عبر شلالات تطورات الفكر وتلتحق به الأنهر والعقائد والاراء الجديدة ويتحول تدريجيا الى نهر كبير، يكتسب قوة على إثر التزايد والتطور ومن ثم يصب بصمت ووقار لا مثيل لهما فى بحر الصمت والوحدة المحضة، التى هى الهدف النهائى للهندوسية).[٢]

ويقول **ويل ديورانت** حول الديانة الهندوسية قبل دخول الاريين:

---

١. «الاديان والمدارس الفلسفية في الهند»، المصدر السابق، ص ٢.

٢. المصدر السابق، ص ٤.

ويبدو أن أقدم دين معروف للهنـــدوس والذي وجده الاريون المهاجمون بين عبـــاد الأفاعي، ومازال باقيا لحد الان في مناطق من هذه البلاد مترامية الاطراف، هو عبادة الارواح العديدة التي كانت تتجسد في الحجر والحيوان والشجر والنهر والجبـــل والكوكب. وكانت الأفعى تعد إلها، أي أن الأوثان وتطلعات قوى التوليد كانت من الجنس المذكر وكانت شـــجرة «بودي» المقدسة [الشجرة التي وصل فيهـــا بوذا الـــى البوذية] في عصر بوذا، رمز لاحتـــرام رازوارانه، لكن كانت عظمة الاشـــجار الهادئة. وقد تســـرب «ناجه» (الافعى الإله) و «هنمون» (القرد الإله) و «نندي» (الثور السماوي) و «وتكيشه» (الاشجار الآلهة) الى الدين التاريخي للهنـــد. وبما أن بعض هـــذه الارواح كانت جيدة وبعضها ســـئة، لذلك كان من خلال خفة اليد والمهارة التامة في السحر والشعوذة، من الممكن، صيانة الجسم أثناء المرض أو الجنون من تصرف أو تعذيب واحد أو عدد من هؤلاء الشـــياطين الذين ملاوا الهواء. إن التمازج غير المتســـق للاساطير «اثروهودا» أو كتاب «علم الســـحر» ينبع من هنـــا، وكان على المرء ان يقرأ التمائـــم لكي يرزق بطفل، والا يصاب بالاجهاض، وكان يطيل العمر ويبعد الشـــرّ، ويجعل الانســـان ينام، ويبيد الأعداء أو يؤذيهم.[١]

ومع دخـــول الاريين، فان الديانـــة «الودائية» حلت محـــل العبادات الاولية المذكورة، بالرغم من أن آلهة الودائيين كانت من عناصر وقوى الطبيعة أيضا.

وهذه الآلهة، تشـــبه الانســـان من حيث الشـــكل والدافع والجهل الى حد ما... وكما ازداد عدد الآلهة، كانت هذه المشكلة تحصل وهى أى من هذه الالهة، خلق العالم. وهـــذا الدور الازلى اعطى بداية ل «اغنى» وبعده ل «ايدنرا» و «سومة» و «برجابتى» على التوالى.[٢]

إن الديانة الودائية التي دخلت هذه البلاد، خرجت مع الايام من ساحة الحياة

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٦.
٢. المصدر السابق، ص ٤٦٧.

الثقافية والدينية للهنود وحلت محلها الديانة البرهمانية.

إن البرهمانيين، استخرجوا في الحقيقة ديانة من الودائية من اجل تثبيت موقعهم اطلقوا عليها اسم «الديانة البرهمانية» (Brahmanisme). وبذلك فان المعتقدات الاولية للاريين التي تمثلت في عبادة الالهة المتعددين، قد بقيت، وزالت عبادة مظاهر الطبيعة وحلت محلها العقيدة بتجسيد الرب. وتراجعت الطقوس الفردية فيما اكتسبت الطقوس العامة التي كان ينفذها البرهمانيون اهمية. وفي الحقيقة فان تنظيم وصياغة الودائية حصلت في هذه الحقبة.

إن كل علمنا وفهمنا عن الديانات الهندية الاولية، معطوف على مجموعة «الودائيات»، ويجب معرفة ما هي هذه الودائيات التي اشتقت عنها معرفتنا تقريبا حول الهند الاولية.

إن مفردة الودا، تعنى العلم وفى المصطلح كتاب المعرفة. ويطلق الهنود، الودا على مجمل العلم المقدس للعصر القديم، فالودا مثل الكتاب المقدس، هو ادبيات اكثر منه كتابا. ولا يوجد أكثر اضطرابا من تنظيم وتقسيم هذه المجموعة. وتوجد اليوم اربع ودائيات من مجمل الودائيات:

١. «ريغ – ودا» معرفة اناشيد المديح؛

٢. «سامة – ودا» معرفة الالحان؛

٣. «يجور – ودا» معرفة تمائم القرابين؛

٤. «اثرو – ودا» معرفة تمائم السحر.

وكل واحد من هذه الودائيات الاربع، ينقسم بحد ذاته الى اربعة اقسام:

١. المنترات أو الأناشيد؛

٢.البرهمانيات أو حرب التقاليد والصلاة واساطير البرهمان؛

٣. الارنيكه أو النصوص الحربية للزهاد الذين يقطنون الغابات؛

٤. اوبانيشاد أو الحوار السرى للفلاسفة.[١]

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، صص ٤٧١-٤٧٢.

إن الودائيـــات هي أهم واقدم مجموعة الأناشـــيد الدينية الهندية والارية والتي ادت الى نشـــأة ثقافة «شـــبه القارة الهندية» والوثيقـــة التاريخية للحياة الحضارية لسكان هذه البلاد الشاسعة. وهذه المجموعة من الاناشيد، تعد من اهم الكتابات الدينية أيضا.

إن القاعدة والاســـاس الذى تستند إليه الاســـاطير الودائية هو الى حد ما ذلک الاعتقاد الذى تبقى منـــذ الأزمنة الغابرة. وكان الاريون فى العصر الودائى يجســـدون كل من الاشياء والظواهر الطبيعية التى تحيط بهم فى الإله. وكل شـــئ كان يعجبهم ويذهلهم أو يتصورون انه يترک اثرا جيدا أو ســـيئا على أحد مـــا، كان فى العصر الودائى يســـتطيع ان يكون محل مديـــح لا بل محل عبـــادة. وكان هؤلاء يطلبون الحاجة والمســـاعدة من الســـماوات والارض والجبـــال والانهر والنباتات وصـــولا الى الزواحف والطيور بما فيها الحصان والبقر وطير السعد...

إن معظم آلهة الودائيين هم الممثلون الذين تغير شـــكلهم لتلک العوامل والظواهر الطبيعية التى تحولت على شكل آلهة...

إن مصادر الاســـاطير الودائية، بلا شک هى اساطير «ريغ ودا» التى تعد اقدم عمل ادبى هندى. واســـاطير هذا الكتاب تقـــدم مجموعة من الآلهة تختلف اهمية كل منهم عن الاخر. وهذه التعددية الإلهية، تصل تحت اثر التجـــرد الى مرحلة، تكون فى اخر «ماندالا ريغ ودا» (الماندالا العاشـــر) بمثابة بداية نوع من التوحيد وحتى تشاهد فيها علائم من الاعتقاد بوحدة الوجود.[١]

إن «ريـــغ ودا» هو مصدر الهـــام ومناجاة ودعاء الهندوســـية. وهذا الكتاب الكبير، له منشأ انساني وحصيلة ابداع وذوق الاجيال المختلفة.

---

١. جلالي نائيني، سيد محمد رضا، «مختارات ريغ ودا: اقدم الاناشيد الارية الهندية»، نقرة للنشر، الطبعة الثانية، ١٣٦٧، صص ١١-١٢.

ويقول **جان بي ناس**، مؤلف «التاريخ الشامل للاديان» حول هذا الكتاب:

إن «ريـغ ودا» يعنى مقطوعات الحمد والثناء، ويطلق على كل مقطوعة فى الهندى القديم اسـم «منترة.» وهذا الكتاب هو مجموعة من الاشعار الدينية تتشكل مجملها من عشرة مجلدات وتتضمن أكثر من الف قصيدة تظهر قوة الابداع لافراد البشـرية. وفى الأزمنـة الغابرة، كان يتم تثبيت وتسـجيل تلك المقطوعـات والمنظومات بصورة شـفاهية فى الصدور وتبقى فى الأذهـان، وكتبت على الورق بحدود القرن الثامن قبل الميلاد علـى ما يبدو واتسـمت بصورة مكتوبة. وتلك الاناشـيد هى بالمجمل مناجـاة وأدعية تخاطـب كل منها واحدا أو اثنين مـن الآلهة المختلفين القدامى وتظهر أجمل وألطف صورة عن عبادة الطبيعة.[١]

الديانة الهندوسية

من الناحية التاريخية وحسـب قول الهندوس، فان الديانة الهندوسية هى عبـارة عن مجموعة من المعتقدات والمنظمات العديدة والمتمازجة التى ظهرت منذ نشأة الأعمال والكتب المقدسة للفيدائيات، وهى مستمرة إلى يومنا هذا. ويسعى الباحثون الغربيون الذين يميلون الى تحجيم هذا الدين بتعاريف أكثر تحديدا وتقييدا، الى القول أن زمن نشاة المبادئ المعروفة بالفيدائيـة أو العصر البرهمنى، شـكلت مقدمة لتطـورات مهدت لظهور الديانة الهندوسـية وبالتالى فان الهندوسـية هى عبارة عن نظام دينى – اجتماعى نما بين شعب تلك الديار فى القرن الثالث قبل الميلاد...

وفى معرض شـرح وتبيان هـذه الديانة المحيرة، الافضل تقسـيمها إلى فصلين منفصلين: أحدهما يتطرق لشرح الهندوسية القديمة والاخر يتناول الهندوسـية الجديدة، والتحدث من وجهة نظر الحـوادث التاريخية بين

١. «التاريخ الشامل للاديان»، المصدر السابق، ص ١٣٥.

هذين الفصلين، عن عدة ديانات اخرى وهى: الجينية والبوذية والديانات المتعددة الاخرى التى تفرعت كلها من الهندوسية القديمة.[١]

وفي الديانة الهندوسية القديمة، فان **البرهمن**[٢] كان يصنف في أعلى طبقة وكان رجل دين صاحب نفوذ ورأي في الديانة الهندوسية القديمة. وربما يمكن القول، أن أي ديانة لا تملك كما تملك الديانات الهندية، العديد والكثير من الآلهة.

وفقط فى النشيد التاسع لماندالا الثالث، وعلى النقيض مما ذكر، فان عدد الآلهة الفيدائيين يصل إلى ٣٣٣٩ إله.[٣]

وتعد الفيدائيات أقدم كتب الآريين وأعرق الكتابات باللغة الهندية والاوروبية، إذ يعود تاريخ صياغتها إلى حقبة تقع بين الاعوام ٦٠٠ و ١٧٥٠ قبل الميلاد.

الثقافة المعبدية والمؤسسة الدينية الهندية الكبرى

وكانت المؤسسة الدينية الهندية الكبرى، قائمة على طبقة البَراهِمة الذين كانوا يحتلون أعلى موقع ورتبة في النظام السياسي والاجتماعي الهندي مقارنة بسائر الشرائح والطبقات الاجتماعية.

وكانت سلطة البراهمة مستندة إلى إحتكار العلم. وتحول هؤلاء إلى حراس ومُحدثَى التقاليد ومربى الاطفال ومؤلفى أو منقحى الكتب وأصحاب رأى بارعين فى النصوص الفيدائية المستوحاة وكانوا غير قابلين للتغيير. وإن كان شخص من طبقة سودرة[٤] **يصغى إلى الكتاب**

---

١. المصدر السابق، صص ١٣٠-١٣١.

٢. والمراد من البرهمن (Brahman) هو الإله الذي يعمل على الإثراء. وقد يجعل هذا المصطلح القارئ يتخبط. لانه قد يجعله يخطئ هذه المفردة مع مفردة البراهمنة (Brahmana) وهو عضو في طبقة كاست البرهمين، أي الزعيم الديني والتي تكتب على هيئة برهمن. («الهندوسية.»ك.م.سين، ترجمة عين. باشائي. فكر روز للنشر، الطبعة الثانية، ١٣٧٧، ص ٢٥).

٣. «مختارات ريغ فيدا»، المصدر السابق، ص ٧٠.

٤. وكان أول نظام اجتماعي «كاست» بين العرق الآري في الهند. وكان البراهمة (رجال الدين) وكشاتريا

المقـدس، فيجب (حسـب كتب قانـون البراهمة) ملء أذنيـه بالرصاص المـذاب، وإن كان يدمدمه فيجب قطع لسـانه، وإن حفظه عن ظهر قلب فيجب تمزيقه إلى شـقين، وكان هؤلاء يضعـون تهديداتهم هذه موضع التطبيـق أحيانـا وبذلک كان البراهمة يحرسـون علمهم بهـذه الطريقة، وبالتالى تحولت الديانة البراهمانية إلى ديانة حكرية وأنشـأت بالضبط حصارا حولها لكى لا يتمكن الناس العاديون من التوغل بداخلها. وحسب كتـاب قانون مانو فان كل برهمنى يقف فـى مقدمة جميع الكائنات بناء على حقه السماوى... .[١]

وفي الديانة الهندوسية والثقافة المعبدية السائدة فيه مثلها مثل سائر الديانات القديمة للمعبد، فان الكاهن ومراسم القربان، كانت تحظى بموقع ومكانة خاصة من أجل لفت انتباه الآلهة.

وفى أناشيد ريغ فيدا فإن القربان يكتسى أهمية كبرى للفت انتباه الآلهة. إن الآلهـة هى كائنات رؤوفـة ومحبة للخير تتردد بين الناس وهى أرفع مقاما وأقوى من البشـر وهى بالتالى تسـتحق التكريم والاحترام بسبب جلالها وقوتها. ولهذه الآلهة شهية لا تنتهى للنذور والقربان ويتم إقناعها وإرضائها بواسـطة تقديم القرابين فحسب، ولذلک فان القربان يعد أبرز ممارسة فى الديانة الفيدائية.

ويتـم خلال القرابين، نحر الحيوانات وتقديم المـواد الحيوانية أو المواد الغذائية وغير الحيوانية.

ويتخلل مراسـم القربان، تقديـم النذور والحاجيات والاشـياء مع قراءة الأناشيد وتلاوة آيات «بيد» المقدسة ... .

إن القربان يسـتحث الآلهة على دفع الشمس الى الشروق، والأمطار إلى

(المقاتلون) والفيس (رجال الاعمال) وشـودرا (الاسرى والعبيد) وباري (النجس أو درافيدي) يشكلون مراتب هذا النظام. ولمزيد من المعطيات، راجع كتاب «الاديان والمدارس الفلسفة الهندية»، داريوش شايكان.

١. «قصة الحضارة»، الشرق، الطبعة الرابعة، ١٣٧٢، ج ١، صص ٥٥٥-٥٥٦.

الهطول على الأرض والبذور إلى النمو و... .[١]

وفي الثقافة المعبدية الهندية، فان رجال الدين يضطلعون بدور رئيسي في إقامة المراسم الدينية وبروتوكولات القربان، فيما تقوم طبقة البراهمة، بتسلم جميع النذور والهدايا من الزوار.

إن جميع رجال الدين والبراهمة الخاصين، كان كل واحد منهم يتولى القيام بعمل خاص، فواحد يتولى بناء المحراب والاخر يزوق الأرض واخر يقرأ تراتيل لدعوة الآلهة، وبعده يقوم فرد أخر منهم باضرام نار القربان. ونشأت طبقة البراهمة تدريجيا ومع الوقت وتفوق البرهمن على سائر رجال الدين وتحول الى شخص كان يتلو الصلاة الرئيسية والمناجاة الأساسية أى «البراهما.»[٢]

نظام الكاست، سلالم النجاة

وأول موضوع يلفت النظر في التراتيبية الاجتماعية لشعب الهند، هو نظام الطبقات الاجتماعية «الكاست»[٣] وذلك في سبيل تقاسم المزايا المعنوية.

إن «كاست» هي مفردة برتغالية وتعني الجيل، والعرق أو الطبقة الخاصة. إن منظومة الكاست التي تعرف باللغة السنسكريتية ب «فارنا»، تشكل أساس وقاعدة المجتمع الهندي. وعلى النقيض مما يتصور وما يبدو على الظاهر، فان النظام الطبقي في الهند، مهتم بالتوجه الديني وسلوك المراتب المعنوية في منظومة القيم والمعتقدات الهندية قبل أن يكون عاملا لتقاسم المزايا المادية.

إن «الديانة الهندية» أطلقت على طبقة مجتمعها إسم «فارنا»[٤] **و «جاتي».**[٥] **وتعنى مفردة فارنا، اللون. والمقصود من امتلاك اللون، هو**

١. «مختارات ريغ فيدا»، المصدر السابق، ص ٦٥.
٢. «التاريخ الشامل للاديان»، المصدر السابق، ص ١٤٠.

3. Casts
4. Varna
5. Jati

حالــة خاصة تحدد الجوهــر الباطنى للفرد وتميزه مــن حيث الجودة عن سائر الطبقات.[١]

وفى هذه الرؤية الخاصة، فان كل شــخص يملك خصائص تؤهله للقيام بواجــب ما، كمــا أن جميع كائنات العالــم، تملك نظامــا معينا وخاصا ويملــك كل منهــا مرتبــة خاصة. إن الأشــخاص وحســب خصائصهم الشخصية وتراث أجدادهم، ليسوا متساوين، بل أن كل انسان خلق للقيام بواجــب خاص، وان الاســاس الاجتماعى والدينــى للهندوس، قائم على تراتبية النظام الطبقى وفقا للمواهب والإمكانات الشخصية للأفراد، وكل واحد يجب أن يكون فى مرتبة تتطابق مع إمكاناته الذاتية والشــخصية، بحيث يجب مراعاة القانون الالهى وأن يحصل تناغم وتنســيق تامين بين مختلــف أعضاء المجتمع، لان الاشــخاص مرتبطين ببعضهم البعض وهم أعضاء جســد واحد، وكل واحد وحسب طبيعته الفطرية، ضرورى لحفظ تناسق نظام العالم.

والنظام الطبقى الرباعى هو عبارة عن:

١. البراهمة (**Brahmanans**)، أى طبقة رجال الدين. وتتولى هذه الطبقة واجب حفظ التقاليد الهندوسية تأسيسا على الأحكام الفيدائية؛

٢. كشاتريا (**Ksatriyas**) أو المقاتلون والمحاربون واصحاب السلاح؛

٣. فيشيا (**Vaisyas**) أو طبقة التجار ورجال الأعمال؛

٤. شــودر (**Sudras**)، أو طبقة العمال والمزراعــون، ويقوم هؤلاء بصفة عامة بالأعمال الدنيا للمجتمع.

إن البراهمــة يجــب أن يتحلون بصفــات مثل التحكــم بالنفس والحكمة والفلســفة والصبر والحلم والوقــار الاخلاقى. كما أن المهارة على القتال والبسالة تعد من صفات طبقة كشاتريا. وكل طبقة قادرة من خلال تنفيذ

١. «الاديان والمدارس الفلسفية الهندية»، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٣.

واجباتها الشرعية والطبقية، سلوك طريق الفلاح والنجاة.[١]

وفي هذا النظام الطبقي المبني على تفسير خاص عن العالم والانسان ونشأ في المعتقدات الدينية للهندوس، يتم تقسيم المزايا الاجتماعية حسب الأدوار الموكلة. إن الاشخاص الاعضاء في رتب مختلفة في هذا النظام، لا يحق لهم الانتقال إلى رتبة اخرى وعليهم التقيد بشروط خاصة في سلوكهم وتعاملهم مع اعضاء الطبقات الاخرى.

وثمة معتقد دينى بان كل شخص ولد فى الكاست (الطبقة) والظروف التى يستحقها، ويجب عليه القبول بموقعه ومنزلته الحالية للانتقال الى مرتبة (طبقة) أعلى وأفضل فى حياته المستقبلية، والقيام بجميع واجباته ومسؤولياته الطبقية بشكل كامل، وهكذا معتقد يوفر إذنا أخلاقيا ودينيا قويا يمكن من خلاله حفظ كل شئ بنفس الهيئة الموجود عليها.[٢]

التناسخ وكارما

جدير ذكره أن حلقة الوقاية والعامل الذي يدعم ويرفد هذا النظام الطبقي، هو مبدأ «التناسخ» الديني[٣] في الديانة الهندوسية. وفي الحقيقة، فان نظام الكاست للمجتمع الهندي، قائم على نظرية التناسخ المتسمة بالشرك .

إن موضوع التناسخ، أي انتقال الروح من جسد إلى جسد اخر، في هذه الدنيا، مرتبط بالثقافة الهندية.

---

١. «الاديان والمدارس الفلسفية الهندية»، المصدر السابق، ج ١، صص ٢٩٣-٢٩٤.

٢. ريتشارد بوش(وجمع من المؤلفين)، «العالم الديني والأديان في المجتمعات العصرية»، ترجمة الدكتور عبدالرحيم كواهي، مكتب نشر الثقافة الاسلامية، الطبعة الاولى، ١٣٧٤، ص ١٩٨.

٣. التناسخ في اللغة هي من النسخ، وتعني إصطلاحا، انتقال النفس المادية والطبيعة إلى جسد اخر. وقد أورد الباحثون والعلماء العديد من الأدلة في دحض وابطال التناسخ، بما في ذلك: بطلان اجتماع الروحين في جسد واحد. ومتى ما اكتسب الجسد، الأهلية والجهوزية التامة لحدوث الروح، فانه يتم بلا تأخير إفاضة الروح الجديرة من جانب المنشأ المتعال والفياض الخارجي. لذلك فان تعلقت به رو ح جسد اخر، فان الامر يستلزم أن تكون هناك روحان لجسد واحد وهذا باطل. («الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الاربعة»، صدر الدين محمد شيرازي، بيروت، دار الحياة، التراث العربي، ج ٩، ص ٤).

وفيما يخص خلود وبقاء الروح، قالت الديانات الهندية بالتناسخ بوصفه مبدأ لبقاء الانسان بعد الموت. وفي هذه النظرية، يتولد الانسان ثانية في أجساد اخرى. والجسد الجديد يمكن أن يكون انسانا أو حيوانا أو نباتا وحتى جمادات.

ويُنسب الايمان بالتناسخ الى فيثاغورث وهو من حكماء اليونان في القرن السادس للميلاد.[١]

وهذا الفكر، يعد من الافكار البارزة للفكر والديانات الهندية. وبرأيهم، فان الانسان يتولد ثانية في الدنيا بعد الموت. ويزعمون:

نقل فى موقع ما، عن اوبانيشاد، أن الأناس الذين كان لهم فى حياتهم عمل صالح وسلوك طيب، تستقر روحهم بعد الموت فى رحم جيد وطاهر مثل رحم امراة برهمنية أو امرأة كشترية، أو امرأة ويسبية وذلك حسب المراتب، لكن أرواح الاشخاص السيئين والشريرين، تستقر فى ارحام سيئة ومكروهة، مثل رحم كلب أو ذئب أو خنزير أو فى رحم امرأة زانية من الطبقات الدنيا.[٢]

الهند، موطن المتنسكين (الحرية والتحرر الديني عن طريق الإعتزال)

ولمعرفة سر توجه المتنسكين الهنود نحو حياة النسك والتزهد وتحمل المعاناة والصعاب التي هي خارج طاقة واحتمال عامة الناس، يجب بداية الاشارة الى معنى ومفهوم «قانون كارما».

وكما أسلفنا، فان النظام الطبقي (كاست) يرى أن نيل الفلاح والنجاة رهن بالحياة في هذا النظام والطبقة الخاصة بالفرد والولادة المجددة عن طريق انتقال

١. كابلسون، فردريك، «تاريخ الفلسفة»، ترجمة سيد جلال الدين مجتبوي، طهران، سروش، ١٣٦٨، ج ١، اليونان والروم، ص ٤٢.
٢. «التاريخ الشامل للاديان»، المصدر السابق، ص ١٥٥.

الروح (التناسخ) إلى جسد كائن اخر. وبمرور الزمن، ظهرت عقيدتان أساسيتان في الفلسفة الهندوسية، الأولى «التناسخ» أو انتقال الروح (Transmigiration) والثانية مبدأ علة ومعلوم التناسخ أو «قانون كارما» (Karma).

وجاء في معتقد الهنود بان روح الانسان تنقل أثناء الموت إلى جسد أو جسم جديد وتعود ثانية وثانية إلى هذا العالم لتجرب حياة أخرى. وهذه التسلسل من الولادة وإعادة الحياة في قوالب أخرى، يجعل الروح جاهزة للسمو والشموخ ودخول الجنة، أو أن تنزلق في النهاية إلى دركات الجحيم.

وماعدا الأرواح الطاهرة والشامخة التي تلتحق بعد الموت مباشرة بالبرهما (الإله الكبير) وتنال السعادة الخالدة وتسقط الأرواح الخبيثة والشريرة والشقية في الجحيم مباشرة، فان بقية الناس يجدون أنفسهم في النهاية بعد المرور عبر القوالب والأجساد ويتضح مصيرهم وتكليفهم.

وفيما يخص النظرية والمبدأ الثاني أي «قانون كارما» فان سلوك وكلام وعمل الانسان يحدد ويوضح نوع الحياة التالية والجسد الذي يحل فيه بعد كل مرة من التردد والتنقل في هذه الدنيا.

ويذهب الهنود الى الاعتقاد بان لا موقع ومكانة للتناسخ وقانونه أي «كارما» ويوم القيامة والدعاء والتوبة والإنابة والثواب والعقاب والشفاعة ورحمة الله. إن أرواح الناس تنتقل في دورة تسلسلية لا نهاية لها من جسم الى جسم اخر ومن حياة الى حياة اخرى وتحتمل في أنواع الحياة والعيش، المقاساة والعذابات عسى أن ينتقل جزء منها إلى الطبقات الاجتماعية العليا (كاست) وينالون الطيبة المطلقة ويلتحقون بالبراهما وأن يهوي البقية إلى تحت الفقر والتعاسة المتتالية واللا نهاية لها، وأن يعيشوا في تعاسة وشقاء حتى ينزلقوا في النهاية في قعر جهنم.

ومن بين الديانات المعروفة في العالم، فان الهندوسية والبوذية والجينية، تؤمن بالولادة الدورية. وعلى هذا الاساس، فانه ليس الله الذي يكافئ أو يعاقب الانسان، بل أن أفعال الانسان هي التي تنطوي على نتائج جيدة أو سيئة.

إن هــذا القانون مثله مثل باقى القوانين الطبيعية، عام وثابت، لذلك فانه لا يوجد أى تحكيم وحكم بشأن الأعمال الانسانية، ولن يكون ثمة معنى ومغزى للتوبة والإنابة أو الشــفاعة أو العفو والغفران من جانب الله، لان الاعمال والممارســات هى نتيجة قســرية ومعلول العلل ونتائج تمهيدية يوجد بينها تواصل فى العالم وهى خالدة وثابتة وقائمة.

إن الذين اقترفوا ذنوبا متكررة ومســتمرة، فان نصيبهم ســتكون الجحيم والنار الملتهبة، وبعد انقضاء هذه الفترة من العقاب، يتجســدون فى أنواع الحياة اللاحقة وفى الأشكال التالية:

إن الانسان ونتيجة اقتراف المعاصى والذنوب الكثيرة، يتحول فى مرحلة العــودة إلى كائن عديم الروح ... فقاتل برهمن ما، يظهر فى هيئة عناكب وافاعى وتماسيح وحيوانات مؤذية... والذين أكلوا المال الحرام والطعام المحظور والممنوع، يتحولون إلى ديدان و... .[١]

والان ما العمل فــي الديانات الهندية آنفة الذكر، من أجل التخلص من هذا العذاب والمكابدة والدورة التي لا نهاية لها؟

وردا على هذا الســؤال، ظهر في الديانة الهندوســية، تفرعان هما «الجينية» و«البوذية» وعرض كل منهما اقتراحا للخلاص من هذه الدورة المزعجة والمدمرة. وقــد أثير موضوع ومبحــث النجاة والتحرر، في أعقــاب البحث عن رد وجواب للسؤال المذكور.

وتعرض الجينية طريقة لمعالجة مشاكل العالم وصعوبات الحياة، إذ لا تشاهد فــي تاريخ الأديان، طريقــة أصعب وأعقد وأكثر تطرفا منهــا[٢]، ألا وهي الرياضة والتنسك والزهد لانقاذ النفس.

وقد ابتدعت هذه الطريقة عندما كانت طبقة رجال الدين (البراهمة) تزعم

١. «التاريخ الشامل للاديان»، المصدر السابق، ص ١٥٦.
٢. المصدر السابق، ص ١٦٢.

تفوقها ونفوذها الاجتماعى بين سائر الشرائح والطبقات ... وكان البراهمة يقولـون إن لا أحد سـوى سلسـلة البراهمة قادر على سـلوك دورات التكامل الروحانى والوصول الى بر أمان النجاة والفلاح والاسـتقرار أى «نيروانا.»[١]

إن اليوغا التي تشـغل اليوم العالم بغربه وشـرقه، تعد من التكتيكات العملية للاقلاع عـن الذنوب والاعتزال الديني الهندي المتنسـك والتمرين والممارسـة لاكتساب العزلة النفسية والفكرية والروحية والابتعاد عن واقع الحياة وحقائقها.

ففـى ديانـة التزهد والتنسـك (الجينية) فان الوسـيلة الوحيدة للوصول السـريع إلى الكمال و «مكشـة» هى الرياضات الشـاقة وحدها والتى يطلق عليها اسم «تبس.»..[٢]

ويزعم هؤلاء أن الرياضة الروحية والتنسك والتزهد يؤدى إلى الانقطاع الكامل للانسـان عن العالم المادى الخارجى ويسـهم فى إمحاء وإفناء وجوده الجسـدى. وبالتالى تنتاب الانسان حالة تشبه الحالة التى انتابت مهاويره [مؤسسة الجينية] فى السنة الثالثة عشرة من السلوك والرياضة الروحية وأوصلته الى النجاة المطلقة النهائية... .[٣]

وبالرغـم من أن «البوذية» تربطها أوجه شـبه ب «الجينيـة» في الكثير من الحالات، ويمكن اعتبارها نوعا من المدرسة الاحتجاجية للبرهمن، لكن طريقتها المقترحة أكثر توازنا من الجينية.

وقد أنقذت هاتان الديانتان نفسيهما من البراهمة وأنكرتا مبادئهم ومناسكهم ورسولهم، وكسرتا حكر البراهمة للفلاح والنجاة وابتدعتا طريقة اخرى.

وبرغم وجود أوجه شـبه واتحاد فى بعض الجهات بين هاتين الديانتين، لكن عناصـر الافتراق والاختلاف بيهما كثيـرة أيضا من بعض الجهات.

---

١. المصدر السابق.

٢. المصدر السابق، ذيل عنوان «الهدف النهائي ونجاة الروح وخلاص النفس»، ص ٢٥٤.

٣. «التاريخ الشامل للاديان»، المصدر السابق، ص ١٧٠.

فالجينية أرست اساسها على التنسك المفرط والزهد المطلق، لكن البوذية رأت أن طريق النجاة يكمن فى إعتماد الإعتدال والوسطية والعقل السليم واعتبر التزهد المفرط يتناقض والمصلحة العقلانية.[١]

إن الرهبان البوذيين وعلى النقيض من تعاليم الديانات السماوية والتوحيدية، أعلنوا في ظل القبول بمبدأ التوالد المتتالي والتناسخ:

إن الوجود معاناة، والتوالد مقاساة، والشيخوخة عذاب، ... وبالتالى فان الحب مكابدة والهدف هو الانفصال عن هذا العذاب والمقاساة ودورة الوجود.

ويقدم مؤلف «التاريخ الشامل للاديان» البوذية على انها مدرسة اخلاقية أقرب منها إلى مدرسة فلسفية.[٢] وعلى امتداد فترة ألف عام، أي من عام ٥٠٠ قبل الميلاد وحتى ٥٠٠ للميلاد، أكتسبت المدارسة الفلسفية والدينية الهندية نهجا منتظما ومدونا، بينما هذه المدارس تختلف عن بعضها البعض من حيث التوجهات الكلية والجزئية، لكنها كلها تشترك على اساس الإيمان ب «الفيدائيات» وحافظت عليها بوصفها الركن الرئيسي للدين والفلسفة الهندية.[٣] ومع ذلك، يتم عبادة آلهة عديدة من قبل عامة الناس في الهند.

إن العوام فى الهند، يؤمنون بشكل عام بآلهة متعددة وفى الوقت ذاته فان شخصا ما، يختار عادة برغبته واحدا منها كإله أو إلهة ويعبده أو يعبدها ويطلب منه أو منها المساعدة والنجدة ويبنى فى بيته له أو لها ضريحا ومحرابا ويكرر اسمه أو اسمها كل صباح ومساء بخلوص تام كتميمة مقدسة ويتقيد فى الوقت نفسه باحترام باقى الآلهة. إن عدد آلهة الهند خارج عن العد والإحصاء. ويقول عوام الهند بان عدد آلهتهم يصل

١. المصدر السابق، ص ١٧٦.
٢. المصدر السابق، ص ٢٠٤.
٣. المصدر السابق، ص ٢٦٨.

الى ٣٣٠ مليون إله.[١]

الهند، موطن العلوم الغريبة

تعـد الهند واحدا من أكبر بؤر «العلوم الغريبـة» والتواصل مع الكائنات غير المرئية بما فيها الجنّ وممارسة السحر والشعوذة. ويشار إلى مصر والهند كموقعين للاهتمـام والعمل ب «العلوم الغريبة» و «التواصل» ومن بين الأمم يمكن اعتبار «بني اسرائيل» من أبرز الأمم في هذا المضمار.

إن عبادة الأوثان والشـياطين وممارسة السـحر، تعد أصلا من تعاليم ابليس لقرصنة الأمم الجاهزة واولئك الذين سـاهموا من علم أو دون علم في فتح باب التواصل مع القوى الماورائية.

وقد جاء في كتاب «اثبات الوصية» في باب افتتاح عبادة النار:

إن ابليـس وبعد تقبل قربان **هابيل** من قبـل الله ورفض قربان قابيل، جاء عند قابيل ووسوس له قائلا:

إن سـبب تقبل قربان أخيک هابيل هو أن هابيل كان يعبد النار، وقم أنت باشـعال نار لكى تكون لک ولذريتک معبودا. فبنـى قابيل معبدا للنار وكان أول مـن روج لعبادة النار وجعلها سـنة بيـن أبناء آدم عليه السلام وكان المُلک والتدبر فى الأمور والامر والنهى بيد قابيل.[٢]

إن تعدد الآلهة والأرباب في كل حدب وصوب في بلاد الهند مترامية الأطراف والذي يظهر نفسه في المعابد، يتطلب أن يكون الناس قد وصلوا عن طريق الكهنة والرهبان أو بانفسـهم إلى تجربة ماورائية وقدسوها، بحيث أن عوام الناس يتناقلون قصة وتاريخا لكل إله. وحسبما يقول مؤلف كتاب «التاريخ الشامل للاديان»:

---

١. المصدر السابق، ص ٢٨٥.

٢. المسعودي هذلي، علي بن الحسين بن علي، «ترجمة اثبات الوصية»، مكتبة اسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٢، ص ٣٥.

وكانــوا فى أرجاء البلاد، أينما وجدوا موقعــا ملفتا للاهتمام من جبل أو صحراء أو صخرة غريبة أو شــق بداخــل جبل أو نبع ماء أو ضفاف نهر، يشيدون هناك معبدا وينشــرون قصة واسطورة بشانه، ويتناقلون هناك الظهور الروحى الغيبى من خلال الإتيان بمعجزات.[١]

إن كهنــة المعابد في «الهند» مثلهم مثل «اليونــان» و«مصر»، كانوا دائما ومنذ القدم يحظون بمنزلة رفيعة للغاية، لاســيما في النظام الطبقي الهندي، فكان البراهمة يكتسبون نوعا من القدسية وكانوا يعتبرون في بعض الأحيان رديفا للإله.

وفــى قانــون «منو» القديم تــم التصريح بان البرهمن هــو رديف لله فى الخلقة وأن ولادته كانت بمنزلة تجسيد للقانون الإلهى فى جسد البشرية. وعلى أى حال، فقد لقبــوا البرهمن برجل الدين أو المعلم (غورو) وكان يملك أعلى وأرفع مرتبة فى الأرض وكل ما كان فى العالم، هو نابع من ذاته وأن مقامه هو مقام الألوهية مهما كان عمله ومهنته.[٢]

وفي السنن الدينية لعامة الاديان القديمة، كانت التقاليد المتعلقة بالعبادة، تبلغ مرحلة الكمال عن طريق الكهنة وبواسطتهم لتتوفر في مراسم خاصة، أرضية كسب رضا الآلهة والتواصل مع الأرواح المقدسة.

لقد كانت الثقافة المعبدية وكهنة المعابد، ورثة هذه التقاليد وحافظي ســننها وتقاليدهــا الخاصة لقرون والفيات، بعبــارة أخرى، لقد كان هولاء بمنزلة موجهي ومديري تقاليد العبادة الدينية.

إن هــذه الطبقة الخاصة أي «البراهمة» في الهند، كانت تحتل موقع الصدارة فــي النظام الطبقي (كاســت) للمجتمعات الهندية. وكان هؤلاء يســعون دائما لإنعاش وســائل عيشــهم ورزقهم والإبقاء على نار تنور معابدهم مســتعرة وكانوا يريدون باي وســيلة ممكنة، تجميل وتزويق السنن الدينية الموروثة في أعين عامة

١. «التاريخ الشامل للاديان»، المصدر السابق، ص ٢٨٦.
٢. المصدر السابق، صد ٢٩٠.

الناس، وإبراز قداستها وإبقاء الزوار في حيرة من أمرهم. وهذا الشئ يحصل في عامة التقاليد والسنن الدينية غير التوحيدية وغير السماوية، وذلك عن طريق استخدام الفتاوى والعزائم والتمائم السحرية المختلفة، بحيث تبقي العابدين في حيرة ودهشة وتزيد من قدرة وقدسية الكهنة والسدنة ورجال الدين. وفي الديانة الهندوسية:

إن كل برهمن أكان جاهلا أو مثقفا وعالما، يملك بعدا من الألوهية العظيمة، بالضبط مثل النار التى تملك هى الاخرى ألوهية. إن نارا مشتعلة وملتهبة لا تزول أبدا حتى فى جَرَّة رماد المعبد ... إن البرهمن وفى أى مهنة عمل أو أى حياة مبتذلة وتافهة عاش، فان أيذائه وقتله يعد ذنبا لا يغتفر.[١]

ولا يجب نسيان أن لا تناسب إطلاقا بين التدين بالمعنى الحقيقي للكلمة (الديانات الإبراهيمية والوحيانية) والتقرب والتوسل بقوى ماوراء الطبيعة عن طريق السحر والتنسك. وبالرغم من أن المؤمن بالديانات التوحيدية والسحرة يؤمن كلاهما بحضور ومجال عمل القوى غير المرئية والغيبية، ويسعيان عن طريق التوسل والدعاء والإبتهال للتواصل مع هذه القوى المنتشرة في الوجود، لكن السحرة يحاولون بواسطة الحيل والمكائد السحرية، إقامة التواصل مع القوى غير الرحمانية والشيطانية الجنية والتقرب إليها، ويستخدمونها للسيطرة والسلطة والهيمنة على قوى الطبيعة والبشرية.

وعلى الرغم من أن ويل ديورانت، يعتبر الممارسات السحرية والشعوذة والتخرفات، بانها بمنأى عن إلهيات «البراهمة»، لكنه يعترف ويُقر بان:

وفى هذا الخضم، فان هذه الإلهيات [الديانة الهندوسية] تفتقت وازدهرت وهى ممتزجة بالخوف والعذاب والخرافات والتى كانت السند الاول لعالم ما فوق الطبيعة للأمراض الطفيفة فى الحياة. إن النذور والاساطير

١. «التاريخ الشامل للاديان»، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

وطرد الارواح الشريرة وعلم الأحكام والفلك والنبوءات والتمائم والقسم وقراءة الكف وتنبؤات مليونين و سبعمائة وثمانية وعشرين الف وثمانمائة واثنى عشـر رجل دين ومليون قارئ الطالـع والف ماراف ومليون فقير ورجـل مقدس اخـر، كل ذلك يظهر جزء من صـورة تاريخ الهند. وقد خاض الهنود على مدى الف ومائتى عام عددا كبيرا من «تنترة» الحروب التى كانت تشرح علم الاسرار والسحر والتنبؤات وتبين منترة (الاسطورة والتميمة) المقدسة والتى كان يمكن من خلالها تقريبا الوصول عن طريق السحر والشعوذة إلى أى نية وقصد. وكان البراهمة ينظرون بنظرة ازدراء واسـاءة إلى هذا الدين السـحرى ولا ينطقون ببنت شـفة ويمكن اعتبار سـبب هذا التساهل الى حد ما بانه ناتج عن هذه الحقيقة وهى أنهم كانوا يظنون بان ترويج هذه الخرافات ضرورى لترسـيخ سلطتهم. وفضلا عن ذلك، ربما كانوا يؤمنون بان الخرافات غير قابلة للزوال.[١]

ويرى المؤلف بان التعاليم الدينية للبراهمة كانت تسير أصلا على طريق يوصل بالنهاية إلى خانة السحر والخرافة.

إن هذه التعاليم المتداخلـة وإذا ما كانت نابعة من الاديان التوحيدية، كانت نزيهة وعارية عن الشرك. وعلى أي حال، فان اعتبرنا بتسامح، بان المنشأ والبداية الاولى عارية ويزهة عن الدنس الشـيطاني، فاننا في رحلتنا الطويلة وبسـبب عدم الرجوع إلى المصادر والمراجع الحقيقية، سـنضل الطريق وننزلق إلى وضع يصفه **ويل ديورانت** هكذا:

وجاء فى كوشـيتكى اوبانيشاد: إن سـر السعادة المادية يكمن فى مديح الشهر الجديد. وكان السـحرة ومستحضرو الأرواح والرمالون، يفسرون مـن خلال الحصول على مبلـغ ضئيل من المال ماضى ومسـتقبل الفرد من خلال راحة الكف والنجاسـة والأحلام والعلائم التى كانت تظهر فى

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، صص ٥٨٩ — ٥٩٠.

السماء أو تآكل حافات القماش بواسطة الجرذان. وكان هؤلاء ومن خلال تلاوة تعاويذ يعرفونها هم فقط، يجعلون الأرواح تختفى ويسحرون الأفاعى ويصطادن الطيور ويوقعونها فى الفخ ويجبرون الآلهة على نجدة المحتاج. وكان السحرة، ولقاء أجر كبير، يدخلون الجنى فى جسد العدو أو يمسكون بجن الشخص ذاته ويتسببون بالموت الفجائى للعدو أو يجعلونه كسيحا. وحتى عندما كان البرهمن يتثاءب كان يحرك أصابعه إلى اليمن واليسار لترهيب الأرواح الخبيثة التى كانت قد تدخل إلى فهمه أثناء التثاؤب وبالتالى ابعادها. وكان الانسان الهندوسى وكما الكثير من المزراعين الاوروبيين، فى كافة الادوار والحقب والقرون، يخشى الحسد، وكان على أى حال قد يواجه تعاسة أو موتا يتسبب بهما العدو بواسطة السحر. وفضلا عن ذلك، كان بوسع الساحر تحديث «قوة الباء» وتعزيزها أو جعل هذا يغرم بتلك أو علاج النساء العاقرات وجعلهن يرزقن بابناء.[١]

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، صص ٥٨٩ — ٥٩٠.

الفصل الرابع

الكائنات الماورائية

الجن والتعامل مع الإنسان

واستمرارا لسلسلة البحوث والدراسات تحت العنوان العام «قبيلة اللعنة»، تمت متابعة مسار التطور والتاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة منذ انعقاد النطفة المشؤومة لهذه القبيلة في فجر خلق النبي **آدم**عليه السلام وحتى عصر الأنبياء السلف وبين عامة الثقافات والحضارات المنتشرة في الأرض.

إن تأسيس الكهانة والثقافة المعبدية بايعاز من ابليس الرجيم واللعين في مقابل التيار الحقيقي لانزال الكتب الوحيانية وإرسال الرسل الربانية، أدى إلى سريان وشيوع الثقافة المعبدية وأدبيات قبيلة اللعنة في المجتمعات البشرية. إن تدخل الشيطان في التعاملات والعلاقات الثقافية والحضارية لأمم العصر القديم، عن طريق الثقافة المعبدية وحضور وعمل كهنة المعابد بين قسم كبير من الأمم والثقافات، في عهد فتور الأنبياء الالهيين، أخرج أكثر فاكثر ثقافات وحضارات العصر القديم عن مسار الحق. إن الإحلال التدريجي للثقافة المعبدية والمعابد الشيطانية محل المساجد وثقافات الأنبياء الالهيين، زاد من حجم الشبهات واختلاط وامتزاج التعاليم الحقيقية مع التعاليم المُحرفة غير الالهية، وأطلق في أي وقت، يد الجنود الشيطانيين ليتطاولوا على روح ومال وثقافة المستضعفين.

إن سحر السحرة وكتفا لكتف الجنّ الشيطانيين، واللذان هم في الحقيقة من عملاء ابليس، لوّث ودنس ساحة الحياة الثقافية والحضارية للأمم لدرجة أصبح

من الصعب والمستحيل أحيانا التمييز بين الصواب والخطأ. وبالرغم من أنه جرى الحديث في الأقسام السابقة بالتفصيل عن الثقافة المعبدية وكهنة معابد السحر، لكنه قلما ورد ذكر عمال الشيطان أي الجن الكفرة. لذلك، نخصص هذا الجزء من الكتاب للحديث عن الجنّ الخبثاء والكفرة ودورهم في التعاملات والعلاقات الفردية والجماعية للأمم.

ولا يخفى على القراء الكرام الذين يتابعون هذه السلسلة من البحوث من أن هذه المجموعة قدمت إعتمادا واستنادا إلى المصادر والمراجع التالية:

١. آيات القرآن الكريم والتفاسير الشيعية والسنية المعتبرة؛

٢. الروايات والأحاديث المنقولة والواردة عن المعصومين عليهم السلام؛

٣. المستندات التاريخية المعتمدة والمنشورة من قبل المؤرخين والمؤلفين الغربيين والشرقيين؛

٤. التحليلات الثقافية للكاتب إستنادا إلى الرؤية التوحيدية والمعارف العلوية.

وكل هذا يقدم في إطار متين ومنطقي وعارٍ عن الضجيج الظاهري. وأقر بان الحديث عن الجنّ وطريقة التعامل بين الانسان والجن في عصر يشير جمع غفير من الناس بانكار وترديد إلى وجود هذه الكائنات فوق المادية ويعتبرون كل هذا في زمرة الخرافات بسبب التوجه العلماني والدنيوي للعصر الحديث، يبدو عملا صعبا، لكن وعلى أي حال، واستظهارا بايات القرآن الكريم، وسائر الكتب السماوية والدراسات الثقافية المنشورة لدى عامة الأمم وبالتالي التجربة الطويلة للملل والنحل، فاننا يجب أن نقر ونعترف بوجود وحضور وتعامل هذه الطائفة من مخلوقات الله تعالى، وأن عدم القدرة على مشاهدة هذه الكائنات بالعين العادية والظاهرة، لا يجب اعتباره دليلا كافيا لرفضها ودحضها وانكارها. إن الله تعالى خلق عددا كبيرا من المخلوقات الصغيرة والكبيرة في الوجود والكون، بما فيها مليارات الكواكب والنجوم في الفضاء اللامتناهي، بينما جميع التجهيزات والرصد العلمي الحالي، غير قادر على تحديد ومشاهدة واحد على الالف منها.

والملفـــت هو أن الحديث اليوم عن الكائنات فـــوق الأرضية والجنّ والأرواح عند ســـكان البلدان الصناعية والحافلة بكتنولوجيا الألفية الثالثة، أسهل بكثير من الشـــعوب الاسلامية التي تقطن الشرق الاسلامي، وكأن المسلمون كانوا السباقين والمتقدمين على الغربيين في التقاط التوجهات والإنطباعات العلمانية والدنيوية.

وبتقدير عامة الملل والنحل وتصديق الكتب السماوية للأديان الابراهيمية فان الملائكة والجنّ يندرجون ضمن الحقائق غير القابلة للإنكار وهي كائنات مخلوقة من الله المتعال، وكل منها وبسبب طريقة البرء، تعيش في ميدان من ميادين الوجود وهي في تعاملها مع سائر المخلوقات، تقوم بمهمة والسير في العالم، وتسير نحو آخر منزل ومقصود.

« إنّا لله وإنّا إليه رَاجعُون»[1]

إن جملـــة هذه الكائنات، في زي وهيئة الكائنات الممكنة[2] منشـــغلة بتأدية دورها في الكون، وبالرغم من أن كلا منها وحســـب الضرورة، استفاد لبناء وجوده وســـيمائه الظاهري، من جوهر منفصل، وأن هذا الجوهر، يجعلهم منفصلين عن بعض ويستقرون في الطائفة الرئيسية للجن والإنس والمَلك.

وبســـبب الخليقة والسجية الأولى، فان أيا من هذه الكائنات، يكتسي ميزات وخصائص وصفات خاصة به، بحيث أن الملائكة في غنى عن الطعام والشراب، وبمنأى عن التوالد والتناسل وتفتقد إلى قوة الإختيار والانتخاب، وفي المقابل فان الجن مثلهم مثل الإنس، غير قادرين على مواصلة الحياة من دون طعام وشـــراب

---

١. سورة البقرة، الآية ١٥٦.

٢. إن أي كائن وبناء على التقسيم العقلي، ينتمي إلى أحد القسمين «الممكن» أو «الواجب»، أي أن أي كائن وبناء على التقســـيم العقلي، إما أن يكون «ممكن الوجود» أو»واجب الوجود.» فان كان «واجب الوجود»، فان حاجـــة العالم تثبت لعلة أو فاعل واجب الوجـــود، وإن كان «ممكن الوجود» فانه يجب أن يفضي لا محالة إلى «واجب الوجود» لكي يتسنى له الوجود، لان ممكن الوجود لا يستوجب من ناحيته أن يكون موجودا أو معدوما. وأهم ميزة لواجب الوجود، هو وحدته. وتأسيســـا على المعايير المنطقية، فانه يثبت واجب الوجود بالذات واحدا فقـــط وأن وجود واجبين في الكون، غير معقـــول. لذلك، فان كل ما هو عداه، هو ممكن الوجود وبالتالي معلول ذاته ... إن كائنا واجبا، لا ينتمي إلى أي شـــئ وليس محتاجا ولا نقيصة وقيود فيه، فانه إن افترض وجود نقيصة فيه، فانه سيكون بحاجة إلى غيره لرفع تلك النقيصة.

وتوالد وتناسل.

الملائكة

تعتبر المصادر الوحيانية (القرآن والروايات) الملائكة بانها كائن لطيف ومجرّد من المادة وبالضرورة مخفي عن أعيننا نحن البشر، ويعتبرون في الوقت ذاته رسل الله المتعال في مقام ووظيفة معينة ومقدرّة ويؤدون واجبهم، ويقول القرآن الكريم:

«اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُـلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ»[١]

إن هذه المخلوقات النورانية والطاهرة، تفتقد إلى قدرة الإختيار وعارية عن أي رجس ولوث، وتتولى فحسب وظائف قررها الله المتعال لها. ويشير القرآن الكريم إلى بعض واجباتها:

١. التوسط لنزول الوحي وإبلاغ الرسالة الالهية إلى الأنبياء؛[٢]

٢. تدبير شـأن العالم (بإذن الله) والتوسـط لوصول الفيض الالهي إلى سائر المخلوقات؛[٣]

٣. الإستغفار وطلب الشفاعة للمؤمنين؛[٤]

٤. إغاثة وإمداد المؤمنين؛[٥]

٥. كتابة أعمال العباد؛[٦]

٦. قبض أرواح البشر عندما يحضرهم الموت؛[٧]

---

١. سورة الحج، الآيتان ٧٥ و ٧٦.

٢. «**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**»، سورة النحل، الآية ٢.

٣. «**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**»، سورة النازعات، الآية ٥.

٤. «**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**»، سورة الانبياء، الآية ٢٨.

٥. «**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ**»، سورة آل عمران، الآية ١٢٤.

٦. «**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**»، سورة الزخرف، الآية ٨٠.

٧. «**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**»، سورة الانعام، الآية ٦٠.

۷. التسبيح لله المتعال[1]

وبالتالي الوظائف الخاصة التي وضعت على كاهلهم في عوالم البرزخ والقيامة. ويستشف من مجمل الآيات والروايات، بان الملائكة لهم مراتب ومدارج مختلفة، وبالرغم من أن وجودهم غير ملموس، لكنهم يستطيعون باذن الله أن يتجسدوا في صورة انسان. ويشير «القرآن الكريم» إلى بعض الوقائع التاريخية ويؤكد بان بعض الملائكة حضروا[2] لدى النبي ابراهيم عليه السلام والنبي لوط عليه السلام على هيئة بشر وأنجزوا مهمتهم.

الجنّ

إن الجن هو كائن ماوراء طبيعي أخر لا يمكن للإنسان تجربته حسيا في الظروف العادية بسبب بنيته الخاصة واللطيفة النورية، ومع ذلك فان وجود الجنّ يعد من المبادئ المسلم بها لعلم الكونيات الاسلامي ووردت مستندات كثيرة بشأنه في الآيات القرآنية وروايات المعصومين عليهم السلام. وتسمى السورة الثانية والسبعين من القرآن الكريم سورة الجن.

وقد تحدث القرآن بصراحة عن طبيعة وسجية خلق الجن:

---

۱. «وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»، سورة الأنبياء، الآيتان ۱۹ و ۲۰.

۲. «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ * وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ * قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ * قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ»، سورة هود، الآيات ٦٩ و ٨٣.

«وَخَلَقَ الْجَانّ مِن مّارِجٍ مّن نّار»[١]

وكما أن للإنس أبا يدعى آدم عليه السلام، وكلهم من ذريته، فان للجان، أبا أيضا وهو أول مخلوق بين الجن ويدعى شومان.

وسأل شامي الإمام علي عليه السلام عن اسم أب الجان، فقال الإمام عليه السلام:

«شُومانُ وَهُوَ الذّى خُلِقَ مِن مارِجٍ مِن نار... .»[٢]

إن هذه الخليقة النارية، منحت هذا الكائن المختار والمكلف، قدرة لكي يتحرك بسرعة خارقة وأن ينجز الكثير من الأعمال التي يعجز الانسان عن القيام بها. ويؤكد القرآن الكريم، أنه في قصة استحضار عرش الملكة سبأ، أعلن أحد الجنيين الذين كانوا في خدمة النبي سليمان عليه السلام أنه قادر على جلب ذلك العرش إلى النبي **سليمان** عليه السلام قبل أن ينهض من مكانه.[٣]

واستنادا إلى الآيات الكريمة للقرآن، فان هذه الكائنات تتمتع بالإحساس والإرادة والإختيار والتكليف، وقد خلقت شأنها شأن الانسان من أجل عبادة الله الواحد الأحد.

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُون»[٤]

وبشهادة القرآن، فإن ثمة علاقة كانت قائمة دائما بين الإنس والجن، وحتى أن فريقا من الإنس كانوا ومازالوا يعبدون الجنّ. وفي بعض الحالات، استطاع الانسان أن يسخر الجن ويجعله في خدمته. وفي المقابل، فان بعضا من الإنس أصبحوا أحيانا، مسخرين وتابعين للجن.

«وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ الْجِنّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ»[٥]

---

١. سورة الرحمن، الآية ١٥.

٢. إبن بابويه، محمد بن علي، «علل الشرائع»، قم، مكتبة داوري، الطبعة الاولى، ١٣٨٥ش.، ج ٢، ص ٥٩٣؛ إبن بابويه، محمد بن علي، «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، طهران، جهان للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٧٨ش.، ج ١، ص ٢٤٢.

٣. سورة النحل، الآيتان ٣٨ و ٣٩.

٤. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٥. سورة الانعام، الآية ١٠٠.

ويقول القرآن الكريم في سورة الأنعام:

«وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَميعًا يَا مَعْشَرَ الْجنِّ قَد اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنس وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنس رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا ببَعْض وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذى أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالدينَ فيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ»[١]

إن هذه المخلوقات المنوعة والمتعددة وشبه المجردة، والتي تسكن في مساحة شاسعة في أطراف الإنس وتعيش حياتها الإجتماعية، قد خلقت من مارجٍ من نار.

ويقدم الله تعالى في «الآية ١٥ من سورة الرحمن» لهيب النار على أنه يشكل الأساس والجوهر المادي والملاط الأولي للجن ويقول:

«وَخَلَقَ الْجَانّ من مّارجٍ مّن نّار»

وكان الشيطان في فجر خلق **آدم**عليه السلام أشار إلى المنشأ المادي للانسان بقوله:

«خَلَقْتَنى من نّار وَخَلَقْتَهُ من طين»[٢]

إن الجن وبسبب امتلاكهم قوة التعقل والاختيار من جهة، وإرشادات وتعليمات الأنبياء الالهيين العظام من جهة اخرى، قد كلفوا بتأدية الواجب وحفظ الحدود الالهية، ولهذا السبب، مثلهم مثل البشر، فان فريقا منهم مؤمنون ومسلمون وفريق آخر كفار، وبالتالي فان مصيرهم في الدار الاخرة، سيكون شبيها بمصير الانسان. ففريق منهم سيسكن الجحيم وفريق اخر سيخلد في الجنة. وأبرز الجن الكفرة، هم الشياطين وعلى رأسهم ابليس اللعين الذي يؤذي ويظلم المؤمنين (من الإنس والجن) منذ فجر الخلقة وحتى الوقت المعلوم.

ويميط القرآن الكريم بصراحة اللثام عن ترابط وتجانس ابليس وطائفة الجن، ويقول في مسالة برء الانسان والامر بالسجود لآدم عليه السلام:

---

١. سورة الانعام، الآية ١٢٨.
٢. سورة الأعراف، الآية ١٢.

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظّالِمِينَ»[١]

وقد حدث البرء المادي للجنّ شأنهم شأن الملائكة بالوف الأعوام قبل خلق وبرء **آدم**عليه السلام في الوجود. ويشير القرآن الكريم باختصار إلى هذه الاسبقية في الخلق ويقول:

وورد فى بعض الروايات بان الجن والشيطان مشتركون فى أصل الوجود، لكن الشيطان يعد ضربا من الجن تصدر عنه الشرور فحسب، بينما الجن بينهم الصالح والطالح والمسلم وغير المسلم.[٢]

وجاء فيما يخص شأن نزول الآية **«قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا»**:[٣]

إن رسول الله صلى الله عليه وآله حضر إلى سوق «عكاظ» في الطائف وكان معه **زيد بن حارثة**، لكي يدعو الناس إلى الاسلام، لكن أحدا لم يستجب لدعوته. لذلك عاد إلى مكة إلى أن وصل إلى موقع يدعى «وادي الجن». وبدأ النبي صلى الله عليه وآله في الليل بتلاوة القرآن الكريم. وكانت جماعة من الجن تمر من هناك وسمعت تلاوة النبي صلى الله عليه وآله للقرآن. وعندما انتهى النبي صلى الله عليه وآله من التلاوة، آمن هؤلاء الجن وذهبوا كمبلغين ودعاة نحو قومهم لدعوتهم للإسلام. فآمن فريق منهم وحضروا معا عند رسول الله صلى الله عليه وآله الذي علمهم تعاليم الاسلام. وهنا نزلت هذه الآيات الاربع من سورة الجن.[٤]

---

١. سورة الكهف، الآية ٥٠.
٢. «سفينة البحار»، المصدر السابق، طهران، فراهاني، ج ١، ص ١٨٤.
٣. سورة الجن، الآيتان ١ و ٢.
٤. «التفسير النموذجي، المصدر السابق، في توضيح الآيتين ١ و ٢ من سورة الجن.

التعاطي بين الجنّ والانسان

ويعد **ابليس** من بين الجن، أول من فتح باب المراودة مع الانسان، وبذل في تعامله التدريجي جل جهده لإغوائه لينتقم من **آدم**عليه السلام وأبنائه تبعا للقسم الذي كان اطلقه لتضليل وإغواء البشر. لذلك كان هناك بتبعه، تعاطيا ومراودات مختلفة بين الانس والجن. وحاول الشياطين من أجل الإغواء للتقرب إلى الانسان ولم يتوانوا عن بذل أي جهد من اجل نيل المقصود وإضلال الانسان.

إن وقوف ابليس عند مفترق طرق الهداية والضلال كان بمنزلة الوقوف في مكمن خاص أدى إلى قرصنة أبناء آدم، وكان يختطف أولئك الذين بقوا خارج حصن التوحيد المنيع ويورطهم ويدفعهم إلى ورطة الضلال، لكي يذوقوا مثله النار الأبدية ويحرموا للأبد من رحمة الله.

وكان ابليس قد أدرك جيدا، أنه لن يتمكن من سكان هذا الحصن المنيع. ولذلك قال أثناء القسم بعزة الله:

«قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»[1]

والمخصلون هم السالكون الذين أقلعوا عن كل ما هو سوى الله، ليتمسكوا بالتوحيد البحت وينتشروا في حصن التوحيد «لا إله إلا الله»، لذلك بقوا في مأمن من قرصنة وتطاول ابليس المتبرص بهم.

وكشف الله تعالى في «سورة الجن» النقاب عن الكثير من خصائص وموقع طائفة الجن بين الإنس. ويقول سبحانه وتعالى في الآية السادسة من هذه السورة حول استمرار التواصل بين الانس والجن:

«وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا»[2]

ويقول عزوجل في الآية الحادية عشرة على لسان طائفة الجن:

«وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا»[3]

---

۱. سورة ص، الآيتان ۸۲ و ۸۳.
۲. سورة الجن، الآية ٦.
۳. المصدر السابق، الآية ۱۱.

وكان تقليد عند العرب أنــه متى ما وصلوا إلى وصحراء قاحلة ومخيفة، كانوا يلجأون إلى الجن فيها.[١]

إن حضور الجن في بلاط النبي **ســليمان**عليه السلام وخدمة حشــد غفير من هؤلاء الجن لهذا النبي الإلهي، يعد مثالا بارزا على التواصل والتعامل بين الجن والإنس. وماعدا ذلك، يتحدث الله المتعال في آيات «سورة ص» عن مهنة البناء والغطس عند الشــياطين (الجن) ويشير إلى أســر ومحاصرة بعض الشياطين في السلاسل والقيود في عهد النبي ســليمانعليه السلام. وأشــارت «ســورة نبأ» إلى الخدمات التي أسداها الجن للنبي سليمانعليه السلام:

«وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَــهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِــنِّ مَن يَعْمَــلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُــمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ»[٢]

ويقيــم المؤمنون من الجن باذن من الله المتعــال والأنبياء والأوصياء الالهيين تواصــلا وارتباطا مــع بعض المؤمنين من الانس بهدف إســداء الخدمة والقرب، ويتحاشــون فــي هذا التواصل الوقوع فــي براثن الحرام في ظــل التقيد بالمبادئ والتعاليم الشــرعية والاخلاقية، ويهتمون بذلك بشــكل خاص. وفي المقابل فان الجــن الكفرة يتخطون ويتجاوزون جميع الحدود لخدمة ابليس اللعين، ويمهدون لتدنيس وتلويث الانسان بانواع الذنوب والفسق والفجور.

إن ماضي وتاريخ هذا التواصل يمتد على مدى عمر الانسان وعلى مر الزمن، وقد ازداد هذا التواصل كما وكيفا بسبب التجارب والخبرات التي اكتسبها وكدسها الشياطين.

---

١. «بحار الأنوار»، المصدر السابق، ج ٩٢، ص ١٤٨.
٢. سورة سبأ، الآيتان ١٢ و ١٣.

الجن والثقافة المعبدية

إن الدراسات الثقافية التي أنجزت بشأن أمم العصر القديم تظهر أن التواصل مع الجن، كان واحدا من الأركان والأسس الرئيسية للثقافة المعبدية وكهانة أمم العصر القديم. وكما أن السحر كان سائدا بين عامة هذه الأمم، وكان من ضمن التقاليد التي لا يمكن فصلها عن حياتها الثقافية والسياسية والإجتماعية، فان التواصل والإرتباط مع الجن، كان يشكل جزء مهما من الثقافة المعبدية والكهانة. وفي الحقيقة، فان كهنة المعابد عموما كانوا مدينين للجن.

إن الجن، هذه الكائنات الحقيقة لكن غير المرئية، كانت تعمل كمعلم للكهنة ورسلهم وأداتهم للتأثير على نفوس خواص الناس وعوامهم وشريك ووسيط في إنجاز السحر. ويمكن القول أن قسما كبيرا من أوجه الكائنات السائدة بين شعوب العصر القديم، أصبحت بمنزلة تجسيد لأوجه القوى الجنية والتي كانت تشاهد من قبل كهنة المعابد واستنسخت.

والمؤسف أن الباحثين الغربيين، وخلال القيام بالبحوث والدراسات الثقافية وبسبب عدم الإطلاع على الحضور والأداء الحقيقيين للجن والإعتقاد بهم وإمكانية مواكبة الإنس لهذه الكائنات والمخلوقات، أعتبروا هذا الوعي والتحليل الثقافي بانه من الخرافات والأوهام، وبالرغم من وجود المستندات فانهم أشاروا وتطرقوا مرارا وتكرارا في أعمالهم إلى ارتباط وحضور القوى الماورائية بين شعوب العصر القديم وكهنة المعابدة. ولا يخفى بان هيمنة الكهنة على علم التسخيرات[1] (تسخير القوى الجنية)، وفرت لهم إمكانية التواصل مع هذه المخلوقات من قبل الله تعالى وجعلها تكون في خدمتهم.

إن تعدد وتنوع القوى الجنية وسلطاتها المختلفة والمتباينة، أدى إلى أن يرتبط كل فريق بناء على علم وقدرات الكهنة والسحرة في التواصل مع الجن، بفصيل ومجموعة من هذه القوى، واستغلال سلطاتها لتطبيق مآربهم. وربما يمكن القول

١. وقد شرحنا في القسم السابق، العلوم الغريبة وعلم التسخيرات.

أن اشـــتراك وتوافق بعض السنن والتقاليد والأســـاطير بين الأمم القديمة يعود إلى اشتراكهم وارتباطهم المشترك بمجموعات خاصة ومماثلة من الجن.

ويقول **ويل ديورانت** حول دين السومريين واخلاقهم:

وكان الكهنـــة يتولـــون التعليم والتربية، وكانوا يلقنـــون الناس ما يرمون إليـــه من خلال تعليم القصص والأســـاطير الدينية، والإحتفاظ بســـلطتهم وسطوتهم على الجماهير.[١]

إن توصيف الآلهـــة التي كانت تعبدها الأمم القديمة بالصفات الحيوانية مثل الأكل والتوالـــد والتناســـل والإصابة بالضعف والضمور أو تراجع القوة الجســـدية و...، قد يعود أيضا إلى وجود هذه الصفات في الكائنات الجنية. إن المخلوقات الجنية تتصف بشـــكل عام بهذه الصفات. وكما أسلفنا، انه ماعدا الانسان، فان الجن يملكون بعض الصفات المماثلة للإنس، بما فيها التوالد والتناسل والأكل.

إن هذه المخلوقات من قبل الله تعالى، وبالرغم من أنه لا يمكن مشـــاهدتها بأعيننا بســـبب شفافية جسدها، لكنه لا شك أنها تملك كالانسان، جسدا ماديا وعضويا، وهي مســـؤولة تجاه أعمالها وأفعالها بســـبب امتلاكهـــا القوى العقلية والإرادة والإختيار. بحيث أن القرآن الكريم، يقول حول الجن والإنس الكفرة:

«وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْـــمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ»[٢]

إن هـــذه الكائنات ليســـت مجردة بالكامل، لان الشـــئ المخلوق من النار، مادي ويملك وضعية شبه مجردة، بعبارة أخرى، إنه جسم لطيف.[٣]

إن الخطاب العريض الذي يتوجه به الله سبحانه وتعلى إلى الجن حول إرسال

---

١. «قصة الحضارة»، ترجمة احمد ارام واخرين، إصدارات الثورة الاســـلامية، الطبعة الرابعة، ١٣٧٢، ج ١، ص ١٥٦.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

٣. «التفسير النموذجي»، المصدر السابق، ج ١١، صص ٧٩-٨٠.

الأنبياء ووعـــد الجن بالجنة وتوعدهم بالنار، يحكي عن وجود قوة عاقلة واختيار لدى هؤلاء، وبالتالي تحملهم المســؤولية تجاه أفعالهـــم وأقوالهم. ويقول القرآن الكريم:

«يَا مَعْشَـــرَ الْجِنِّ وَالْإِنس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُـــلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّـــونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ»[١]

«قَـــالَ ادْخُلُوا فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِى النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَـــا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ.»[٢]

ولا يخفـــى بان فريق المؤمنين من كلتـــا الطائفتين من الجن والإنس، هم من المتقين ولا يتجاوزون الحدود والثغور الإلهية ولا يمارسون المحرمات. ولا يلوثون أفواههم بالكذب ولا يلطخون قلوبهم بالدنس الأخلاقي، ولا يعتدون على حقوق سائر الكائنات إسترضاء لأهوائهم النفسية والسلطوية. ولذلك أقول:

إن خلو الديانات القديمة والأســـطورية اليونانية والمصرية وغيرها من السجايا الأخلاقية، مؤشـــر على إنتمـــاء هذه الكائنات إلى ديانـــات وتقاليد كائنات ذي توجهات شـــيطانية وغير رحمانية، لا بل مؤشـــر على على حضور وعمل القوى الحقيقية والفعالة للجن غير الرحمانيين في علاقاتهم الفردية والاجتماعية. وجدير ذكـــره أنه من بيـــن طوائف الجن، أكانوا مؤمنين أو عديمـــي الإيمان، فان الجن الكفرة والشـــيطانيين وحدهم الذين يقيمون تواصلا وارتباطا مع الانســـان لتحقيق اطماعهم ومآربهم الشيطانية، أو يتحولون في خدمة الكهنة والسحرة.

ويقول **ويل ديورانت** في هذا الخصوص:

---

١. سورة الأنعام، الآية ١٣٠.
٢. سورة الأعراف، الآية ٣٨.

إن الديانة المصرية، لم تبد إهتمام يذكر بالأخلاق، ولم يجد الكهنة الذين كانوا ينفقون جل وقتهم لقراءة التعاويذ والتمائم وممارسة تقاليد السحر والشعوذة، وقتا لتعليم الناس المبادئ والتعاليم الاخلاقية، وحتى أن كتاب «مذكرة الموت» يعلم المؤمنين، بان التعاويذ التى تبركت على يد الكهنة، ستتغلب على جميع الصعوبات التى تعترض طريق الميت للوصول إلى دار السلام، إن هؤلاء وقبل أن يهتموا بالعمل الصالح، كانوا منهمكين بتلاوة الأدعية والرقى.[١]

ويقول مؤرخ «تاريخ أمم الشرق واليونان» **آلبر ماله** في هذا الخصوص:

[إن أهالى كلدة] كانوا يعتقدون بان عددا كبيرا من الجن السيئين والشياطين غير المرئيين على الأرض، يتربصون بالناس لإيذائهم. وكانوا يرسمون الشياطين بوجوه وصور بشعة ويعطونها جسم إنسان ورأس وأرجل حيوان.

ويصف كتاب آشورى، الشياطين هكذا: «إنهم يزأرون، وهم ينصبون هنا كمينا، إنهم ديدان كبيرة تقيأت بهم السماء. ومرعبون جدا. ويغطى عواؤهم المدينة برمتها، ويتكاثرون ويتناسلون من باطن الأرض، وهم على هيئة تيجان ويلتفون حول الأعمدة الطويلة والعريضة. ويتنقلون من بيت إلى بيت، لان أى باب لا تحول دون دخولهم وأى قضيب لا يردعهم، بل ينسلون كالافاعى من تحت الأبواب ويتسربون كالهواء من بين الشقوق والثقوب.

وكان أهالى «كلدة» يلجأون ويتوسلون إلى السحرة لحماية أنفسهم من هؤلاء الأعداء غير المرئيين.[٢]

وكل ما كان يشاهده أهالي كلدة في بعض الأحيان، والصفات التي كانوا

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٣.
٢. «تاريخ أمم الشرق واليونان»، ج ١، صص ٨٤-٨٥.

يصفونها، ينطبق فقط على الكائنات الجنية الخبيثة. إن سبب إهتمامهم وإعتقادهم الجـاد بهذه الكائنات لا ينبع من الوهم والخرافة، بل يكمن في حقيقة غير قابلة للإنكار كانوا يجربونها، تلك التي كان يتم تبيانها بشأن الكائنات الجنية. إن كون هـذه الكائنات حقيقية، أدى إلى أن يبقى هذا الإعتقاد بين أهالي العصر القديم سائدا لقرون وألفيات وأن يؤكدوا صحته.

وفي العصر الحديث، فإن إبتلاء سكان العالم (في الحقل الثقافي والحضاري الغربي) بالعلوم التجريبية العصرية، أدى إلى أن يغفل هؤلاء عن هذا القسـم المهم والحقيقـي والقابل للتجربة، وأن ينسـبوا أثر هذه القـوى والإيمان بها إلى الوهم والخرافـة. إن سـكان اليونان، كانوا يتحدثون عن هكـذا آلهة أيضا، ويقول ويل ديورانت في هذا المجال:

إن أكثـر آلهـة اليونان ترهيبـا وتخويفا، تلك التـى كانت تعيش تحت الأرض أو الكهـوف وشـقوق الأرض. وفى النهار، لم يكـن اليونانيون يأبهون بهذه الآلهة، لكنهم فى الليل، كانوا يعبدونها ليأمنوا شرها. إن هذه الآلهة، كانت أقدم حتى من سائر المعبودين وحتى المعبودين الموكنائيين، ويبدو أنها انتقلت إلى اليونانيين على يد أهالى موكناى. وكان اليونانيون يطلقون عليها اسم الأرواح الحاقدة الحيوانية والتى كانت قد هجرت إلى الغابـات وأعماق الأرض على إثر تقدم الانسـان. وأهمها، كان إله على هيئة أفعى مرعبة، يسمى زيوس ختونيوس أى الإله الجانى ... .

وكان هـادس، إله كائنات تحـت الأرض، أخ زيـوس وكان اليونانيون يسعون دائما لإخماد نار غضبه... .[١]

إن هذه الكائنات (الجن) ووفقا لتجارب الأمم والشعوب والدراسات الخاصة التي أجريـت في مجال العلوم الماورائية والغريبـة وبالتالي كل ما ورد في الكتب الدينية للأديان الابراهيمية، قد خلقت في هيئات وأشـكال مختلفة. وكان البعض

١. «قصة الحضارة»، المصدر الصابق، ج ٢، ص ٢٠١.

منها يعيش تحت الأرض. وفريــق منها في الكهوف وكانت تملك أحيانا وجوها مخيفة ورهيبة للغاية، والأهم من ذلك، وعلى النقيض من الإنســان، كانت تعمر طويلا وفي بعض الأحيان لعدة الاف سنة.

إن تشــابه بعض الأســاطير الســائدة بين الأمم القديمة، أثار حتى استغراب **كارل غوســتاف يونغ** الذي اعتبرها بســبب هذا التشابه، ناجمة عن وجود نموذج عالمي موحد.

إن هذه الأســاطير البطولية، مختلفة كثيرة من حيث التفاصيل، لكن كلما أمعنا فى دراســتها، كلما أدركنا أوجه الشــبه فى هياكلها وبنيتها. وكلها نابعــة من نموذج عالمى موحد، رغم أنها أبتدعت على يد مجموعات أو أفراد لم يكونوا على اتصال وترابط ثقافى مع بعضهم البعض، فمثلا على يــد القبائل الافريقية أو الهنود الحمر بامريكا الشــمالية أو اليونانيين أو قبائل اينكا فى البيرو.[١]

إن يونغ وعلى غرار ســائر باحثي العصر الحديث، وبسبب عدم اطلاعه على القوى الحقيقية والعضوية (الجن)، اعتبر الاســاطير بانها حصيلة القدرة على بناء الأحلام في لاوعي الانســان وبناء الرموز لدى أناس العصر القديم ويستغرب من خلال مشاهدة الرموز الذهنية لبعض المرضى العقليين في العصر الحديث ووجود أوجه اشتراك مع الاساطير السالفة ويقول:

وقبــل أن يتمكن المحلل من البحث بصورة مؤثرة عن معنى الرموز لدى المريض، يجب عليه أن يســتقى معطيات واســعة حول نشأتها واهميتها، لان أوجه الشــبه بين الاســاطير القديمة والقصص التى تظهر فى أحلام مرضى العصر الحالى، ليســت لا شــئ ولا عرضية. إن أوجه الشــبه هذه موجودة بســبب أن الضمير الباطن للانسان الحالى احتفظ بمقدرته على

١. غوســتاف يونغ، كارل، «الانســان ورموزه»، ترجمة ابوطالب صارمي، كتــاب بايا، طهران، ١٣٥٩ش.، ص ١٦٧.

بناء الرموز التى تجسدت سابقا فى معتقدات وشعائر الانسان البدائى. وهذه المقدرة مازالت تضطلع بدور نفسى مهم. إننا تابعون بطرق وقبل أن نشخصها، لرسائل تستجلب معها هكذا رموز، ويخضع أسلوب ونمط تفكيرنا ورؤيتنا لنفوذها بشكل معمق.[1]

إن **يونغ** لا ينتبه إلى أنه على الرغم من الإنطباعات المتأتية من علومه التجريبية، فان قسما كبيرا من المرضى العقليين، ناجم عن تواصل وارتباط القوى العضوية الجنية مع الانسان، ذلك الذي كان يطلق عليه في الماضي، التلبس بالجن.

ويقول **ا.ب. كانن** من جامعة «اكسفورد»:

لديه إعتقاد راسخ بوجود الملائكة ولذلک بوجود الغيلان أو الأرواح الخبيثة.

إنه يؤمن بان الكثير من المرضى الراقدين فى المستشفيات، ليسوا فى الحقيقة مصابين بالأمراض العقلية والنفسية، بل أن الشيطان قد تلبسهم.[2]

إسمحوا لنتحدث أكثر حول هذه القوى الحقيقية التي هي موضع قبول الاديان التوحيدية (اليهودية والمسيحية والاسلام):

إن الجن هم مخلوقات حقيقية ومعقولة ومُخيرة وتملك قوى بدنية خاصة، وهي مقدمة على الإنسان من حيث الخلفية في الخلق باذن الله[3] لكن بخصائص متفاوتة تميزها عن نوع الانسان والملائكة.

ويتحدث القرآن الكريم في آيات عديدة عن هذا المخلوق ويكشف النقاب عن ماهية وصفات ونطاق عمل هذه الطائفة من المخلوقات على يد الله تعالى.

---

۱. المصدر السابق، ص ۱٦۲.

۲. جاهودا، غوستاف، «علم نفس الخرافات»، ترجمة: محمد تقي براهيني، طهران، البرز، ۱۳۷۱ش.، صص ۳۳-۳٤.

۳. «**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ**»، صورة الحجر، الآيتان ۲٦ و ۲۷.

وبنـــاء علـــى رواية، فان الجن خلقـــوا ب ٧٠٠٠ عام قبل نشـــأة الانس في الأرض[١] لكن ثمة أدلة تشـــير إلى أن هؤلاء كانـــوا موجودين في الأرض قبل هذا التاريخ بكثير، وأحد هذه الأدلة هو العمر الطويل للشيطان وعباداته الطويلة الأجل قبل خلق **آدم**عليه السلام.[٢]

وبما أن العلم الحديث، يعتبر أن معيار قبول أي كائن واعتباره حقيقيا يكمن في التجربة المخبرية المادية والملموســـة، ويظن أن عجـــزه وجهله يمثلان معيارا للرفـــض والقبـــول، وأن عدم إمكانية رؤية الجن، يشـــكل دليلا على إنعدام وجود هـــذه الفئة من المخلوقات، في حين أن العالـــم حافل بالكثير من الكائنات غير المرئية ، إذ أن تحديدها والإقرار بوجودها قبل أن يكون رهنا بقبول العلوم التجريبية الحديثـــة، هو رهن بالتعقـــل والتدبر في العوالم والإيمان القلبـــي الديني بوصفها أدوات تؤازرنا في مشاهدة وتجربة هذه العوالم والكائنات الماورائية.

إن مفردة الجن في اللغة، تعني الحورية والغول (معجم البرهان القاطع)، وشئ مخفي عن الحـــواس (منتهى الارب).[٣] ونوع من الكائنـــات المخلوقة من النار، وصاحبة إرادة وإحساس، وهي خفية عن حواسنا.[٤]

إن عامة الأمم والديانات التوحيدية والنِحل غير التوحيدية، تقر وتعترف بوجود هذه الكائنات، وقد جربت جماعة كبيرة وعلى مدى قرون واعصار، الحشر والنشر مع الجن، واطلعت على قواها ومواصفاتها.

وبســـبب مجانسة الجن للشـــيطان الرجيم، فقد خاطب الله تعالى في الآيات القرآنية، جماعة الجن الخبيثة والكافرة ب الشيطان.

كما أنه وبسبب معرفة وإجادة فريق من هؤلاء بالسحر والشعوذة، وتعليم هذا العلم غير الإلهي للإنس، فقد حمّل القرآن الكريم هذا الفريق مســـؤولية بث الفرقة

---

١. «بحار الانوار»، المصدر السابق، ج ٦٠، ص ٨٢.
٢. المصدر السابق، ص ٢٣٩.
٣. معجم دهخدا، المصدر السابق، «مفردات راغب»، ص ٢٠٣.
٤. «تفسير الميزان»، المصدر السابق، ج ٢٠، ص ٣٩.

والخلاف بين الناس ويقول:

«وَلَكِنَّ الشَّـياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّـحرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ»[١]

إن الآيـات القرآنية التي تتحدث عن وجود هـذه الكائنات المخيرة بجانب الإنسان ونشـاطاتها، تعلن بان فريقا منهم، هم أصحاب الإيمان ويؤمنون برسالة الأنبياء السماويين.

«وَإِذْ صَرَفْنَـا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْـتَمِعُونَ الْقُـرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُـوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَـمِعْنَا كِتَابًـا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَـى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْـهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ»[٢]

ومثلما أن الإنس التأموا في أمم وشـعوب وقبائل ومواهب وشعب مختلفة في أقاصي العالم، فان الجن يملكون طوائف مختلفة، بحيث أن القرآن الكريم يقول:

«قَـالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَـا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ»[٣]

إن قوة الإختيار وإمكانية التعلم لدى الجن هذه مكنتهم مثلهم مثل الانسـان من الخضوع لإنذار وتعليم الانبياء الالهيين وأن يحاسبوا يوم المعاد حول ما اقترفوه وعملوه:

«يَا مَعْشَـرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُـلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّـونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي

١. سورة البقرة، الآية ١٠٢.
٢. سورة الاحقاف، الآيات ٢٩-٣١.
٣. سورة الأعراف، الآية ٣٨.

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ»[١]

وفي الحقيقة، فقد خلق الكثير من الجن والإنس للنار، لانه:

«لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ»[٢]

وفي التصنيف العام، ينقسم الجن إلى فريقين، فريق المؤمنين المطيعين وفريق الكفار المعرضين. ويقول القرآن الكريم:

«قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا»[٣]

إن فريق الجن المنحرفين، واتباعا لابليس، يستغلون بعض قدراتهم بما فيها الإختفاء عن الأعين والتجسس والوشاية والتنقل بين بعض العوالم، وسرعة الحركة والانتقال والقدرة على نقل الأشياء و.. لقرصنة عقل الناس، وتدنيسهم بالحرام وحتى أنهم يطلبون منهم أن ينحنوا أمامهم إجلالا وطاعة. إن هؤلاء وبينما كانوا يستطيعون مشاهدة الناس والإندساس بينهم، انهمكوا في إغواء الناس وتلقينهم ما يريدونه. وكل هذا كان مقدمة، لكي يقدم الكهنة، هذا الفريق الضال، كآلهة واساطير للناس، ويستلغون جهلهم لتحقيق أطماعهم ومآربهم الدنيوية. ويقول القرآن الكريم في هذا الخصوص:

«وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا»[٤]

«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ»[٥]

وكانت الطوائف الجنية ومن أجل أن تؤمن، توفد إلى الأنبياء الالهيين،

---

١. سورة الأنعام، الآية ١٣٠.
٢. سورة الأعراف، الآية ١٧٩.
٣. سورة الجن، الآية ١.
٤. المصدر السابق، الآية ٦.
٥. سورة الناس، الآيات ١-٦.

بحيث أن الكثير منهم آمن من خلال الإصغاء إلى القرآن الكريم، وبذلك فقد أتمت الحجة عليهم، لكن البعض الاخر ومن منطلق العناد، أشرك وسار على نهج وخطى ابليس. ونذكّر بان هذا الأمر، مازال قائما على قدم وساق وأن هذه المخلوقات المخيرة والمتعددة تبحث عن أجدادها [من أصحاب الايمان والكفر] حتى الظهور الأكبر لإمام الزمان عجل الله فرجه الشريف، بحيث أن الكثير منهم هم خدمة مخلصون للاولياء الالهيين وحجة الزمان على الحق.

وفي الحقيقة، فان هؤلاء هم كالانس، خلقوا لعبادة الله الواحد الأحد والسير على الطريق الالهي المستقيم.

«وَأَنَّا منَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِکَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا»[1]

ولا شك في هذا المجال، من أن الجن، أضعف من الإنس من ناحية القوى العقلية، لذلك فان النبي أو الهادي الذي يبعث للإنس، سيكون لهم ايضا. ويقول **اية الله حسن زادة آملي** في هذا الخصوص:

وكما أن بعض الأشخاص من الانس يتلبسهم الجن، فان بعض الجن، يتلبسهم الانسان ويصابون بمس من الانسان غير المؤمن.[2]

إن المسّ، يعد من الحواس الانسانية، إذ يقيم الشيطان ومن منطلق رغبات ومشاعر الانسان الباطنية، اتصالا وتواصلا مع الانسان، أى أنه يوحى بذكريات غير حميدة ويعزز السجبة السيئة لدى الانسان. ويشير القرآن فى «سورة البقرة، الآية ۲۷۵» إلى هذا الامر:

إن بساطة ولطافة الوجود المادى للجن، ليس أدت إلى يكون هؤلاء مخفيين عن أعين الانس فحسب بل منحتهم إمكانية وقدرة الذهاب والإياب بشكل أسرع مقارنة بالإنس. وقد أورد إبن عربى فى الفتوحات، موضوعات مسهبة حول حقيقة وحياة ونكاح و... الجن، ويوجد جزء منها

---

۱. سورة الجن، الآية ۱۱.

۲. مؤسسة موعود الثقافية، «دراسات قرآنية وروائية حول الجن»، طهران، موعود عصر (عج)، ۱۳۹۰، الطبعة الاولى، ص ۱۰٦.

فى الآيات والروايات، وجزء اخر منها من شهود العرفاء.[١]

وبما أن الجن، يملكون إمكانية الذهاب والعودة بشكل أسهل، فانهم قادرون على الإطلاع على بعض الاخبار الغيبية في الظاهر، والتي تستغرق وقتا للوصول الينا بشكل عادي، وفضلا عن ذلك، فقد ورد في قضية عرش بلقيس، بان أحد كبار وزعماء (عفاريت) الجن قال بين يدي سليمان عليه السلام: ساحضره لك قبل أن تنهض من مكانك.[٢]

الإرتباط بين الإنس والجنّ

إن أهم موضوع نتطرق إليه في هذا الجزء، هو الإرتباط الإرادي بين الإنس والجن طوال الأعصار والأزمنة. وثمة فريق بين مجموعتي الإنس والجن، حريص على إخضاع الاخرين وتسخيرهم. وهذه الرغبة توجد عند كلتا المجموعتين، فضلا عن أن هاتين المجموعتين الإنس والجن، بصدد القرصنة واستغلال وسوء استخدام إمكانية التواصل والإرتباط. إن ما يمكن الانسان من إقامة هذا التواصل والإرتباط، هو بعض العلوم الغريبة والخفية، وكما أشرنا، فان علم التسخيرات هو جزء من هذه المجموعة من العلوم الغريبة.

ونشير إلى أن المؤمنين من مجموعتي الإنس والجن، يتحاشون تسخير كلا منهما، وبالتالي فهم يتجنبون بسبب التقوى واتباع الأحكام السماوية وتعاليم الانبياء والأولياء الالهيين، اللجوء إلى العلوم الغريبة والسحر والتسخيرات، وبناء على ذلك، يمكن القول أنه لا مكان أصلا للنوايا الرحمانية والروحانية الإلهية في هذا القبيل من الممارسات أي التسخيرات والسحر.

إن الأهواء النفسانية السلطوية، لدى كلتا الطائفتين، هي مصدر ومنشأ لجوئهم

---

١. عابديني، محمد رضا، «دراسات قرآنية وروائية حول الجن»، المصدر السابق، مقالة «سطلة الجن على المتمشدقين»، ص ١٠٧.

٢. المصدر السابق، صص ١٠٩-١١٠.

إلى هذا القبيل من التواصل والإرتباط. إن الجن، يسعون لجعل الأمنيات صعبة المنال للشخص، سهلة المنال والتحقق، وهذا الامر، يستحدث علاقة وثقة لدى الفرد تجاه ذلك الجني. ونقل العلامة حسن زادة عن أحد أساتذته قوله: إن داخلا كان يدخل عليّ مرارا ويبلغني بالحقيقة الكمالية والأخبار الصحيحة، ويساهم في النمو، وبعد فترة، إستأنست به. وبعد مدة مديدة، تعززت فيها علاقتنا، كان يقول لي: لقد بلغت الان درجة من اليقين، رفعت عنك العبادة.

إن هذا الأستاذ كان يمسك بالمعيار ويعرف الطريق. وبعد كل هذه الحقائق الكمالية التي إنتفع بها، كان يصرخ ما إن اطلع على باطنها: إخسأ يا عدو الله إني عبدٌ.[١]

ويتجنب الشياطين في المراتب الأولى من التواصل، الدعوة إلى الشر وتحمل القبائح وذلك من أجل خداع الانسان، لكي ينالوا مآربهم بعد كسب ثقة الانسان وتدنيسه.

ويقول **اية الله بهجت**رحمه الله:

إن الشيطان لا يأتى لإستقطاب الانسان نحوه بواسطة السوء.[٢]

إن شياطين الجن والانس، يستخدمون أحيانا، المعارف الحقيقية وجعلها مقدمة لخداع الاخرين واختراق إيمانهم. بحيث أن القرآن الكريم، يشير إلى **هاروت وماروت**، كملكين مكلفين ونزلا إلى الأرض، ويقول:

«وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ»[٣]

---

١. المصدر السابق، ص ١١٢.
٢. المصدر السابق، ص ١١٨.
٣. سورة البقرة، الآية ١٠٢.

هاروت وماروت

وللمـــرة الاولى في الثقافة الاســـلامية، تحدث «القرآن الكريم» في «ســـورة البقرة» عن هاروت وماروت ببابل. وبعدها، تطرق المفســـرون والمحدثون وحتى الكتاب ومؤلفي الكتب التاريخية والتراجم، إليهما.

والجزء المهم مما ورد في هذه الكتب، يتطرق إلى الســـحر والشعوذة وتورط البابليين بالســـحر. والمؤســـف في هذا المضمار، أنه وردت أساطير وإسرائيليات كثيرة أدت إلى خلط الأوراق وانتشـــار الشبهات. وقد طرحت رؤى ووجهات نظر مختلفة حول ماهية هاروت وماروت.

ومن بين ســـكان الحضارات القديمة، كان بنو اسرائيل (اليهود) من أبرز القوم الذين استنجدوا ولجأوا إلى السحر والشعوذة (تفرعات وشعب من العلوم الخفية) لنيل مآربهم ومقاصدهم الشيطانية وغير الرحمانية.

واعتبر القرآن الكريم في سورة البقرة بصراحة السحر بانه عمل يؤدي إلى الكفر العقائدي والكفر التطبيقي.

«وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّـــيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُـــلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّـــيَاطِينَ كَفَـــرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّـــحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَـــى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُـــونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِـــهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»[١]

والمقصود من الكفر في هذه الآية الشـــريفة، هو جعل وصياغة الســـحر ومن ثم إسناده إلى النبي المعصوم أو تعليم السحر أو إستخدامه، أو مجموع الأعمال الثلاثة.[٢]

---

١. المصدر السابق.

٢. «تفسير تسنيم»، المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٤٣.

إن انتشار السحر والمفسدة الناتجة عنه في «بابل» والذي جرى عن طريق الشياطين، أدى إلى أن يُنزل الله سبحانه وتعالى، الملكين المعصومين، هاروت وماروت بهدف إضفاء الحصانة وتعليم طريقة إبطال السحر.

وتفسيرا لمعنى مفردتي **هاروت وماروت**، ذهب البعض إلى أن هاتين المفردتين هما باللغة الفارسية القديمة، وهورت تعني النضارة والنشاط ومورت تعني عديم الموت والزوال[١] كما وردت في كتاب «اوستا» لفظة هرودات بمعنى شهر «خرداد» (الشهر الثالث في التقويم الايراني) وأمرداد (الشهر الخامس في التقويم الايراني)، بمعنى عديم الموت والفناء.[٢]

والمؤسف أن روايات هاروت وماروت وردت في عامة المصادر الروائية لأهل السنة، بصورة مصطنعة وغير صحيحة.[٣]

ويُستشف من الأحاديث، أن فريقا فى عهد النبى سليمان عليه السلام كان يمارس السحر فى بلاده. وأمر سليمان بجمع جميع أوراقهم وكتاباتهم، وتخزينها فى مكان خاص. وبعد وفاة النبى سليمان عليه السلام، أخرجتها مجموعة وباشرت بترويج وتعليم السحر. واستغل البعض هذه الظروف وقالوا: إن سليمان لم يكن نبيا أصلا، بل بسط هيمنته على البلاد بمدد هذا السحر والشعوذة وكان يقوم بأعمال خارقة.

وسار فريق من بنى اسرائيل على خطا هؤلاء وشغفوا بشدة بالسحر، لدرجة أنهم تخلوا عن «التوراة» حتى.[٤]

وعندما بُعث النبى محمد صلى الله عليه وآله وأعلن ضمن الآيات القرآنية بان سليمان

---

١. مكارم شيرازي، ناصر، «الأمثل مثل في تفسير كتاب الله المنزل»، قم، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٧٩ش.، ج ١، ص ٣١٨.

٢. شبستري، عبد الحسين، «اعلام القرآن»، الحوزة العلمية بقم، مكتب الاعلام الاسلامي، مركز النشر، ص ٦٥٥.

٣. نصيري، علي، «نقد ودراسة روايات هاروت وماروت»، مجلة علوم الحديث، خريف وشتاء ١٣٨٧ش.، العددان ٤٩ و ٥٠، صص ٢١٧-٢٤٢.

٤. «التفسير النموذجي»، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٠.

كان نبيا مبعوثا من الله. قال بعض أحبار وعلماء اليهود: ألا تستغربون من محمد الذى يقول بان سليمان كان نبيا، فى حين أنه كان ساحرا.

وهذا القول، وفضلا عن كونه تهمة وافتراء بالغا على هذا النبى الالهى، فانه بمنزلة تكفير سليمان(عليه السلام)، لانه وحسب تعبيرهم، فان سليمان كان ساحرا قدم نفسه كذبا وبهتانا كنبى، وهذا العمل يؤدى إلى الكفر. وترد عليهم آيات سورة البقرة.[١]

وفيما يخص هذان الملكان اللذان نزلا في أرض «بابل»، حيكت أساطير وحكايات وهمية غريبة على يد القاصين، ونسبوها إلى هذين الملكين الإلهيين الكبيرين. لدرجة أنهم أضفوا عليهما وجها خرافيا وحتى أنهم ضيقوا الأمر والعمل على العلماء لإنجاز البحوث والدراسات في هذا المجال. وما يبدو بانه الأصح من بين كل هذا، ويتطابق مع المعايير العقلية والتاريخية ومصادر الحديث، هو الموضوع الذي نتاوله تاليا:

لقد كان السحر قد بلغ فى أرض بابل، ذروته وتسبب بإيذاء وإزعاج الناس، وكلف الله تعالى، ملكين على هيئة انسان، لتعليم الناس طريقة إبطال السحر ليتسنى لهم إنقاذ أنفسهم من شرور السحرة، لكن هذه التعليمات، كان يمكن إستغلالها فى مطلق الاحوال، لان الملكين إضطرا، لشرح طريقة السحر من أجل إبطاله ليتمكن الناس من الوقاية منه بهذه الطريقة. وهذا الأمر أدى إلى أن ينضم فريق وبعد الإطلاع على سحره، إلى مجموعة السحرة ما تسبب بإيجاد إزعاج جديد للناس.

وبالرغم من أن هذين الملكين، حذرا الناس بان هذا هو إختبار الهى لكم وحتى قالوا: إن سوء استغلال هذه التعليمات يعد ضربا من الكفر، لكنهما أقدما على أعمال أضرت بالناس.

إن ما أوردنا أعلاه، هو الشئ الذي يستفاد منه في الكثير من الأحاديث

١. المصدر السابق، ص ٣١٧.

والمصادر الاسلامية، وواضح تناسقه ومواكبته للعقل والمنطق، بما في ذلك حديث روي في «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بطريق وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بطريق اخر، يؤكد هذا الأمر.

لكن المؤسف أن بعض المؤرخين ومؤلفي الموسوعات وحتى بعض المفسرين في هذا الخصوص، خضعوا لأثر الحكايات الملفقة، ونقلوا قصة تتداول على أفواه بعض العوام، عن هذين الملكين الالهيين المعصومين:

لقد كانا ملكين، أرسلهما الله إلى الارض لكي يعرفا أنهما إن كانا انسانين لم يكونا بمنأى عن الذنوب وكانا سيعصيان الله، وبعد نزولهما إلى الأرض ارتكبا عددا من الكبائر، وتبعا لذلك لفقا حكاية وهمية حول كوكب الزهرة، لكن كل هذا لا أساس له من الصحة ويندرج ضمن الخرافات وأن القرآن منزه من هذه الامور.[1]

وقد سأل **يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد السيار** رواة «التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام»، الإمام عليه السلام ما مضمونه أن فريقا من الناس يرى بان هاروت وماروت هما ملكان اختارهما الله بعد كثرة الذنوب التي ارتكبها الانسان، وبعثهما مع ملك ثالث إلى الأرض، وفتنوا بالزهرة وأرادوا الزنا بها، وارتكبوا شرب الخمر وقتل النفس، فعذبهم الله تعالى في بابل، وتعلم منهم السحرة، السحر، ومسخ الله تلك المرأة إلى كوكب الزهرة. فقال الإمام عليه السلام ما مضمونه:

«معاذ الله، إن ملائكة الله معصومون ومنزهون من الكفر والأعمال السيئة. ويقول الله تعالى حول الملائكة: «لَّا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»؛[2] كما قال عزوجل: «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»؛[3] وكذلك قال سبحانه وتعالى: «لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا

١. «التفسير النموذجي»، المصدر السابق، ص ٣٧٥.
٢. سورة التحريم، الآية ٦.
٣. سورة الأنبياء، الآية ٢٠.

يَسْتَحْسِرُونَ»؛[١] كما قال عزوجل حول الملائكة: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ[٢].»[٣]

ويقول مؤلفو «موسوعة المعارف الاسلامية الكبرى» حول أرض «بابل» وتواصلها الثقافي مع العلوم الغريبة:

من دون الإنتباه إلى قصة هاروت وماروت، يمكن القول أنه تأسيسا على معظم الروايات، فان هذه البلاد ومنذ عهد النبى سليمان(عليه السلام)، نبى بنى اسرائيل كانت مكان هبوط هذين الملكين لتعليم الناس، ومن الأهمية بمكان، بان المفسرين، أعتبروا فى الغالب، التعليم بمعنى تعليم السحر، مع الوقيعة بين المرء وزوجه (على سبيل المثال: الطبرسى: ١/٢٣٧)، وتأسيسا على الروايات المذكورة، فان بابل وبسبب إنغماسها فى الملذات الدنيوية، تحولت إلى مكان للإختبار الإلهى وموقع للعذاب الالهى.[٤]

وعلى أي حال، وبالرغم من أن موضوع السحر، اقترن من وجهة نظر العوام وبعض الخواص، باسم الملكين الالهيين المعصومين أي هاروت وماروت، ويتم الإشارة إليهما على خلفية العلوم الخفية، لكنهما منزهان من تهمة اسحر، بل أن الإرتباط الموضوعي لقصة هاروت وماروت، جاء بسبب انتشار السحر في أرض «بابل» والعناية الالهية في إيفاد هذين الملكين، لمساعدة المؤمنين على تحصين أنفسهم.

---

١. المصدر السابق، الآية ١٩.
٢. المصدر السابق، الآيتان ٢٦ و ٢٧.
٣. «علل الشرائع»، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٣.
٤. «الموسوعة الاسلامية الكبرى»، ج١١ ، تحت إشراف كاظم موسوي بجنوردي، طهران، ١٣٨١، صص ٢٤-٢٨.

تجسيم الجنّ

إن تجسيم الجنّ وأن يكون بالإمكان مشاهدتهم بالعين، وتحولهم إلى حقيقة أمام ناظر الانسان، هو موضوع مهم يوفر إمكانية فك شيفرة الكثير من الأحداث وحتى المعتقدات الأسطورية السائدة بين الأمم القديمة.

وبما أن هذه الكائنات (الجن) تتكون من جسد نوري وناري، لذلك يظن بانه لا يمكن مشاهدتها من قبل الانسان، ولكن حقيقة الامر ليست كذلك.

وبوسع الجن أن تتجسم. وورد في بعض المعاجم والتفاسير حول معنى التجسيم:

التجسيم بمعنى أن يكون الشئ قابلا للرؤية والمشاهدة. وتحول الكائنات غير العادية مثل معتقدات الانسان وأخلاقه وصفاته وأفعاله وأعماله إلى جسم وهيكل.[١]

وذكر وجهان، حول إطلاق مفردة الجنّ على الكائنات غير المرئية:

الوجه الأول: للكائنات غير المرئية التى تختفى عن جميع حواسنا الظاهرة، وفى مقابلها الإنس، وتصنف الملائكة والشياطين فى هذا الوجه؛

الوجه الثانى: الجنّ هم بعض من غير المرئيين، لأنه كما نعلم، فان الكائنات الروحية، تصنف إلى ثلاث فئات:

١. مجموعة الأخيار، وهم الملائكة؛

٢. مجموعة الأشرار وهم الشياطين؛

٣. مجموعة الأوساط، وتوجد بينهم مجموعتا الأخيار والأشرار، وهذه الفئة هم الحوريات، ويدلل القرآن الكريم على هذا المعنى، حيث يقول سبحانه وتعالى:

«قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن * نشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ

١. «التفسير الموضوعي للقرآن، (المعاد في القرآن)»، المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٧.

رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا * وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا»[1] **وهي إشارة إلى هاتين الفئتين الصالحة والطالحة للحوريات.**[2]

وعن إمتلاك الجن للجسم أو لا، هناك آراء مختلفة، بما في ذلك قال **ميرداماد** في «قبسات»:

الحق، هو ما أورده الحكماء الاسلاميون: الجن ليس جسما وجسمانيا، بل كائن مجرد ويخالف النفوس البشرية من حيث الماهية ومتعلق بالأجساد النارية والهوائية وقادر على التصرف فى هذا العالم.

وقال **ابن سينا** في رسالة «الحدود»:

إن الجن هو كائن حيّ هوائي ناطق (أى يفكر) وصاحب كتلة شفافة ويتشكل بأشكال مختلفة.[3]

وعن تسجيم الجن، وتحولهم إلى كائنات يمكن مشاهدتها، وردت أقوال مختلفة. وإستنادا إلى ما جاء في بعض الروايات حول النبي **سليمان**عليه السلام والجن

---

١. سورة الجن، الآيات ١-١٤.

٢. راغب اصفهاني، حسين بن محمد، «مفردات ألفاظ القرآن»، بيروت» دار القلم، الطبعة الاولى، ١٤١٢ق.، ج ١، ص ٣٩٠.

٣. ابن سينا، ابوعلي حسين بن عبد الله، «الحدود»، سروش للنشر، ١٣٦٦، ج ٢٧.

الذين كانوا في خدمته، فان الجن قادرون على التجسم.

إن رأي **العلامة المجلسي** أقرب إلى الصحة بسبب إستناده إلى المصادر الروائية. إن جسم الجن، لطيف، ولكونه كائن مُخير، ومعقول وصاحب صفات مثل التناسل والأكل والشرب، فانه مادي وعضوي وصاحب جسم. وبناء على ذلك، فان رأي السيد ميرداماد، لا ينطوي على علم كاف وكامل حول هذه الكائنات.

ويقول العلامة المجلسي:

لا يوجد خلاف بين الإمامية بل بين المسلمين، من أن الجن والشياطين، أجسام لطيفة تشاهد فى بعض الأوقات، ولا تشاهدون فى أحايين أخرى، ويملكون حركات وقوة على الأعمال الصعبة، وقادرون على الجريان فى أجساد الناس مثل الدم، ويجعلهم الله تعالى وحسب المصالح، باشكامل مختلفة وصور منوعة.

كما يذهب **السيد مرتضى** إلى نفس الإتجاه ويقول:

لقد نقل عن الكثير من العقلاء وارباب المكاشفات، مشاهدة الجن، لذلك لا وجه لدحضها، كما أن إثباتها لا طريق له للأدلة العقلية.[١]

جدير ذكره أن الجن والشياطين، ماديون بالجبلة، لكن من مادة لطيفة وحسب تعبير القرآن من النار. لذلك قادرون على أن يكتسبوا سماكة عند الضرورة ويجعلون أنفسهم مرئيين. وإذا ما انبسط الجن، لا يُشاهدون، وفي المقابل، إن انقبضوا، يتجسدون ويتحولون إلى أشكال مختلفة، بينما الملائكة يفتقدون إلى المادة وهم كما يقال روح مجردة. وبناء على ذلك:

إنهم يفتقدون إلى التجسيم، وقادرون على التجسيم بشكل ما، فقط إذا ما تنزلوا. ويرى هذا التجسيم الرسول أو الولى أحيانا، فقط، مثل تجسيم

١. خرمشاهي، بهاء الدين، «البحوث في القرآن»، مشرق للنشر الثقافي، ١٣٧٢ش.، ص ٥٩٦.

جبرئيل.[١] ومن هنا، يتضح الفارق اللطيف بين هذا التجسيدين. ولا يفتقد الجن والشياطين إلى المادة عندما يتجسمون. لذلك فانهم يحملون اثارا مادية. فان أكلوا أو تناسلوا وما إلى ذلك، لا إمتناع له، بحيث نشاهد هذه الاثار فى الروايات التى تتحدث عن تجسيم الشياطين، على سبيل المثال، فان عمل قوم لوط كان إبتكارا وابداعا شيطانيا تجسد فى هيئة شاب، يعلم الناس للمرة الاولى، اللواط وممارسة المثلية الجنسية.

وبما أن هنا ثلاثية الأبعاد مرفقة بالعنصر المادى، فانه تترتب عليها الاثار المادية أيضا، لكن وفى تجسيم الملائكة، فان الملك لا يصبح ماديا، إنه يُشاهد ويصبح مرئيا فقط. لذلك وخلال تجسيم الملائكة للنبى ابراهيم عليه السلام، نرى بانهم لا يمدون يدهم للطعام، وفى التجسيم لقوم لوط، يطمئنون لوط بان القوم لا يستطيعون إيذائه.[٢]

وقد اعتبرت بعض المصادر، أن هناك أكثر من خمسة وثلاثين مجموعة وطائفة من الجن وبينت خصائص ومواصفات كل منها.[٣] ومن هذه الطوائف، «متكون» الذين يستطيعون أن يتحولوا إلى أي شكل ونمط أرادوا ماعدا هيئة وشكل الأنبياء والأوصياء والأولياء.[٤]

وقال الإمام الصادق عليه السلام ما مضمونه:

«إن الجن ثلاثة أصناف صنف منهم مع الملائكة وصنف يطيرون فى الهواء وصنف حيات وكلاب.»[٥]

وورد في رواية اخرى من المصدر ذاته:

«إن الجن خمسة أصناف، صنف مثل الهواء فى الجو، وصنف حيات،

---

١. قنبريان، محسن، «الشيطان وخرافة التجسيم وبوابة الشياطين في الإعلام الغربي»، مجلة موعود الشهرية، مرفق خاص بالجن، العدد ١٢٣.

٢. المصدر السابق، ص ١٩٤.

٣. راجع: «الروح والجن في منظور العلم والدين»، المصدر السابق، صص ٤٤-٥٠.

٤. المصدر السابق، ص ٤٨؛ «بحار الأنوار»، «المصدر السابق، ج ٢٥، ص ٣٢٧.

٥. «بحار الأنوار»، المصدر السابق، ج ٦٠، ص ١٤٤.

وصنف عقارب، وصنف حشرات، وصنف مثل بنى آدم، يحاسبون على أعمالهم يوم القيامة.[١]

إن هذا التنوع والتعدد والقدرات الخاصة، وفرت إمكانية إن تُخضع هذه الكائنات غير المرئية، مساحة كبيرة من السماء والأرض تحت سيطرتها، وتستحدث من خلال التوجهين الرحماني والشيطاني، صفوفا متراصة ومكثفة في جبهتين، وتضطلع بدور مهم في الجدل والمواجهة الدائمة الدائرة بين المؤمنين والمنكرين. وهذا الشئ سيستمر حتى آخر الايام، التي يقوم فيها الإنسان المتكامل وخليفة الله، بتحديد المصير النهائي للعالم وتحديد مصير وتكليف الجميع.

١. «الروح والجن في منظور العلم والدين»، المصدر السابق، ص ١١٨.

الفصل الخامس

الدعوة

الدعوة والتواصل مع الشياطين والجنّ

لقد كان نهران وسلسلتان وتياران يجريان ويسريان دائما وطوال التاريخ وعلى امتداد الأرض والعلاقات الانسانية، وكانا يحتضان البشرية على وجه العموم. الأول التيار الذي رسخ عهده مع الشيطان وتحول في خدمته، ليستفيد من ثمرات وفاكهة هذه الصداقة، والثاني، التيار الذي ثبت ورسخ عهده مع الله الرحمن ورسله من بين الأنبياء والأوصياء وأصبحه في خدمته.

ويقول الله تعالى يوم القيامة متوجها إلى حلفاء **ابليس**:

«**اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**»[1]

وعلى النقيض مما يتصور، فان جميع طرق توغل ابليس وجنوده واختراقهم للانسان، مغلقة طالما أن الانسان لم يفتحها بنفسه. ويبذل ابليس جل جهده لإيجاد فتحة ليداهم من خلالها حدود مملكة الانسان ويستولي عليها.

وفي الموضوع المهم المتمثل في التواصل والدعوة، في أي ساحة وأي عصر، أكان رحمانيا أو شيطانيا، فان ثمة عدة عوامل مهمة وضرورية، ومن دونها لا يتحقق التواصل، أو أن الاتصال والتواصل يتحصل بصورة منقوصة وعديمة الأثر.

الأول، وقت وزمان التواصل والدعوة؛

الثاني، مكان وموقع التواصل؛

---

١. سورة يس، الآية ٦٤.

الثالث، التمائم والرقى والعزائم والتعاويذ المؤثرة في التواصل؛

الرابع، الآداب والمناسك والطقوس الخاصة؛

الخامس، أن تكون النية محكمة والعزيمة صلبة والصميمية تامة مع خشوع القلب للتواصل والدعوة.

إن معرفة هذه العوامل وأثرها، مهمة جدا بالنسبة لنا، بحيث أن أتباع جميع الديانات الالهية وحتى أتباع الفرق المشركة وحتى عبدة الشيطان، يعرفون منذ الماضي وإلى هذا اليوم هذه العوامل الخمسة لإقامة التواصل مع مصدر الفيض الرحماني أو الشيطاني، ويراعونها في وقت الدعوة.

إن سبب الكثير من فشلنا في التواصل، يعود إلى واحد من هذه العوامل. ومن وجهة نظر المؤلف، فان موضوع الدعوة يتلخص في عبارة بسيطة وهي «إقامة التواصل.»

إقامة التواصل

وفي العصر الحديث، يقيم الناس إتصالا وتواصلا مع الأشخاص الذين ينشدونهم من خلال وسائل وأجهزة الإتصالات وعن طريق مجموعة كبيرة من الاعداد والكودات التي تم تعريفها.

لدرجة أن هذه الأعداد والكودات، قد احتلت في الوقت الحاضر، موقع الإسم والعنوان الرئيسيين للأشخاص. إن الشخص وعن طريق وسائل الاتصالات يتصل برقم معين، ليتحدث إلى أصدقائه ومعارفه.

إن العالم المحيط بنا، مفعم بالآلاف المؤلفة من الكائنات المُلكية والملكوتية الظاهرة والخفية. وبالرغم من أن حشدا غفيرا من هذه الكائنات، لا يشاهد، لكنها جاهزة للدخول إلى أجهزة استقبالنا. فضلا عن أن أي انسان، في حد ذاته هو جهاز استقبال، قادر على تلقي واستقبال الأمواج والإشارات والتواصل مع هذه الكائنات.

إن الأنبياء والأوصياء أهدوا في الحقيقة، وعن طريق الكتب السماوية والتعاليم الأخلاقية والأوامر والنواهي، كتيبا كبيرا للبشرية، مليئا بالكودات والرموز.

إن تنفيذ أو عدم تنفيذ أي من هذه التعليمات والأوامر، يقيم تواصلا ونسبة بين الإنسان والعوالم النورانية أو العوالم المظلمة. وكأن أي فعل وردة فعل، يستهدفان أرقاما ما ويؤديان إلى إقامة تواصل رحماني أو شيطاني. وفي أعقاب ذلك، تتحصل نتائج رحمانية أو شيطانية. وهذا الكتيب السماوي الرمز ، يدرب ويعلم الإنسان على طريق قطع الطريق على نفوذ وتوغل الأمواج الشيطانية.

إن الدراسة البسيطة والثقافية لمجموعة الآداب والمناسك والتقاليد التي قدمت لنا، توصلنا إلى نفس العوامل الخمسة المؤثرة في عملية الدعوة والتواصل السريعين والصحيحين وفي أوانه مع الجهة التي نخاطبها.

إن جميع الأديان والمذاهب والفرق، على علم بأهمية توقيت التواصل. وهناك دائما توقيتات في اليوم والشهر والسنة، تجعل من الممكن اقامة تواصل سريع ومؤثر مع المخاطب الخاص والعوالم المعنوية والنورانية.

وفي الأدبيات الدينية للمسلمين، فان الفجر ووقت شروق وغروب الشمس، وأثناء هطول المطر، وليالي القدر، وأثناء رفع الأذان من مآذن المساجد، وأثناء السفر والمرض و...، تعد أوقاتا ملائمة للتواصل وعرض الحاجة إلى حضرة الحكيم والرحيم الغني المستغني، وألم يقل الله تعالى في كتابه المبين:

«ادْعُونِی أَسْتَجِبْ لَكُمْ»[1]

وكأن الله تعالى، ينتظر بجانب الهاتف، دائما الإتصال الذي يقيمه عباده معه. إنه أقرب إلينا من أي أحد اخر، وإلا لما كان يقول:

«وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»[2]

فعلى سبيل المثال، ورد في الروايات، أنه إن لم يغفر عن ذنب وخطيئة امرء

١. سورة غافر، الآية ٦٠.
٢. سورة ق، الآية ١٦.

ما في ليالي القدر، فانه لا مناص له سوى أن يشهد عرفة.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«من لم يغفر له فى شهر رمضان لم يغفر له إلى قابل إلّا أن يشهد عرفة.»[١]

إن هذه الأوقات والمواقع، تعد في المنظور الإيماني، أفضل مواطن لإقامة التواصل والتناسب مع العوالم السامية، وكما قال الإمام الصادق عليه السلام:

«يستجاب الدعاء فى أربعة مواطن فى الوتر وبعد الفجر وبعد الظهر وبعد المغرب.»[٢]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا زالت الشّمس، فتحت أبواب السّماء وأبواب الجنان، واستجيب الدّعاء، فطوبى لمن رفع له عند ذلک عمل صالح.»[٣]

إن العارفين بالله وكذلك السحرة، والمتنسكين، يعرفون أكثر من عموم وعامة الناس مدى أهمية عامل الوقت والتوقيت لاقامة التواصل. كما أن السحرة يأخذون أزمنة خاصة من الشهر والسنة والأسبوع واليوم والساعة والتي هم على علم بها، بنظر الإعتبار، لتهيئة أنفسهم لاقامة التواصل مع الجنود الشيطانيين، وهم على ثقة بان إمكانية الإرتباط والتواصل تتوافر في هذه التواقيت.

وبذلك، يمكن الحديث أيضا عن المكان والتوقيت المناسبين للتواصل السريع والمؤثر. وهذا الشئ معتمد لدى المسلمين بشكل عام. فهم يعرفون أن بوسعهم إقامة الإرتباط والتواصل مع مصدر الفيض بشكل أسرع وأكثر سهولة وتأثيرا في المساجد الخاصة والمزارات والمقامات وتحت قبة الإمام الحسين عليه السلام وفي

---

١. الكليني، محمد بن يعقوب، «مختارات الكافي»، ترجمة محمد باقر بهبودي، طهران، المركز العلمي والثقافي للنشر، ج ٣، ص ١٢٧.

٢. الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي» تصحيح علي أكبر غفاري، ١٤٠٧ق..، دار الكتب الاسلامية، ج ٢، ص ٤٧٧.

٣. إبن بابويه، محمد بن علي، «من لا يحضره الفقيه»، تصحيح علي أكبر غفاري، قم، مكتب الاصدارات الاسلامية التابع لرابطة مدرسي الحوزة العلمية بقم، ١٤١٣ق.، ج ١، ص ٢٠٩.

المحـــراب و... وأكثر من أي مكان اخر، والحصول على النتيجة المرجوة أو أن تستجاب مطالبهم.

وفـــي المقابل، فان ســـائر الفرق غير الدينية، لها معابدهـــا الخاصة ومواقعها وأماكنها الخاصة بها للتواصل المؤثر مع الجهة التي تنشدها والمصدر الذي تتوجه إليه، على ســـبيل المثال، يقوم عبدة الشـــيطان ببناء عمارات هرمية الشكل لتوفر لهم إمكانية إقامة الإرتباط والتواصل مع الشـــياطين بشـــكل أفضل وأسرع، وعلى العكس، فان المباني التي تملك قبة والمساجد والمزارات والمقامات، تعمل على تسهيل وتوفير إمكانية الدعوة والتواصل مع الجنود الرحمانيين.

آداب ومناسك التواصل

ففي جميع أنماط التواصل البسيط أو المعقد والإبتدائي أو المتقدم، والفردي أو الجماعي، هناك صنف من الآداب والطقوس والمناســـك للتواصل. وفي العالم الحديث، ماذا تقول إن شاهدت رجلا، يمسك بهاتفه بشكل مقلوب وعكسي، ويتحدث فيه من الجهة المخصصة للإصغاء والإســـتماع إلى الصوت؟ وبلا شك فان هذه الوضعية تجعل من الصعب والمســـتحيل اقامـــة اتصال، وتنبهه في هذا الخصوص.

والان يجـــب التســـاؤل: عندما يتـــم التقيد في إتصال هاتفي بســـيط باداب وطقـــوس خاصة، كيف يمكن تجاهل الاداب والمناســـك الدينية ونســـخر منها أحيانا؟ وكل هذا مؤشر على جهلنا بالآداب والمناسك الضرورية للتواصل.

إن طقوس وتقاليد ســـحرة قبائل الهنود الحمر في القارة الامريكية، تبدو مثيرة للسخرية والإستهزاء بالنسبة لانســـان العصر الحديث، في حين أن هؤلاء وجدوا في ظل تعاليم أســـلافهم وتجاربهم، بان التواصل مع الجن أو الشيطان الذي يرد عليهم، رهن باداب ومناســـك خاصة، حتى وإن لم يعرف المتصل بان الذي يرد عليه هو شيطان قسي وعديم الرحمة، بل يحسبه إلها وربا رحمانيا ويعبده.

إن أيــا من الاداب والتقاليد، تعمل كأرقام وكودات هاتف ما، بوصل المتصل بجهة ومخاطب خاص. وكيف يمكن توقع أن يتواصل شخص يراعي جميع اداب وسنن عبادة الشيطان والسحر، مع مصدر الفيض الرحماني؟

وبلا شــك فان آداب ومناســك تواصل انســان العصر الحديث، هي مثيرة للســخرية والتهكم بالنســبة للهنود الحمر والقبائل البدوية لصحارى افريقيا. إنهم يجهلون أيضا ســر هذه المناسك التي تشكل وسيلة مسبقة وضرورية للتواصل في العصر الحديث.

وتوجد آداب ومناسك خاصة يعتمدها المسلمون والمسيحيون واليهود و... . وهذه المناسك وعلى الرغم من تصورنا، لا تكتسي بطابع بروتوكولي ومجاملات، بــل أنها تعد في منظور المؤمنين بهذه الديانات، مقدمة ضرورية للتواصل وحفظه واستمراريته.

إن حفــظ مظاهر واداب تأدية الصلاة، والصوم والحج و... تكتســي أهمية بالنســبة للمســلمين للتواصل والدعاء والإبتهال إلى الله تعالى، وتعد أمرا ضروريا، بقدر ما تملكه الطقوس التمهيدية للسحرة وطاردي الجن من أهمية لإقامة التواصل والارتباط مع القوى الشيطانية الخبيثة.

إن عدم المعرفة الدقيقة لهذه المناســك، والتي قد تؤدي إلى تبعثر وتشــتت الأعمال من حيث الكم والكيف، تشبه عملية الإخلال والإرباك في إقامة الإتصال الهاتفي والناجم عن تغير وتناقل أرقام وكودات الهاتف وجهاز عدّ النقود و... .

ونذكّــر بان جميع الناس، المؤمنون منهم أو الكفرة، في أي هيئة وحلة كانوا، لديهم طقوس للوصــول إلى غاياتهم وأهدافهم ويحترمونهــا. وكيف أن البعض، يتجاهلون من دون تفكير وتعقل، آداب ومناســك المسلمين والمؤمنين في تأدية الصلاة والحج و... ويستخفون بها ويسخرون منها؟

إن المطربين والمنشدين وشاربي الخمر و... هم الاخرون لهم آداب وتقاليد، ويبلغون من خلال مراعاتها وحفظها، أعلى درجات الحظّ والإستمتاع النفسي.

وهذا الأمر، يكتسي أهمية ايضا بشأن التمائم والتعاويذ التي تجري على الألسن أثناء أداء المناسك. وفي الحقيقة فان الأدعية والتعاويذ، تعد واحدا من أسس التواصل مع المصادر المنشودة. إن المؤمنين يستقرون في وقت خاص، في مكان خاص ويؤدون آدابا ومناسك خاصة ويتلون تعاويذ وتمائم خاصة، عسى أن يقيموا إتصالا ويتلقوا بسبب كل هذا ردا وجوابا من الجهة التي يخاطبونها.

ونقرأ في سورة «الأعراف»:

«وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[1]

إن كل إسم مؤشر على مسمى، ولا يتسم بعلامة بأي وجه من الوجوه، بل يشير إلى صفة وحقيقة من حقائق ذاته المقدسة. ولذلك، فاننا وأثناء الدعاء والإبتهال الى الباري تعالى، نلجأ ونتوجه إليه في ظل الإهتمام والتذكير بشأن كل إسم، ونتحاشى الإتيان على ذكر أي إسم في غير محله.

إن الباحثين المسلمين ومن خلال الرجوع إلى كلام المعصومين عليهم السلام، بينوا خصائص كل إسم بصورة منفصلة. وفي خصائص الأسماء جاء في «مفاتيح الجنان»:

إن ذكر أى شخص بعد كل صلاة، إسم «الرحمن» مائة مرة، فانه سيحظى فى جميع الأحوال بلطف ورعاية الله تعالى.

جدير ذكره أن كل إنسان يرمي إلى نيل مقام الشهود وتجليات الأسماء الحسنى لله، يجب عليه أن يسلك سُلم التعينات، وأن يرتقي منزلا بمنزل من الخلق إلى الحق ليجرب مراتب من التجليات. وأي من الأسماء الالهية وفي ضوء إحدى الصفات الالهية، تشير إلى ذات الباري عزوجل، على سبيل المثال، فان مفردة «الشافي» ونظرا إلى صفة الشفاء، تشير إلى ذات الباري تعالى.

إن هذه الأسماء هي الوسيط بيننا وبين الله سبحانه وتعالى، وندعو الله في

---

۱. سورة الأعراف، الآية ۱۸۰.

كل حالة، بالاسم المناسب لتلك الحالة، على سبيل المثال، كلما طلبنا العفو والمغفرة والصفح عن الذنوب والمعاصي، ندعو الله بلفظة «يا غفور»، وطلبا لشفاء مريض، ندعوه بلفظة «يا شافي»، لان أيا من الاسماء الالهية لها مفعولها وأثرها الخاص بها.

وورد في الأحاديث أن من دعا الله باسمه الأعظم، فان دعاءه سيستجاب. إن الاسم الأعظم الالهي هو من الأسرار، وان التعرف عليه، يمثل مفتاحا لمعالجة الكثير من المشاكل، لذلك، فانه قلما يناله أحد ماعدا الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام.

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام في هذا الخصوص:

«إنّ عيسى بن مريم أعطى حرفين كان يعمل بهما ، وأعطى موسى أربعة أحرف ، وإبراهيم ثمانية أحرف ، وأعطى نوح خمسة عشر حرفاً ، وأعطى آدم خمسة وعشرين حرفاً ، وإنّ الله جمع ذلک كلّه لمحمّد صلى الله عليه وآله وإنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا أعطى محمد صلى الله عليه وآله إثنين وسبعين حرفا وحجب عنه حرف واحدُ.»[1]

وجاء في رواية أخرى:

«إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا – وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخُسفَ بالأرض ما بينه وبين سَرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرضُ كما كانت أسرعَ من طَرفة عين ونحن عندنا من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا وحرف واحد عندَ الله تعالى استأثر به فى علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.»[2]

إن الأدعية الرئيسية للصلاة، شأنها شأن بقية أسس التواصل والدعوة، بما

١. الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، طهران، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ق.، ج ١، ص ٢٣٠.
٢. المصدر السابق.

فيها الركوع والسجود والوقف بإتجاه القبلة وتوقيت تأدية فريضة الصلاة، تعد من الأركان الرئيسية للتواصل مع مصدر الفيض السماوي.

إن مجمل عبدة الشيطان والسحرة، ومع حفظهم لجميع الشروط والظروف يقيمون تواصلا وارتباطا مع المصادر التي ينشدونها من خلال استعمال التمائم والتعاويذ والأذكار التي يلهجون بها أو النقوش التي يخطونها على الأرض و... . وهم يراعون أيضا العوامل الخمسة التي تدخل في عملية التواصل والارتباط والدعوة.

ماذا حل بالنظام الحقيقي للدعوة؟

إن أيادي الشيطان، وبعد بعث الأنبياء وانزال الكتب السماوية، تدخلت وتصرفت في أول فرصة مناسبة، في الأسس الرئيسية لنظام التواصل الإيماني. وأربكت وبعثرت المناسبات، وغيرت من آداب وتقاليد ومناسك وأسلوب العبادات. وقامت بتناقل الأذكا ر والأدعية وتصرفت في بعض منها، وبذلك سلبت من المسلمين إمكانية التواصل الحقيقي.

ولم يكن أحد في العالم بقدر اليهود على علم ودراية بسر ذلك، لانهم كانوا يعرفون جميع اداب ومناسك واساليب التواصل مع القوى الماورائية، واستخدموا هذه العلوم لنيل مآربهم المقيتة والشيطانية.

ويمر المسلمون مرور الكرام على الوقائع التي أدت إلى التدخل والتصرف في سيرة وسنة النبي الأكرم ﷺ وأربكت الكثير من أوجه الأعمال والاداب الدينية، في حين أن جانبا مهما من الاداب والسنن العبادية، موجها للتواصل مع مصدر الفيض الالهي والتناسب مع الأولياء والجنود الرحمانيين، وأن التغيرات التي طرأت على الأسس، تسلب من المؤمنين مجال الوصول إلى جميع الأهداف المترتبة على التعاليم العبادية وتجعلها عديمة الأثر.

إن الكثير من الناس، وبسبب فقدانهم للوعي والمعرفة بطريقة الدعوة والإبتهال

الـى الله تعالى، والتواصل مع العوالم الرحمانية، يعبدون الشـيطان ظنا منهم أنهم يعبـدون الله، وأن الشـيطان ومع علمه بهذا الشـئ، يظهر فـي وقت الإتصال والتواصل، انه رسول من حضرة الحق والرحمن ويبدي خصلته على أنها رحمانية، فيما مقيم التواصل الجاهل، يظن أن المخاطب هو الله، أو أنه يدعو ملكا ومكلفا مـن قبل الله. ومن هنا فان ابليس ومن خلال خداع الانسـان، يجره الى الوجهة التي يريدها هو.

إن أيا من الكفار وعبدة الشيطان، وفي وقت الحوار عن معبودهم، لا يعتبرونه مظهرا للدناءة والرذالة والخبث، وعلى العكس، يعلنون لكل الأتباع أنهم يسـيرون نحو النور ومصدر النور والنعمة.

وكان البرت بايك أحد ماسـونيي اسـكتلندا، قد اعلن في مراسم وأمام حشد من الماسونيين:

إن الشـيطان هو إله النور، وهو منشـغل في محاربة إلـه الكتاب المقدس. وعليكـم أن تعلموا بـان الإله الحقيقي، هو الشـيطان، روح التاريخ وإبن كوكب الفجر، الروح المعتمة التي تجلب للغنسـان النور والروعة، لا الروح التي تترنح في كل لحظة نحو جهة ما بصورة عمياء.

إبليس عازم على القرصنة

إن ابليس وطبقا للقسـم الذي أدلى به أمام الله تعالى، قال من منطلق الحسد والضغينة على آدم عليه السلام:

«فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»[1]

وبذلـك فـان ابليس يتربص بالانسـان، للعثور في كل لحظة، على فسـحة لاختراق مملكة وجوده.

وكان ابليـس من طائفة الجنّ، لذلك جهز حوله جيشـا من الجنود ليتصرفوا

١. سورة ص، الآية ٨٢.

ويعملوا ضد الإنس، ويحولوا من خلال القرصنة دون سيرهم وسلوكهم في مسار الحق. وبناء على ذلك، فان عدد الشيطانين هو أكثر دائما من عدد الإنس.

وورد في بعض الروايات بان شيطانا أو شياطين يوجدون مقابل كل إنسان. ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«ما منكم من أحد إلاّ وله شيطان.»[1]

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«من اؤتمن على أمانة فأدّاها، فقد حلّ ألف عقدة من عنقه من عقد النّار، فبادروا بأداء الأمانة، فإنّ من اؤتمن على أمانة وكّل به إبليس مئة شيطان من مردة أعوانه, ليضلّوه ويوسوسوا إليه حتّى يهلكوه، إلّا من عصم الله عزّ وجلّ.»[2]

كما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله، ما مضمونه:

«إن أراد الانسان إعادة أمانة مسلم، فان ابليس اللعين يكلف مائة شيطان ليضله ويمنعه من أداء الأمانة.»[3]

إن هؤلاء الجنود الشيطانيين يلجأون إلى أنواع الحيل والمكائد وأي سيلة كانت، لقرصنة الانسان وجرّه إلى وادي الكفر والشرك والنفاق.

إن الصورة الخفية والمستترة للشياطين الجنيين وبسبب لطافة جسمهم من جهة، وقدرتهم على النفوذ والتأثير على الانسان باساليب وطرق مختلفة من جهة اخرى، ساعدتهم للاسف على المضي قدما في تنفيذ مآربهم وغاياتهم. والمسألة الرئيسية تعود إلى دعوة الانسان للشيطان.

وتفيد الآيات والروايات إن هؤلاء الجنود الابليسيين غير قادرين على النفوذ والتأثير على الانسان طالما لا يدعون من الانسان ذاته.

---

١. ترجمة كتاب «السماء والعالم لبحار الأنوار»، المصدر السابق، ترجمة محمد باقر كمرئي، النشر الاسلامي، ج ٧، ص ٢٦٢.

٢. إبن بابويه، محمد بن علي، «الأمالي»، ترجمة محمد باقر كمرئي، كتابجي للنشر، ص ٢٩٥.

٣. «وسائل الشيعة»، المصدر السابق، ج ١٣، ص ٢٢٠.

وهذا هو الانسان الذي يحضّر ويجهز مطار مملكة وجوده لهبوط ممثلي **ابليس**، ويطلق أيديهم للاقدام و والتصرف. وكل القضية تبدأ من هنا. ونذكّر بان أي من الأناس وحتى الأنبياء العظام الالهيين، ليسوا بمأمن وحصانة من هؤلاء الأعداء، بحيث أن الله تعالى يقول:

«وَكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوا شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ»[١]

وكان الأنبياء يواجهون بجهوزية وبالوسائل التي كانت بحوزتهم، شياطين الجن والإنس المحيطين بهم.

ويقول الله تعالى متوجها إلى **ابليس:**

«إِنّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلّا مَنِ اتّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ»[٢]

ويقول الله تعالى بصراحة أن الانسان يفتح البوابات لجنود ابليس، لا أن يكون ابليس وجنوده سلطة على الانسان.

وينقل **انس بن مالك** في «بحار الأنوار» عن النبي الأكرمﷺ قوله:

«إنّ الشّيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسى التقم قلبه فذلك الوسواس الخنّاس.»[٣]

إن مواكبة الجن الخبثاء لقيادة ابليس، يضع مصائد وأفخاخا أمام الانسان لإغوائه وتضليله.

والان يجب التساؤل: ما هي بوابات دخول جنود ابليس؟

إن ابليس يتقدم مرحلة بمرحلة، وكما شاهدنا في قضية الدكتور **فاستوس**،[٤] فان الانسان يبادر من منطلق الهوى والنزوة الجامحة، إلى فتح أول بوابة أمام جنود ابليس، وإذا ما راى ابليس، الانسان جاهزا، يتقدم مرحلة بمرحلة حتى يفرض هيمنته كاملة على الانسان إلى أن يحشره في زمرة أنصاره، لا بل واحدا من

---

١. سورة الأنعام، الآية ١١٢.
٢. سورة الحجر، الآية ٤٢.
٣. «بحار الأنوار»، المصدر السابق، كتاب السماء والعالم، ج ٦٠، ص ١٩٤.
٤. عنوان مسرحية شهيرة ، للبريطاني كريستوفر مارلو

«عملائه» وأداة عمله وشريك جميع مفاسده.

وفي مضمار الفكر الديني والولائي، فان كلمة التوحيد الطيبة، هي حصن منيع وحصين، يكون من دخله في أمان من العذاب والشقاء، بحيث قيل:

«**كلمة لاَ إِلَهَ إلاّ اللهُ حصْنِى فَمَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ من عَذَابِى.**»[1]

إن من يستحق العذاب الالهي، هو خارج هذا الحصن، بحيث يهاجمه **ابليس** ويصطاده.

وهناك حديث قدسي اخر نقل عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام معروف بحديث «ولاية علي بن ابي طالب عليه السلام».

وقد أورد الشيخ الصدوق هذا الحديث في «عيون أخبار الرضا عليه السلام»:

«**ولاَيَةُ عَلِىِّ بنِ أبى طَالِب حِصْنِى فَمَنْ دَخَل حصينى أَمِنَ من عَذَابِى.**»[2]

إن الإنسان يخرج بداية من حصن كلمة التوحيد أو ولاية الإنسان المتكامل، ومن ثم يُصطاد على يد الأعداء المتربصين به والناصبين له الكمائن. لكن إن بقي الإنسان في الحصن، فان ذلك يسد الطريق على ابليس وجنوده للوصول إليه.

وماعدا النجاسات الطبيعية التي تؤدي إلى تلوث وتدنس وتخريب جسم الانسان والتصرف به لمصلحة ابليس، فان النجاسات الميتافيزيقية، تفتح هي الاخرى بوابات الحصن المنيع لمملكة وجود الانسان أمام جنود ابليس.

إن النجاسات الميتافيزيقية تهاجم الانسان في مجال الأخلاقيات والثقافة، وتحول دون سيره وسفره الآمن وبلا خسارة نحو الشاطئ البرزخي.

وما ينشده الشيطان في الخطوة الاولى، هو قلب زورق جسم الانسان، وجعله غير فاعل وغير لائق، وفي المرحلة والخطوة الثانية، حرف روح من يستقل الزورق. وفي كلا الحالتين، يصبح الانسان عاجزا عن قطع الطريق وينحرف نحو شاطئ اخر غير آمن ويتسم بالتدنس والإنزلاق في براثن التعاسة والشقاء.

---

١. إبن بابويه، محمد بن علي، «عيون أخبار الرضا»، طهران، جهان للنشر، ج ٢، ص ٣٤.
٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٦.

فإن لم يفلح ابليس وجنـــوده في الخطوة الأولى أي المداهمة لتدمير الزورق، ويخفقون في تدنيس وتلويث جســـم الانسان بالنجاسات، يركزون جهودهم على شـــخص من يســـتقل الزورق ويبدأون الحملة الثانية. وفي هذه المرحلة، يتزودون بســـلاح النجاســـات الميتافيزيقية والأخلاقية لنيل مآربهم. فان من يستقل الزورق المحطم ويسير في عين الطوفان، فانه سيغرق آجلا أم عاجلا ويفنى.

إن من تلوث بالنجاســـات (الخمر والربا والدم والطعام الحرام والمدنس، مثل لحم الخنزير و...) يضعون أنفسهم بتصرف الشيطان، ويمتثلون لاوامره. إن هؤلاء يغرقون في الأمواج العاتية لنهر الحياة.

أما النجاسات غير الفيزيقيية فانها تستهدف نفس الانسان وروحه وتفتك بها وتنخرها من الداخل.

أنواع الدعوة

الدعوة العامة

إن دعـــوة الشـــيطان العامة، تتحصل عن طريق التلوث بالنجاســـات الفيزيقية والميتافيزيقية. وليســـوا قليلين الرجال والنساء الذين حلوا ضيوفا غير مدعوين لدى الخبيث بسبب الحقد والنفاق والتكبر وسوء الظن والمكر والكذب والحسد، من دون أدنى علم لهم بهذا الحضور. ولا يجب نســـيان أن ابليس وجنوده، يحظون بقدرات ومواصفات خاصة، بما فيها:

١. العلم والدرك وقوة التشخيص؛

٢. قوة الإختيار؛

٣. ماضي الحضور الطويل في الأرض، حتى قبل خلق الإنسان (وكان **ابليس** قد خلق بعدة آلاف سنة قبل **آدم**عليه السلام)؛

٤. العمر الطويل الممتد لعدة الاف سنة؛

٥. القوة ونطاق العمل الواسع (كما كانوا في خدمة النبي سليمانعليه السلام)؛

٦. إمكانية التوالد والتناسل؛

٧. والأهم من كل شيء، سرعة التصرف واللطافة الخارقة التي تخفيهم عن أعين الانسان؛

٨. وطبعا مثل الإنس، يواجهون الموت والحياة والحشر والنشر.

إن طوائف الجن، مثلهم مثل الانسان، فيهم الفريق المؤمن والصالح والفريق الطالح والكافر وهو أكثر عددا، وكما أن المؤمنين بين الإنس، وبسبب إتصافهم بالتشرع والصلاح يمنعون أنفسهم والاخرين من ارتكاب أي عمل شنيع وقبيح، ولا يقترفون جريمة وجناية وخيانة في حق أعدائهم حتى ولا يلجأون إلى الحيلة والخداع والكذب وإزهاق الحقوق، فالأمر كذلك في فريق وطائفة الجنّ.

الدعوة من النوع الثاني، الدعوة الخاصة

لكن كل ما تم تبيانه، هو حول الدعوة العامة والسارية بين جميع الإنس، لدى جميع الملل والنحل. وعامة الناس، مشتركون في هذه الدعوة، واكتسبوا مراتب من كل هذا بما يتناسب وموقعهم وجهوزيتهم ومقدار عدم تقواهم، ويعملون بإتجاه ما يطلبه الشيطان، لكن الدعوة الخاصة، هي دعوة من نوع اخر، تتحصل بطرق خاصة.

إن السحر والشعوذة وطرد الجنّ، يمثل مصاديق من هذه الدعوة الخاصة.

ومنذ القدم، كان السحرة بين الأمم والملل والنحل، يقيمون تواصلا مع العالم الشيطاني عن طريق العلوم الغريبة، وبعد تجربة التنسك واعتماد مراحل وطقوس.

وفي أحد طرفي هذه الصفقة، الانسان الذي يكسب رضا الشيطان من خلال قيامه بممارسات وافعال تتطابق مع مطالب ابليس ويعمل بما يدعو له ابليس ويرتبط به، وفي الطرف الاخر، الشيطان الذي يفرض هيمنته وسلطته تدريجيا على الانسان المتصل به من خلال منحه امتيازات وتقديم خدمات، ويدفع هذا الانسان ليكون في خدمته تماما.

وفي هـــذه المرحلة، يقع المتصل في فخ ابليـــس، وتغلق أمامه طرق الهروب والفرار، إلى أن تطير روحه إلى الجحيم الأبدي بتعاســـة وعتمة وشقاء، على غرار فاستوس.

إن القوى الخبيثة وغير التقية وغير الورعة الشـــيطانية، ترتكب في هذه الصفقة أي عمـــل وفعل، تحت أثر الطلاســـم والتعاويذ والرقى، إنفاذا لمطالب الســـحرة وطاردي الجن، بما يتناسب مع قدراتها.

إن الوشـــاية والتجسس وتبادل المعلومات الشخصية والتأثير على قلب وذهن الاخريـــن، والتصرف فـــي الآذان والقلوب وإثارة المشـــاعر الزائفة (الخوف والهم والفرح و...) بين الناس و...، تعد من الخدمات التي تقدمها القوى الشـــيطانية، وتحصل في مقابلها، على خدمات من الانسان، أهمها، إقتراف الذنوب، وعبادة الشـــيطان، والتضحية بالأخرين وانتهاك المقدسات، وتوريط سائر الناس بارتكاب أنواع الذنوب والمعاصي والكفر والشرك بالله تعالى.